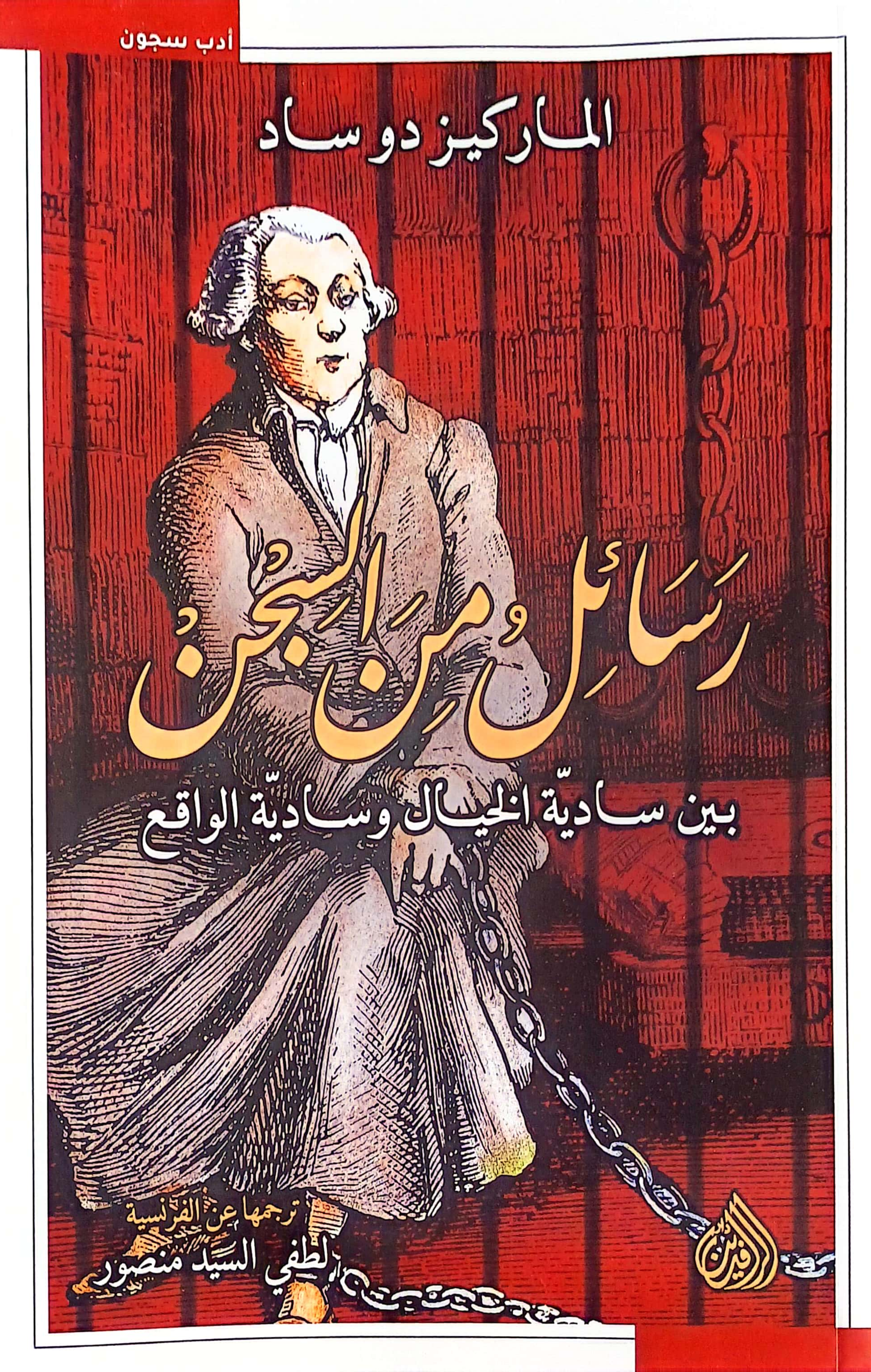

أدب سجون
الماركيز دو ساد
رسائل من السجن
بين ساديّة الخيال وساديّة الواقع
ترجمها عن الفرنسية
لطفي السيد منصور
دار الرافدين

رسائل من السجن

بين ساديّة الخيال وساديّة الواقع

رسائل من السجن

الماركيز دو ساد

ترجمة: لطفي السيد منصور

العنوان بالفرنسية:

lettres de prison

ترجمة العنوان إلى الانكليزية:

Letters from prison

By Marquis de Sade

Translated by Lotfi Al-Sayed Mansour

الطبعة الأولى: يناير - كانون الثاني، 2022 (1000 نسخة)



بغداد - العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647714440520 / +9647811005860

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين

daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 643 - 98 - 4

الماركيز دو ساد



ترجمة

لطفي السيد منصور



www.daralrafidain.com

الفهرس

بين سادية الخيال وسادية الواقع 11

الرسائل 27

إلى السيد سارتين، القائد العام للشرطة 29

(2 نوفمبر 1763) 29

إلى رئيسة دير سان بينوا 31

[خريف 1765] 31

إلى الأب دو ساد 33

[باريس، سبتمبر 1765] 33

إلى بوفوازان 36

[أوائل عام 1766] 36

إلى الأب دو ساد 38

(12 أبريل 1768) 38

إلى فاج 39

26 مارس 1769 39

إلى الأب دو ساد 41

[باريس، 19 مارس 1771] 41

إلى الأب دو ساد 43

(باريس، 15 يونيو 1771) 43

إلى فاج 49

[لا كوست، نوفمبر 1771] 49

إلى آن بروسبير دو لوني 51
[فور دو ميولان، منتصف ديسمبر 1772] 51
إلى كونت لا تور 55
[1مايو 1773] 55
إلى فرانسوا ريبير 56
[10 أكتوبر 1774] 56
إلى جوفريدي 58
[ربيع 1775] 58
إلى جوفريدي 60
[فلورنسا، 29 سبتمبر 1775] 60
إلى مدام دو ساد 63
(فينسين، 6 مارس 1777) 63
إلى جوفريدي 67
[يناير 1778] 67
إلى مارتان كيروس 69
[فينسين، 4 أكتوبر 1779] 69
إلى مدام دو ساد 74
[فينسين، بعد 21 أبريل 1780] 74
إلى السيدة دو ساد 78
(فينسين، 20 فبراير 1781) 78
إلى السيدة دو ساد 82
[نهاية يونيو 1781] 82
إلى السيدة دو ساد 84
[بين يوليو وأكتوبر 1781] 84
إلى الآنسة دو روسيه 90
(26 يناير 1782) 90

إلى الآنسة روسيه، 96
(فينسين، 17 أبريل 1782) 96
إلى السيدة دو ساد 101
[فينسين، يونيو 1783] 101
إلى السيدة دو ساد 106
[فينسين، صيف 1783] 106
إلى السيدة دو ساد 111
[فينسين، أوائل نوفمبر1783] 111
إلى السيدة دو ساد 116
[23 ـ 24 نوفمبر 1783] 116
إلى السيدة دو ساد 124
[فينسين، نهاية عام 1784] 124
إلى السيدة دو ساد 128
[الباستيل، ديسمبر 1787] 128
إلى جوفريدي 130
[باريس، 12 أبريل 1790] 130
إلى ديلابورت 132
[باريس، 17 فبراير، 1791] 132
إلى جوفريدي 133
[باريس، أبريل 1791] 133
إلى رينو 135
(باريس، 12 يونيو 1791) 135
إلى رئيس نادي دستور لا كوست 140
[19 أبريل 1792] 140
إلى السيدة دو ساد 143
[باريس، 18 أغسطس 1792] 143
إلى جوفريدي 147
[باريس، 19 نوفمبر 1794] 147

إلى جوفريدي 155
[باريس، 5 أغسطس 1795] 155
إلى بائع الكتب ديترفيل 158
[باريس، 2 مارس 1796] 158
إلى السيدة دو ساد 159
[باريس، أوائل يناير 1798] 159
إلى جوفريدي 161
[فرساي، 25 يناير 1799] 161
إلى جوفريدي 165
[فرساي، 27 ديسمبر 1799] 165
إلى أندريه جوزيف أبريال، 166
(سانت بيلاجي، 20 مايو 1802) 166
إلى السيد دو كولوميه 168
[شارنتون، 16 يوليو 1803] 168
إلى كلود أرمان دو ساد 171
[شارنتون، فبراير1805] 171
إلى جوفريدي 172
[1806] 172
إلى السيد فينو 178
(شارنتون، 22 يوليو 1808) 178
إلى كلود أرمان دو ساد 181
(فبراير 1810) 181
إلى جوفريدي 183
[شارنتون، 3 فبراير 1810] 183
إلى مدام كوشليه، 186
[مايو 1811] 186

إلى السيدة دو بيمار 188
(شارنتون، 4 مايو 1811) 188
إلى السيدة الرئيسة مونتروي 191
(فينسين، نهاية فبراير 1777) 191
إلى مدام دو ساد 194
(فينسين، 18 أبريل 1777) 194
إلى السيدة دو ساد 200
(فينسين 17 فبراير 1779) 200
إلى السيد كارتيرون (مارتن كيروس) 209
(فينسين، أوائل يناير 1780) 209
رسالتي الطويلة إلى السيدة دو ساد 216
(فينسين، 20 فبراير 1781) 216
[رسالة مرفقة] 235
إلى مدام دو ساد 236
(فينسين، 21 مايو 1781) 236
إلى ماري دوروتيه دي روسيه 247
(فينسين، مايو 1782.) 247
إلى الآنسة دي روسيه 247
إلى السيدة دو ساد 251
(فينسين، أغسطس 1782) 251
إلى الرئيسة مونتروي 257
(2 سبتمبر 1783) 257
إلى مدام دو ساد 261
(فينسين، 19 سبتمبر 1783) 261
إلى السيدة دو ساد 265
(فينسين، نهاية نوفمبر 1783) 265
إلى الأوغاد الحمقى الذين يعذبونني 268
(فينسين، 1783) 268

إلى مدام دو ساد 270
(فينسين، 1783) 270
إلى مدام دو ساد 275
(الباستيل، 8 مارس 1784) 275
إلى مدام دو ساد 281
(الباستيل، 4 سبتمبر 1784). 281
إلى السيدة دو ساد 283
إلى جوفريدي 285
(باريس، أوائل مايو 1790) 285
إلى رينو 289
(باريس، 19 مايو 1790) 289
إلى جوفريدي 293
(باريس، نهاية مايو 1790) 293
إلى جوفريدي 299
(باريس، 5 مايو 1793) 299
إلى جوفريدي 301
(باريس، 3 أغسطس 1793) 301

بين سادية الخيال وسادية الواقع

ولد دوناتيان ألفونس فرانسوا، الماركيز دو ساد، 2 يونيو 1740 بباريس وتوفي 2 ديسمبر 1814 بمشفى شارنتون للأمراض العقلية. إنه الكاتب والفيلسوف الفرنسي، الذي حظرت أعماله لفترة طويلة؛ نتيجة النصيب الوافر الذي منحه فيها للإيروسية المشبعة بالعنف والقسوة. وكان قد قضى سنوات عديدة من حياته رهن الاحتجاز. كما حظرت أشهر أعماله، مثل الفلسفة في المخدع، مصائب الفضيلة أو مائة وعشرون يومًا في سدوم.

ولكن... هذا الكتاب يضم بين دفتيه مجموعة من رسائل الاحتجاز/ السجن للماركيز دو ساد. ألا يجعلنا هذا نتساءل عن الأسباب التي كانت وراء هذه السنين الطوال من المطاردات والمضايقات والاحتجاز والتي بالضرورة لم تكن سعيدة أو هينة خاصة على هذا العقل الذي قال عنه الشاعر جيوم أبولينير: «أكثر العقول حريّةً على الإطلاق»؟

لقد ظل الماركيز دو ساد حوالي سبعة وعشرين عامًا وفي ظل جميع الأنظمة التي عاصرها، النظام الملكي، الجمهوري، حكومة القناصل، والإمبراطوري، رهن الاحتجاز بين الإقامة الجبرية والحبس في سجن الباستل البشع ووضعه في مشفى للأمراض العقلية مع المصابين بالجنون والصرع والأمراض العقلية الأخرى التي قد تزيد حدتها أو تقل.

كانت طبقة دو ساد غارقة في الملذات وممارسة الجنس، فلماذا عوقب دو ساد على هذا النحو القاسي؟

ربما لأنه لم يكن طفلًا عاديًا سواء على مستوى الذكاء أو التمرد أو الحرية والتدليل اللذين نعم بها صغيرًا فتأصلت في شخصيته. وربما لأنه أراد أن يذهب في الممارسة الجنسية أبعد من مجرد اللذة أو المتعة الروتينية لاكتشاف أنواع مختلفة من المتعة واللذة نتيجة مثيرات مختلفة وكذلك إيضاح أن الميول والنوازع الإنسانية هي نتاج الطبيعة ولا دخل للإنسان فيها. ماذا لو التفتت أمه وتأملت تعاركه وهو صغير مع الأمير الذي أرادت أن تقربه منه في القصر؟ أكانت ستعدل من سلوكه وتخفف من حدته مما كان سيجنبه كل هذا الاحتجاز وهذه العذابات؟

ماذا لو كان قد تزوج الأخت الصغرى لزوجته التي مالت له ومال لها وأعلن ذلك لحماته لكنها رفضت تزويج البنت الصغرى قبل الكبرى بل وأسرّتها في نفسها لتبدأ رحلة عذابه.

لكن ثمة سؤال يطرح نفسه بقوة وهو إذا كان الحصول على اللذة بممارسة العنف قد أطلق عليه السادية، أليست كل هذه السنوات وهذه المعاناة بمثابة سادية ـ هل كانوا يشعرون بالمتعة لسجنه ومضايقته، من حماته وكل من تعاون معها في هذا الفعل القاسي؟

ويقول في إحدى الرسائل:

«لقد تخيلت كل شيء يمكن أن تتخيليه في هذا النوع، لكنني بالتأكيد لم أفعل كل شيء تخيلتِه ولن أفعله بالتأكيد أبدًا».

ربما كان خياله الجامح والمتمرد ورغبته في التجريب ومحاولة سبر

أغوار النفس الإنسانية السبب فيما أطلق عليه فرويد السادية، وهذا الخيال هو ما جعله يقع تحت نير سادية الواقع؟

لماذا أنقذ دو ساد عائلة زوجته من المقصلة ولم ينتقم على الأقل من حماته التي أذاقته مر العذاب؟

«أنا فاسق، أعترف بذلك؛ لقد تخيلت كل شيء يمكن القيام به في هذا النوع، لكن بالتأكيد لم أفعل كل شيء تخيلته ولن أفعله بالتأكيد أبدًا. أنا فاسق، لكنني لست مجرمًا ولا قاتلًا، وبما أنني مجبَر على وضع اعتذاري جنبًا إلى جنب الدفاع عن نفسي، فسأقول إنه ربما يكون من المحتمل أن أولئك الذين يدينونني ظلمًا هم مثلي، لم يكونوا قادرين على موازنة عيوبهم بالأعمال الصالحة الجديرة بالثقة كتلك التي يمكنني أن أقابلها بأخطائي».

ستكشف لنا هذه الرسائل عن دو ساد آخر غير الذي عهدناه في أعماله الأدبية أو الفلسفية، ساد الأب الساخط على ابنه الأكبر لجفاء هذا الابن وساد الشاعر بالمسؤولية اتجاه أبنائه وتمنيه أن تربيهم جدتهم لأمهم أفضل مما ربي هو، وكذلك ساد الذي لا يساوم على مبادئه من أجل أي شيء حتى لو كانت الحرية وهي أسمى قيمة لديه.

ساد الفيلسوف الذي يبرهن على التفاوت بين طبائع الناس مما يجعل النسبية هي الأساس في التعامل معهم.

ساد الغيور على زوجته والتي يطلب منها عندما تأتي لزيارته أن ترتدي بطريقة محتشمة ولا تأتي مع أحد رجال الشرطة.

ساد الذي يحاجج خصومه ويفند الجرائم التي ألصقت به دون إنكار كلي ولكن بالمطالبة بوضع هذه الجرائم في وضعها الحقيقي ومعاقبة الآخرين اللذين كانوا طرفًا في ذلك.

إنها مجموعة من الرسائل الثرية على مستويات عدة في فكر وحياة ونفسية دوساد.

وهذه دراسة عن رسائل السجن لدى دو ساد بقلم الكاتب الكندي بينوا ميلانسون:

إن تحديد طبيعة هذا النوع وهو الرسالة الخاصة ليس واضحًا. حقيقة أن كل شخص، في وقت أو آخر، هو كاتب رسائل يكون لها نتيجة مزدوجة: إما أن مسألة التحديد لا يبدو أن لها أي أهمية، لأن الجواب سيكون ضمنيًا؛ أو أن نجيب عليها بالعموميات، من قبيل أنه يجب على الجميع أن يفهم ضمنيًا ما تكونه. كما لو أن هذه المجموعة الأولى من المشكلات لم تكن كافية، غالبًا ما يميل علماء الإبستمولوجيا إلى افتراض وجود أنواع فرعية للرسائل: رسالة الحب، ورسالة الحرب، ورسالة السفر، وما إلى ذلك. لنأخذ الأولى كمثال فقط. لقد تصرف النقاد دائمًا كما لو كان هناك دعم بالإجماع لوجود هذا النوع الفرعي: الجميع يعرف ما هي رسالة الحب. ومع ذلك، الأمر ليس مؤكدًا. الحبيب، على غرار الشرطي الذي قال إنه لا يعرف ما هي المواد الإباحية ولكن يمكنه التعرف عليها تمامًا عندما يراها، قد يتعرف جيدًا على رسالة حب عندما يكتب واحدة أو عندما يتلقى واحدة، لكن هذا لا يمكن أن يكون كافيًا لعالم الابستمولوجيا، الذي يجب أن يكون قادرًا على وصف موضوع دراسته. لذلك هناك سبب للتساؤل عن وجود هذه الأنواع الفرعية (بين أقواس: من الواضح أن كل رسالة هي رسالة حب).

لماذا إذن الاهتمام برسالة السجن في نهاية النظام القديم؟ بدلًا من افتراض أن هناك بالفعل نوعًا فرعيًا محددًا، في الواقع سننطلق من قلب

المنظور والبدء من بضع رسائل من السجن، وفي هذه الحالة ستكون رسائل الماركيز دو ساد بمثابة نموذج للتفكير في ماهية الرسالة في العصر الكلاسيكي. كفرضية، سوف نفترض أن شعرية الرسائل لها خمسة عناصر: علاقة الغياب، إدارة الوقت، التمثيل الذاتي، نشر الرسائل، الحوارية. في بعض المراسلات الكلاسيكية، يجب أيضًا ملاحظة أهمية الشكل الثلاثي. سيساعد التفكير في رسالة السجن الذي ستتم قراءته أدناه في التحقق من هذه الفرضية، لاسيما من حيث التمثيل الذاتي والنشر والشكل الثلاثي.

في أصل كل رسالة، يوجد، بشكل ملموس أو رمزي، غياب:

أحدهما يكتب لأن الآخر غير موجود. لقد سُلط الضوء على درجة الصفر هذه للوضع الرسائلي من خلال كتابة السجن، حيث إن الغياب مفروض عليها. إنه «لا مفر منه»، كما كتب ميراي بونيل وآلان كايلول في رواية أطروحة ـ في رواية ذات أطروحة أدبية، بشكل أكثر دقة ـ بعنوان رسائل الحرية المشروطة: «في السجن، تصبح الرسالة أداة الاتصال الإعلامي بالعالم الخارجي». هذا التعزيز للغياب، أو هذا الغياب من الدرجة الثانية، سيكون له، كما يمكن أن نتخيل، تأثيرات على جميع سمات ممارسة كتابة الرسالة ويجبرنا على تذكر أن هذه الممارسة يمكن تفسيرها على أنها لفتة مزدوجة لتفويض النظرة: أنا لست هناك، قل لي ما تراه؛ أنت لست هنا، سأخبرك بما أراه.

الوضع الزمني لكاتب الرسالة في السجن لا يقل خصوصية عن علاقته بالغياب. إذا كان لديه الكثير من وقت الفراغ، أليس هذا لمجرد حرمانه من حريته؟ بأكثر من طريقة، يتم احتساب زمن السجن: مدة العقوبة التي يمليها القاضي (عندما يكون هناك واحد، وهو ليس الحال دائمًا)، برنامج

متكرر تحدده السلطات، قطيعة بين الحرية السابقة، والجريمة أيضًا، سواء الحقيقية أو المتصورة، وبين السجن الآن، وهذا الآن ينفتح إما على التحرير أو الموت. على المستوى الرسمي، يجب أن نلاحظ، مع ميراي بونيل وآلان كايول، أن التوقيف هو «إيقاف للزمن»؛ وهذا الزمن المعلق هو زمن الداخل، بينما زمن الخارج يأخذ مجراه. لدى روجر كنوبلبيس صيغة واضحة في هذا الصدد: «الزمن مُبيض بالكلور». للالتزام بالقرن الثامن عشر، سنرى ميرابو يقول:

«علاوة على ذلك، أليس في خضم هذا الزمن الهائل، في بعض الأحيان سريعًا جدًا، وحاليًا بطيئًا للغاية، تتضاءل كل آمالنا» و«يتضاعف الزمن بل وأكثر من الضعف بالنسبة لأولئك الذين ليسوا أحرارًا؟»، أو ماري دوران، التي تكتب من برج كونستانس حيث تم حبسها لأسباب دينية: «يبدو الزمن طويلًا بالنسبة لنا، وهو بالفعل كذلك، لأننا بطبيعة الحال غير صبورين، فإن جسدنا يهمس دائمًا». إذا كانت الرغبة في تحديد مرور الزمن، وتكراره كمصدر للمعاناة، من كليشيهات الرسالة، فمن السهل أن نتخيل كيف يغذي الركود الزمني للسجن كتابة السجين، سواء كان كاتب يوميات أو رسائل.

متمثلًا الرسالة، لن يتوقف أبدًا كاتب الرسالة عن إظهار كيف أن غيابه وعلاقته بالزمن تحددهما الجدران التي يكتب بداخلها. إذا كانت أي رسالة تمثل بالضرورة تمثيلًا للذات، فإن رسالة السجن هي في الواقع ذلك الشكل الذي يفرض على نحو مضاعف أن يضع المرء نفسه على المسرح. من ناحية أخرى، غالبًا ما يكون السجين غير مرئي حرفيًا لمحاوره؛ بالضرورة مخفي عن الأنظار، تحديدًا، لم يعد له وجه إلا من خلال الكتابة. من ناحية

أخرى، كثيرًا ما تطلب سجون النظام القديم من المعتقلين توضيح موقفهم للسلطات ما إذا كانوا يرغبون في الحصول على أي امتياز منها؛ سرد الحياة الرسائلية ـ وضع الذات على المسرح تحت نظرة الطرف الآخر ـ موجه بشكل خاص نحو غاية، ليتم التعامل معه بشكل أفضل.

من حيث النشر، الشهادات كثيرة، مما يذكرنا بأن مراقبة السجون تترك بصماتها باستمرار على خطاب السجن. إذا كانت أي رسالة، على الأقل منذ العصر الكلاسيكي، هي تقديريًا رسالة عامة، فإن أي رسالة من السجن هي كذلك بالفعل. لم يعد الأمر يتعلق بالتنبيه لإمكانية قراءة الرسالة أحيانًا من قبل طرف ثالث؛ خلف القضبان، هذه القراءة من قبل طرف ثالث هي أمر طبيعي. ولقد قدم كلود روي في إحدى مجموعاته النثرية المتنوعة التي نُشرت عام 1990، في هذا الصدد، مثالًا جنونيًا ومرعبًا لرسائل صديقه فاتسلاف هافيل: منعته سلطات السجن في بلاده، في رسائله، من الحديث عن حياة السجن والفلسفة، واستخدام الفكاهة، واستخدام الكلمات الأجنبية وعلامة التعجب. في حين أن بعض هذه المحظورات مفهومة، فإن البعض الآخر مجرد مضايقات صغيرة: يمكن تفسير رفض الكلمات الأجنبية بسهولة أكبر من رفض علامات التعجب.

الجانب الأخير من شعرية الرسالة الخاصة: الحوارية، بمعنى إعادة إنتاج الحوار في الكتابة ومن خلالها. إذا كان هناك جانب واحد من الرسالة بالكاد يتأثر بإطار السجن، فقد يكون هذا هو. إذا كانت الرسالة هي البديل للكلمة الحية، سواء كانت ترحب بضجة العالم المباشر أو البعيد، سواء كانت تحل محل أكثر أو أقل الأنشطة اللغوية الرسمية (على سبيل المثال، المحادثة)، سواء كانت تحاكي منطق التبادل الشفوي، إلا

أنه لا شيء فيها غير المبتذل للغاية. إذا كان على المرء أن يميز رسالة السجن على هذا المستوى، فمن المحتمل أن يكون من المناسب الإصرار على البعد النفسي لهذا النوع من الكتابة: عالم السجن الصامت إلى حد ما سيكون موقعًا استثماريًا قويًا، من جانب السجين، في بدائل الكلام. ثمة دراسة لا تزال غير منشورة بقلم «لورانس ل. بونجي حول «دائم التردد على الباستيل» من القرن الثامن عشر، (الجسيم مستعار)، ويذهب «شارل دو جولي» في هذا الاتجاه: تُظهر رسائل «جولي» ذلك برصد أدنى صوت. وساد؟

ليس من الضروري أن نتطرق إلى عناصر الشعرية واحدًا تلو الآخر والتي قمنا بتغطيتها للتو على نحو كبير. وغني عن القول أن الغياب هو أحد الأفكار المهيمنة في نثر ساد الرسائلي: حيث إنه قضى سبعة وعشرين عامًا من حياته في السجن فسيكون الزمن هو أحد هذه الأفكار المهيمنة الأخرى، وهو الزمن الذي يحلم به (وقت تحريره)، وكذلك الطقس اليومي حيث يشتكي من التجرؤ على تغيير أوقات وجباته. من حيث الحوارية، يمكن أن نهتم باستخدام الخط المائل. فلدى ساد كاتب الرسائل، تُظهر هذه الميزة في كتابته مدى اهتمامه بما يقال (ويكتب) من حوله. وبالمثل، يجب أن يكون استخدامه للتكرار مرتبطًا بالخلق المتعمد للتأثيرات الشفوية في نثره. ولكن بالأحرى، فإن مكانة التمثيل الذاتي ودعاية كتابة الرسائل هي التي تستحق الاهتمام لديه.

عندما يضع كاتب الرسائل نفسه على المسرح ـ وهو ما يفعله كل كاتب رسالة بالضرورة ـ ثمة روح تمنح نفسها للقراءة، بالمعنى الذي يطرحه أوليفييه ريبول لهذا المصطلح: «الشخصية الأخلاقية التي يجب أن يبدو

أن المتحدث يتمتع بها، حتى لو لم يكن كذلك في الواقع». ومع ذلك، فإن روح الرسالة السادية لا تفتقد للإدهاش، والتي ترفض بشدة أي مساومة مع المتلقي. من بين معرض الصور السادية لتمثيل الذات، نجد ثلاثاً تطرح بشكل ممتاز هذا السؤال عن الروح وانزلاقها: السيميولوجي المجنون، وعالم البلاغة، والأرستقراطي.

كتب «رولان بارت»، في عام 1977: «بالنسبة لعالِم دلالات المعنى، حتى لو كانت نزهة في السوق، فليس هناك ما هو أكثر إثارة من رؤية الازدهار الصامت للمعنى في نظرة». إن السيميولوجي ـ الذي سيحل محل عالِم الدلالات لأغراض برهانية ـ سيرى المعنى بينما لن يرى الآخرون سوى أشياء. ساد هو سيميولوجي بالفعل يرى ذلك المعنى في حين إنه غير متأكد تمامًا من أن الآخرين كانوا يرغبون في وضعه. لكن لماذا هو مجنون؟ سيجيب مثالان على هذا السؤال. الأول: عندما يقرأ ساد «لكن توقف، **mais cesse**» في رسالة يتلقاها من زوجته، يستنتج إنها «16 مايو16 **mai**» ويفهم أنه سيطلق سراحه في ذلك اليوم. الثاني: صديقتي العزيزة، لك أن تتخيلي أنه بعد الهدوء البسيط الذي أسكنته روحي، مدى القلق المروع الذي أعربت لك عنه مؤخرًا من هذا الاحتجاز الطويل، الذي لا يزال علي الخوف منه وفقًا لجميع أرقامك، وخاصة وفقًا لـ «سانت أور»، والتي تعني 58، والتي تقع بشكل مؤكد في هذا الوقت من يونيو 1783، وأقول لك، يجب أن تتخيلي جيدًا، وفقًا لذلك، أنني أعذب بقسوة.

ملاحظة محرر النص، مارك بافات، ضرورية لذكائها:

انتقلت السيدة دو ساد لتوها إلى دير القديسة «سانت أور»، التي يُحتفل بعيدها في 5 أكتوبر، وهو التاريخ الذي يعني وفقًا للماركيز 58

وهو ما يشير له أن مدة احتجازه ثمانية وخمسين شهرًا. لذلك يجب أن تنتهي في يونيو 1783.

لم يفت نقد ساد تناول ما يسميه هو نفسه «نظامه العددي»: لقد تحدث عن «التراكم المحاسبي»، و«الهذيان العددي»، و«علم الأعداد الشخصي»، و«الهذيان العددي» («الهذيان الرقمي»)، أو حتى «ذهان الأرقام». يجب أن يقال أيضًا إن ساد، عندما يبحث بجنون عن الإشارات، يكون أولًا وقبل كل شيء قارئًا للحروف: القارئ الذي يريد أن يعطيها معنى، وهو من أتباع القسر الرمزي، يكون القارئ ساد بخلاف ذلك، عندما يكلف نفسه بمهمة تفكيك الجهاز الحجاجي لخصومه. هذا واضح بشكل خاص في رسالة يوليو 1783 وفيها يشرح لماذا من السخف منعه من قراءة روسو. في أطول فقرتين في الرسالة، يسخر الخطيب بقوة من سجانيه، والأفضل من ذلك، من لغتهم. على المستوى الأول، يهاجم أفكارهم الأخلاقية: في مكانه، لا يستطيع روسو فعل أي شيء لساد. إنه درس ـ الكلمة ليست قوية جدًا ـ النسبية ودرس قراءة: إن حرماني من اعترافات جان جاك روسو لا يزال أمرًا ممتازًا، خاصة بعد أن أُرسلت لي أعمال لوكريتوس ومحاورات فولتير؛ هذا أمر يدل على فطنة عظيمة، وفهم قانوني عميق لدى قادتك. للأسف، يجعلونني بكل شرف، أصدق أن مؤلفًا مؤمنًا يمكن أن يكون كاتبًا سيئًا بالنسبة إليَّ؛ وأتمنَّى لو أكون هنا. أنتم لستم ساميين في وسائل العلاج، أيها السادة المديرون! فلتعلموا أن مكانكم هو ما يجعل شيئًا ما جيدًا أو سيئًا، وليس الشيء في حد ذاته. يُشفى الفلاحون الروس من الحمى بالزرنيخ؛ ومع ذلك، فإن معدة امرأة جميلة لن تتوافق مع هذا العلاج، لذا فهذا دليل على أن كل شيء نسبي. انطلقوا من هذه النقطة، أيها السادة،

ولتتحلَّوْا بالحس السليم لتفهموا، وترسلوا الكتاب الذي أطلبه منكم. إن روسو يمكن أن يكون مؤلفًا خطيرًا للمتعصبين المتزمتين من نوعكم، وهو بمثابة كتاب ممتاز بالنسبة إليَّ. يمثل جان جاك بالنسبة إلي ما تمثله بالنسبة إليكم تعاليم يسوع المسيح.

وهو أيضًا درس في البلاغة: على المستوى الثاني المذكور سابقًا، المستوى اللغوي، ماذا يفعل كاتب الرسالة؟ تحب الرواية الخليعة الكلاسيكية أن تكتب بلغة الرسالة التي تتظاهر بأنها بعيدة عن احترام الأخلاق؛ قبل عام من كتابة هذه الرسالة، استخدم لاكلو هذه التقنية على نطاق واسع في رواية العلاقات الخطرة. ساد، من جهته، يقلب الموقف، بإبعاد لغة سجانيه، وهي لغة أرثوذكسية: «خطيئة الجسد»، «الطريق الصالح»، «طريق الشرف»، «الذرائع الفلسفية»،»الانحرافات الخطيرة «، «انحرافات غير شريفة».

تسير القراءة والإقناع جنبًا إلى جنب مع ساد كاتب الرسائل: القراءة لنفسك، وقراءة الآخرين، وإقناع الآخرين الذين أخطأوا القراءة لأنهم قرأوا بشكل خاطئ. الخطيب هو أيضًا متعجرف، والذي يسمى متعجرف في العصر الكلاسيكي يطلق عليه على الفور أرستقراطي. والأرستقراطي، ساد، لا يتوقف عن القول إنه كذلك.

تأمل في مفتتح الرسالة نفسها في يوليو 1783:

الملكة المحبوبة، لا يوجد شيء ممتع حقًا مثل وقاحة كتبتك. إذا لم يكونوا متأكدين تمامًا من أن أرقامك عبارة عن ألغاز (بالتأكيد بما يتَّسق تمامًا مع طريقة تفكيري)، فسيكون هناك ما يكفي حقًا لمنح كتبتك دفعة قوية من ضربات العصا يومًا ما.

آه! إنهم يؤطرون أيامي الآن! المقلب جيدا! الأمر متروك لكِ، أيتها الأميرة الساحرة، متروك لك لأنك من ستحضرين حفل عشاء مع السيدة «جوبي» (الآن في المشفى)، الأمر متروك لك، كما أقول، لمشاركة أوقات «المارتان»، و«الألبير»، و«الفولوازو»! وغيرهم من الأوغاد من هذه الأنواع التي ستجدينها جيدة، بينما تبدو لي مثل خيول الكابينة المخصصة للضرب أو لخدمة الجمهور من جميع الأنواع في كل ساعة وكل يوم.

إلى من يتحد؟ إلى «ملكة جميلة»، إلى «أميرة ساحرة». من يُهدد؟ «الكتبة»، «الأوغاد» الذين لا تساوي قيمتهم أكثر من «خيول الكابينة».

بماذا يهددهم؟ بإعطائهم «دفعة قوية من ضربات العصا»، وضربهم، وإجبارهم على «الخدمة» في جميع الأوقات. من المتحدث؟ أرستقراطي مشبع برتبته، شخص يدعي مرارًا وتكرارًا أنه يعتمد فقط على الملك.

إن معرض التمثيلات الذاتية الذي مررنا به للتو يفترض دائمًا محادثة ممتدة النطاق. كما يقول فيليب روجر، «بالنسبة إلى ساد كاتب الرسائل، يمكن للمرسل إليه أن يخفي دائمًا آخر ـ مستهدفًا أو غير مستهدف، مرغوبًا أو غير مرغوب فيه.

لذلك لا يتحدث ساد مع زوجته رينيه بيلاجي دي مونتروي فقط؛ لديه جمهور. هذا الجمهور هو أولًا وقبل كل شيء سجانوه، أولئك الذين يناشدهم في الرسائل المسماة «إلى زوجته» «السادة المديرون»، و«السادة»، و«المديرون». وهي أيضًا حماته، الرئيسة مونتروي: «الآن أوجه كلامي إلى حماتي، العادلة والمنصفة [...]. لا يزال لديه جمهور غير محدد، سواء كان لا نهائياً ـ «أنا أؤكد للكون كله» ـ أو صغير لا متناهي -

«هذه رسالة ليست موجهة إلى أي شخص». كاتب الرسالة يعرف ذلك ويواصل قوله: قبل مغادرته السجن، إن رسائله يقرؤها رجال السلطة؛ بمجرد الخروج من أسواره، ستعيش حياة خاصة بها.

كتّأب الرسائل، كما يذكر ساد، ليسوا وحدهم أبدًا في العالم. يجب عليه أن يشرح ذلك، ولا يعتذر عنه: «على الرغم من انحرافاتي الوقحة، فإن الرسالة موجهة إليك دائمًا»، كما يقول لزوجته في أبريل 1780.

يعد مثل هذا الإعلان عن الرسائل أمرًا شائعًا في العصر الكلاسيكي: تحتوي تداولية دوائر الرسالة على أسباب لا يعرفها المنطق. هنالك يبرز ساد عندما يهاجم بعنف قراءه الأوائل، السجانين، الذين لهم الحق في الحياة أو الموت فيما يتعلق بمراسلاته. إنه يعلم جيدًا أنهم قرأوها: لماذا يُطلق عليهم «وحوش ذات قرون»، ما الغاية التي يسعى إليها عندما يكتب ما يلي؟

لا يوجد سبب يمنعك من تلقي هذه الرسالة والرد عليها، وبما أنني أمدح أفعال الملك الجيدة، فإن استبعادها سيثبت بوضوح أن أولئك الذين تمر بأيديهم أصدقاء لسارتين أكثر منهم مواطنين صالحين.

لا تفتقد التفسيرات النفسية لمثل هذه اللفتة الانتحارية: الماسوشية (أكتب لأعاقب)؛ الاستسلام (أكتب وأنا أعلم أنه ليست لدي قوة)؛ النرجسية (لا أحد يستحق أن يراقبني)؛ التعظيم الذاتي الأرستقراطي (لن يجرؤ أحد على فرض الرقابة علي). هناك أيضًا معنى رسائلي أكثر ملاءمة لهذه الإيماءة. الرسالة، كما يشير ساد، إنها للمجتمع؛ فكاتب الرسالة، بطبيعته، يعيش تحت نظام الحوار المفتوح، لا توجد رسالة شخصانية.

مع العلم أنه تحت «عين الوزير اليقظة» أو تحت «عين الحكومة»، ويأسف لأنه لا يكون أبدًا «بلا عين» - أي دون مراقبة، سيحاول ساد، على الرغم من كل شيء، ولكن للمفارقة، أن يوفر لنفسه مساحة من الحرية الرسائلية. هناك حلان متاحان له: التشفير أو إخفاء المعلومات. في البداية، نستخدم شفرة؛ وبعد ذلك، تُخفى رسالة في أخرى، مكتوبة بالحبر غير المرئي، حيث يستخدم عصير الليمون، والحليب. نرى هنا مرة أخرى مجتمع قراء السجن «الجلادين» (في أماكن متفرقة)، «القامعون»، «المختصرون»، «المدققون» الذين ينبغي خداعهم من الآن فصاعدًا.

رفض ساد دوره مرة أخرى، ومع ذلك، في رسائله يعرف أن «الطغاة» سيقرؤونها، يكشف عن الشفرة التي يستخدمها، ووسائل إخفاء المعلومات التي يستخدمها. ولا يتعلق الأمر هنا بتناقض شديد بالنسبة للشخص الذي اختار أن يبتكر، تحت النظرات المتبادلة لمتلقي رسائله وسجانيه، شخصيات جديدة بالرسالة، ولكن فيما يتعلق بالشخصيات التي ترفض الامتثال للقواعد التي يجب أن يذعن لها من الآن فصاعدًا.

يتضمن تعداد ملامح الرسالة الخاصة التي فتحت هذا التأمل على رسالة السجن، ملاحظة على الرسالة الثلاثية، على وجود أطراف ثالثة في الرسالة. ستسمح لنا العودة إلى هذا باستنتاج ما يلي:

الملاحظة الأولى: ساد حاضر بشكل كبير في رسائله كعالم سيميولوجي، وبالتالي كمؤول؛ كبلاغي، وبالتالي كمحاور مراوغ؛ كأرستقراطي، وبالتالي كحارس على تفوق موروث لا جدال فيه.
الملاحظة الثانية: مراسلاته مليئة بأطراف ثالثة، سواء مرغوب فيها أو غير مرغوب فيها، مقدرة أو غير مقدرة. لماذا هذه الأطراف الثالثة؟

لماذا لا يكفي اسم المستلم المحدد في الرسائل؟ في رسائل السجن ـ لاحظ النقاد في كثير من الأحيان ـ يحاول ساد الانتقال من حالة سجين ملموسة (ضحية، شهيد) إلى حالة أكثر إيجابية (من قبل تمثيلات الذات التي رأيناها). يريد تحويل الهزيمة الموضوعية إلى نصر ذاتي وإثبات تفوقه الفكري. للقيام بذلك، يجب أن يفعل ثلاثة أشياء.

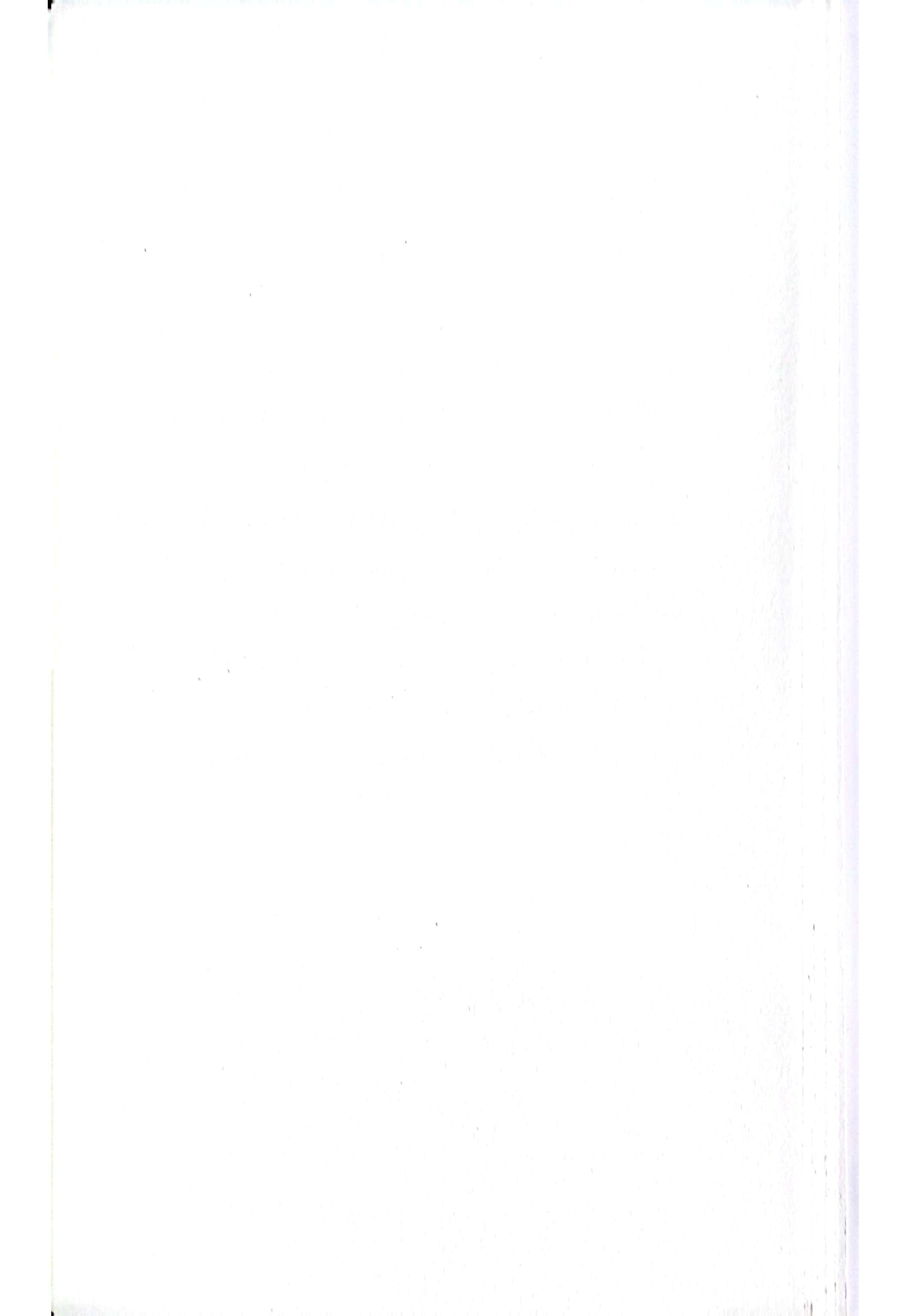
عليه أن يختار شكلًا: ستكون الرسالة هي الناقل لهذا البرهان، والأفضل من الرواية، غير المقبولة جذريًا لسجانيه؛ الآن تتميز الرسالة بتمثيل الطرف الثالث. يجب أن يرفض السمات المعتادة لروح الرسالة:

على عكس السجين النموذجي، يرفض ساد «بث الثقة في جمهوره» ويلعب بالورقة الأرستقراطية بالكامل؛ النبيل يعرّف نفسه ضد الرتب الدنيا وبالتالي يحتاج إلى أطراف ثالثة. إنه أخيرًا يحتاج إلى جمهور، وليس زوجته فقط: ما الفائدة التي سيحصل عليها من حالة لا يملك فيها سوى شخص واحد لإقناعه؟ هذه هي الشروط السادية الثلاثة للتألق في المجتمع الرسائلي. ومع ذلك، يجب أن نكون حريصين على نسيان أن هذا المجتمع يخضع لقاعدة ـ مفهومة بمعناها الإصلاحي ـ لن تكون أبدًا هي قاعدة الكاتب. ساد ليس حرًا ولا حرًا في كتابة ما يريد (على الأقل إذا كان يريد أن يُقرأ خلف الجدران). هذا ما يمكن أن تعلمه الرسالة من السجن لقارئ الرسالة الخاصة: إذا افترض المرء هويات مختلفة فيها، فذلك للخروج من حالته، والخروج من حالته يتطلب جمهورًا، لكن هذا الجمهور هو الذي يحدد الكتابة. قراءة الرسالة. وهذا ما يجعلنا نقول: كل رسالة هي رسالة سجن.

الرسائل

كزوج محبوب، وصهر مثالي، ينجح «دوناتيان» في دخوله إلى عائلة «مونتروي» مما يضمن له راحة مالية وشبكة علاقات واعدة. ومع ذلك، سرعان ما تستيقظ شياطين الماركيز.

لقد استأجر بيتًا سريًّا من أجل ملذّاته، في شارع موفيتار حيث أحضر دو ساد إليه، في 18 أكتوبر 1763، جين تستار، وهي عاملة شابة من المعجبات وعاهرة في بعض الأحيان. بعد ليلة من الفجور حيث تتناوب الملذات المحرَّمة وأفعال التدنيس، قُبض على دو ساد بسبب إدانة رفيقة اللعبة، وفضْحها ممارسات زبونها الاستفزازية. بأمرٍ من الملك، سُجن دوناتيان في قلعة دو فينسين. كتب على الفور إلى نقيب الملك لطلب العفو عنه.



(2 نوفمبر 1763)

إلى السيد سارتين، القائد العام للشرطة

[...] أنا غير سعيد تمامًا لأنني أجد نفسي هنا[1]، لا أشكو، يا سيدي، من مصيري؛ فأنا أستحق انتقام الله، أشعر به؛ أبكي على ذنوبي، كراهية أخطائي هي انشغالي الوحيد. وا حسرتاه! يستطيع الله أن يمحقَني دون أن يمنحني الوقت لأعرف هذه الأخطاء وأشعر بها، أي شكر لا ينبغي أن يفيه لأنه أتاح لي العودة إلى نفسي!

فلتمكنِّي من ذلك، من فضلك، يا سيدي، بالسماح لي برؤية كاهن. بتعاليمه الحسنة وتوبتي الصادقة، آمل أن أتمكَّن قريبًا من الاقتراب من الأسرار المقدسة الإلهية التي أصبح إهمالها الكامل هو السبب الأول لضياعي [...]. آمل أيضًا، يا سيدي، ألا تطَّلع عائلتي على الموضوع الحقيقي لاحتجازي، سوف أكون ضائعًا بلا حول ولا قوة في أذهانهم. [...]

دو ساد

بمجرد أن تنتقل مايل كوليه إلى أحضان أخرى، يفتن دو ساد بمومس جديدة: بوفوازين.

---

(1) في قلعة فينسين.

لقد ملك عليه هذا الشغفُ نفسَه، حيث رافقت الماركيز إلى بروفانس في ربيع عام 1765 في قلعة لا كوست، حيث نقلها هذا الأخير... من أجل زوجته. هذا يثير غضب عائلته وخاصة غضب الأب دو ساد، وهو عادةً ما يكون ليِّن الجانب. خيانةٌ شعر بها دوناتيان بعمقٍ وهو ما سيعبِّر عنه في رسالة انتقامية إلى عمته.

[خريف 1765]

إلى رئيسة دير سان بينوا

لقد كانت توبيخاتكِ مبتذلةً بعض الشيء يا عمتي العزيزة. الحقيقة أقول لكِ، لم أكن أتوقَّع أن أجد مثل هذه الكلمات القوية على لسان راهبة متديِّنة. لا يمكن أن أقبل، أو أخضع، أو أسمح، بأن يعتبر الشخص الموجود في البيت معي زوجتي، لقد أخبرت الجميع بالعكس. أخبرني السيد الكاهن ألا تجعل الأمر على هذا النحو، لكن دع أولئك يقولوا ما يريدون، على الرغم من أنك تخبرهم بالعكس تمامًا. هذه هي نصيحته التي أتبعها. عندما تعيش إحدى أخواتك، متزوجة مثلي، علانية هنا مع عشيقها، هل كنتِ ستعتبرين قلعة لا كوست مكانًا ملعونًا؟ أنا لست مؤذيًا أكثر منها، وكلانا لن يفعل سوى القليل. بالنسبة إلى الشخص الذي حصلت منه على ما قلته لي، كل كاهن كذلك، لديه دائمًا زوج من العاهرات في منزله، معذرةً لاستخدام الكلمات نفسها التي تستخدمينها، أليست قلعته عبارة عن سراري، لا، إنها على الأفضل أنها أب...

سامحيني على معابتي، إنها روح العائلة التي توجد داخلي، وإذا كان هناك شيء واحد ألوم نفسي عليه، فهو أنني قد ولدت هناك. حفظني اللّٰه من كل السخافات والرذائل التي تعج بها. أعتقد أنني سأكون فاضلًا إذا منحني اللّٰه نعمة أن أتبنَّى جزءًا منها فقط.

فلتتلقي عمتي العزيزة تأكيدات احترامي.

دو ساد

بعد أسابيع قليلة، المصالحة مع الأب دو ساد تم تكريسها من خلال رسالة طويلة، مزيج بارع من الاعتراف والدفاع عن النفس، يعزو دوناتيان أخطاءه إلى الزواج التعِس وضعف شخصيته. غالبًا ما يستخدم دو ساد، الشغوفُ بالمسرح، مراسلاته كمسرح عام حيث يأتي، كممثل بارع، ليلعب دوره الخاص.

[باريس، سبتمبر 1765]

إلى الأب دو ساد

أنت تلومني بقسوة شديدة يا عمي العزيز، وهذا اللوم، أقسم لك، لم أكن أتوقعه. خطئي الأول، بلا شك، كان اختيار رفيقة السفر[1] هذه، لكن بعد ذلك، كان من الصعب عليَّ أن أتركها هناك. لم أكن لأذهب لتناول العشاء في «ليل»[2] إذا لم تجعلني، نقول، إنك لا تريدنا؛ هل كان بوسعي أن أرفض أن أريها النافورة[3]؟ ومن أجل رؤيتها، أليس من الضروري لعدم قدرتنا على تناول العشاء في «سومان»[4]، أنه ينبغي أن نتناول العشاء في «ليل»؟

ومع ذلك، أعتقد، عمي العزيز، أنَّ تصرفاتي في هذا الصيف، لا يوجد بها سوى أخطاء من النوع الذي تقول لي إنك يمكن أن تسامحني عليه؛ لا أرى أنها تعرِّض شرفي ونزاهتي للخطر بأي شكل من الأشكال. وأندهش إذا كان الأشخاص الذين أجبروني على الذهاب إلى لا كوست هم من

(1) مفتونًا جدًّا بعشيقته المذكورة، المحظية بوفوازين، أحضرها دو ساد في العيد إلى قصره في لا كوست.

(2) تشتهر اليوم أكثر باسم Isle – sur – la – Sorgue، بالقرب من أفينيون.

(3) عودة انبجاس نافورة فوكلوز الشهيرة.

(4) سومان، أحد القصور العائلية الثلاثة، مع مازان ولا كوست. هذا هو المكان الذي يعيش فيه الأب دو ساد.

يشتكون مني، وأنا لا أقرِّع نفسي من أجل أي ندل، [...] لقد ظلمنا النساء، لا تصدق ذلك أبدًا يا عمي، اللاتي أراهن قد يفسدن العقل، ولكن ليس القلب. ما هو مؤكد أنني أجد دائمًا عندما أنظر في أعماقي، أنني أدين لك بمشاعر الامتنان والصداقة؛ مهما كان السيد يعتقد أنني سلَّمت نفسي لامرأة، فإنها لن تطفئها في قلبي أبدًا، فهي مكتوبة هناك ببركاتك، وستظل دائمًا محفورة هناك.

نعم، سأكون أسعد بلا شك إذا أحببت زوجتي، لكن هل أنا سيد هذا الشعور، لقد فعلت المستحيل، عمي العزيز، للتغلُّب على الاشمئزاز الذي بعثْته في نفسي منذ اللحظة الأولى، لم يسبق لي أن فعلت ذلك. لم أكن أبدًا السيد، من يعرف أكثر منك كيف تزوجت، وتحت أي ظروف، كانت فرصتي للعدول عن كلامي عندما وصلت إلى باريس؛ لكن كانت قد أجريت جميع الاستعدادات، ووقَّع الملك، وهو أمر لم يكن أبدًا دون حضور الخطيب، وهي ملاحظة أشارت إليها كل باريس! حسنًا، لقد فعلت ما لا يجب على رجلٍ أمين أن يفعله أبدًا، لقد وعدت بلساني بما لا يستطيع قلبي أن يحافظ عليه، وتوقَّفْ عن تصديق أنني قد خطبت لأنني لم أكن كذلك سوى شكليًّا فقط، لقد اعتقدت أن كل واجبي هو إخفاء مشاعري الحقيقية.

تقريبًا كنت أخدع نفسي والتزامي الكذب بتخدير مشاعر قلبي الحقيقية، خففت من واجبي المنزلي لفترة بإخفاء كراهيتي، تعبت من الاصطناع لفترة طويلة ومن أن أقول لمدة عامين أحبك دون تفكير؛ حاولت التفكير في الأمر من أجل الاستمتاع بقول هذه الكلمة. عشت بشكل واضح حينئذ، لكني كنت ألوم نفسي على الخداع، وخططت أن أمارس الخداع بشكل

أفضل. لكن سواء كان هناك قدر أقل من الزيف، أو أن قلبي ظُلم، فلم أشعر بالندم نفسه.

هذا ما أنا عليه، وضع رهيب بلا شك ولكنه أقل قسوة مما كنت عليه. آه! صدِّقني عمي العزيز، إنني أستحقُّ الرثاء أكثر مما أستحق اللوم. أتمنَّى بالفعل ألا تتحدث عن هذه الرسالة، لا يوجد أحد في العالم يمكنني الوثوق به لكتابة هذا، أشكرك على كل ما كتبته إلى حماتي، لقد أظهرت بعضًا منه، إنها أقل بكثير من الحقيقة، وأيًّا ما كانت صيغتها، فلقد ظلمت بشكل لا يتخيل.

السيد «دو بوجون»[1] هوَ أقل الرجال صبرًا في العالم ولا شيء يناسبه؛ لم يقل أبدًا في حياته إنه كتب مثل هذه المذكرة الجافة، ليس لديه لقب فخري وحيد، إنه يشك في أن الملك سيقبلني بمثل هذه المذكرة. ما يعزِّيني هو أنه يقول الشيء نفسه تقريبًا للجميع؛ أتوسَّل إليك دائمًا يا عمي العزيز بأن ترسل دائمًا كل ما تستطيع لإرضائه.

دو ساد

مثل كل مرة تنتهي هذه العلاقة بشكل سيئ، لكن هنا، إنها «بوفوازان» التي تتحمل العبء الأكبر. تقع في الحب، تجد نفسها حاملًا وترهن مجوهراتها لسداد ديون عشيقها. ستجهض ولن ترى لون مالها مرة أخرى. بعد أن تعافت من ارتباكها، اختارت حاميًا جديدًا أكثر تفهمًا، ما من شأنه أن ينتهي الأمر مع دو ساد، الذي تغلبت عليه الغيرة، بخطاب وحشي من الحقد الغرامي.

(1) عالم الأنساب، المسؤول عن جمع الأدلة وألقاب النبلاء في دو ساد، لتقديم عرض رسمي إلى المحكمة، تم تأجيل العرض بسبب مغامرات الماركيز.

[أوائل عام 1766]

إلى بوفوازان

ها أنت غير مُقَنَّعة أيتها الوحش! خبثك في أوجه. الحيلة فظة جدًّا: ما الغرض من استخدام رسالة مجهولة؟ كان عليك فقط أن تقولي إنك تريدين التخلِّي عني؛ لم أكن لأراك بالقوة. يمكنني الانتقام، وأن أعيده إليك وأنتزعه منك بمثل هذه الحيلة التي تمنحك الأمل: لكنني لن ألجأ أبدًا إلى مثل هذه الوسائل الخسيسة. إنها تليق بك أيتها الوحش المروع. اذهبي، لتعيديني إلى نفسي؛ أكرهك أنت وأشباهك طوال حياتي.

لن أنتقم لنفسي منك. أنت لا تستحقين كل هذا العناء. الازدراء المسيطر عليَّ هو الشعور الوحيد الذي يمكن أن يشعر به قلبي اتجاهك. وداعًا، خذي غزوتك الجديدة، وسوف تنفصلين عنها بالخبث نفسه الذي جعلك الفن تستخدمينه معي. عندما يؤول أمرك إلى الجفاف يومًا ما، عندما يتبدَّد وهم الملذَّات، والطموح الذي يلتهمك، فلن تستطيعي أن تمنعي نفسك من الشعور بالندم الذي يجب أن يوجِع قلبًا مثل قلبك. ستشعرين حينئذٍ بكل رعبِ زيفِك المقيت. حاشا للّٰه أن تتوبي وأن تنزعجي لأنك جعلتِني أشعر بكلِّ الضربات! كما أخبرتكِ، بإمكاني أن أكتب رسائل مجهولة المصدر ضدك، لكنني لن أقتدي بك. لا يوجد سوى الكذابين أو الأوغاد الذين يكتبون عن ذلك. لم تعد تفاجئني رسائلك. وداعًا، لن أزعج نفسي

بعد الآن، لن أراك مرة أخرى في حياتي. هذا ما تريدينه، أليس كذلك يا وحش الجحود والزيف؟ فلتسعدي، ولن أعكّر صفو سعادتك، فليكن، إذا استطعت، على الرغم من الإفراط في المصائب التي تغرقيني فيها. إنها سمة مميزة لرسائلك التي تكون على حساب سذاجة الأشخاص المحترمين وحسن نواياهم.

دو ساد

جعلته وفاة والده في يناير 1767 ماركيز دو ساد جديد. خلال الصيف ينتقل إلى بروفانس لتلقّي بيعة الولاء والطاعة الإقطاعية من أتباعه. في نهاية العام، بعد ولادة ابنه الأول لوي ماري، يبدو أنه أصبح رب أسرة متأنيًا ووديعًا.

في غضون ذلك، في باريس، المفتش ماريه، المكلف بمراقبة الماركيز منذ أعماله الطائشة الأولى، يكتب هذه الجملة الاستهلالية: «سنسمع قريبًا عن الماركيز دو ساد».

في 12 أبريل 1768 أبلغ دو ساد عمه عن «المحنة التي رزح تحتها» والتي قادته إلى السجن. قبل أيام قليلة، كان الماركيز يقود متسوّلة تُدعى «روز كيلر» إلى منزل استأجره في ضاحية «أركوي» حيث يجلدها بشدة ويجرحها. الضحية التي تمكّنت من الفرار تبلغ السلطات. ألقي القبض على دو ساد على الفور واقتيد إلى الحجز.

(I2 أبريل 1768)

إلى الأب دو ساد

أمرٌ مؤسف جعلني، يا عمي العزيز، أُعتقل وأُقاد إلى قصر سومور[1]. عائلتي، التي ترغب في الوقوف بجانبي والمطالبة بإطلاق سراحي، نجحت في القيام بذلك وسوف يشرح لك تفاصيل قصتي الأب أمبليه[2] الذي قادني إلى هناك. باسم المحنة التي تسحقني وتطاردني، فلتسامحني على كل أخطائي تجاهك، ولتحمل لي من كل هذا عمي العزيز روح السلام، بدلًا من روح الانتقام التي كان يجب أن أستحقها منك. إذا كانت القصة قد انتشرت في البلد، فيمكنك دعم زيفها والقول إنني في كتيبتي [...]. اكتب لي أرجوك عمي العزيز لا تتخلَّ عني؛ سوف تخفِّف براهين صداقتك لي من مصيبتي...

دو ساد

بعد احتجازه لعدة أشهر في قصر بيير إنسيز، بالقرب من ليون (إجراءٌ يهدف إلى الحدِّ من الفضيحة حيث بدأ ينتشر اللغط)، أصبح دو ساد قيد الإقامة الجبرية في أرضه البروفنسية، في قلعة لا كوست. على الفور أخبر مدير أعماله، المحامي فاج.

---

(1) السجن الذي اعتُقل فيه دو ساد.

(2) مُعلم دو ساد الذي سيتدخل مرات عديدة من أجله.

26 مارس 1769

إلى فاج[1]

[...] إلى أيِّ مدى ستظل ضيِّق الخلق، عزيزي السيد فاج، وكم سيجد غضبك مبررات صائبة كي يثور! كم ستصبح خطبك أكثر سخونة، وأكثر ضرورية، وأكثر إلحاحًا! كم ستصبح تمثيلاتك شرعية! كم سترى من المصائب والاضطرابات والاختلالات!

وأخيرًا، سوف تغمرك اللعنات الصائبة، وأبشع الألفاظ التي يستحقها الحارسان البغيضان اللذان يلزماني بإطالة إقامتي في هذا البلد! ولكن من ناحية أخرى، يا له من مديح ستسخى به عليَّ! والكثير من النعم سوف تعطيني! كم ستقول عني وتظن بي بالفعل، عندما تعلم أني بفخر وبطولة مصمم على أن أنتزع نفسي من هذا المكان النتن، فإنني أمسك كلًّا من حارسيَّ المنحطيْن بيد واحدة وأقذفهما معًا إلى قاع البحر، ألقيت بنفسي على عربة النصر لتأخذني نحو سهول لا كوست اللازوردية.

كل هذا، صباح الثلاثاء، دون أن يتمكَّن أي شيء من الوقوف في طريق مثل هذه المشاريع النبيلة. [...]

دو ساد

---

(1) فرانسوا فاج: محامٍ وكاتب العدل في أبت، وهو مدير ممتلكات دو ساد في الفترة من 1767 إلى 1774.

بعد أن أصبح أبًا لابن ثانٍ ولم يعد يتم الحديث عنه، يرجع دو ساد إلى باريس حيث يعود إلى الخدمة العسكرية. ومع ذلك، بينما بدأ تحسُّن وضعه الاجتماعي، ساءت حالته المالية، من ناحية أخرى، مما دفعه إلى السعي لبيع جزء من أرضه.

[باريس، 19 مارس 1771]

إلى الأب دو ساد

لقد أكدوا لي عمي العزيز أنك كنت لطيفًا بما يكفي لتفكِّر فيَّ، وأن تكتب حتى لشخص بينما لم تكن تعرف ما كان يحدث لي: أعترف لك عمي العزيز بأن مجرد الخوف من إزعاجك يمنعني من الكتابة إليك وأنني سوف أغتنم هذه الحرية أكثر من ذلك بكثير إذا تخيلت أنه يمكنك أن تجد أدنى متعة في هذه العلاقة.

اسمح لي أن أخبرك عن الرتبة الجديدة التي رُقيت إليها للتو، لقد عينني الملك مؤخرًا عقيدًا يتبع سلاح الفرسان[1]، هأنذا الآن أضع قدمي في الركاب وبالتأكيد أشق طريقي. أود ألا تخبر أحدًا بذلك سوى العائلة، لقد أخبرني بهذا الأمر فقط السيد الماركيز دي فوييه[2] الذي حقق هذا التدبير من أجلي ولم يقرَّه الوزير بعدُ، يجب إخفاؤه حتى يتم تأكيده مباشرة من قبله.

ثم ستخبرك صحيفة الجازيت بذلك، لكنني أعتقد أنني كنت سأخل بما ينبغي عليَّ تجاهك، يا عمي العزيز، إذا سمحتُ لك بسماع مثل هذه الأخبار المهمة جدًّا بالنسبة إليَّ من العامة.

---

(1) عُينِّ دو ساد بموجب البراءة قائدًا لسلاح الفرسان 1771.

(2) ماري رينيه دو فوييه، كونت أرجنسون، نجل وزير الدولة للحرب السابق في عهد لويس الخامس عشر.

ـ لا بدَّ أنك أُخبرت برغبتي في التخلص من بيت «كابان»[1] الريفي الواقع بالقرب من «أرل»؛ لقد كنت طيبًا بما يكفي بأنك وعدتني بالتوضيحات الممكنة حول كل هذا، لذلك أتوسَّل إليك بشكل عاجل جدًّا، عمي العزيز، ليس فقط لرغبتي في عدم رفض هذا، ولكن أيضًا لمساعدتي بكل قوتك كي أنجح في بيعه. [...]

من فضلك فلتملِّ علي أوامرك، عمي العزيز، وكلِّفني بمهامك في هذا البلد، آمِن قبل كل شيء بأنني سأجد نفسي طوال حياتي سعيدًا جدًّا لتمكني من إقناعك ولمشاعر الاحترام والامتنان التي سأكون بها دائمًا عمي العزيز خادمك المـ[طيع] جدًّا.

[دو ساد]

قبل كل شيء، يرجى الاحتفاظ بسرية ما تشرَّفت بإخبارك به حتى يتم نشر هذا كله على الملأ. الكشف عن ذلك يمكن أن يؤذيني.

19 مارس

إذًا، في رسالته السابقة، أعلن دو ساد أنه كان «متأكدًا من أنه يشق طريقه»، تصبح هذه الطريق مرة أخرى متعرِّجة للغاية لأنه، بعد ثلاثة أشهر، كتب مرة أخرى إلى عمه للدفاع عن نفسه أمام اتهامه بأنه عاشق لشقيقة زوجته الراهبة. ينكر هذا بشدة، وليس دون دهاء، لأن الماركيز كان على علاقة بأخت زوجته، آن بروسبير، منذ أكثر من عام.

---

(1) يقع في كامارج، أحد ممتلكات دو ساد البروفنسالية الأربعة، مع قصور لا كوست وسومان ومازان.

(باريس، 15 يونيو 1771)

إلى الأب دو ساد

لقد ذهبت، عمي العزيز، عدة مرات إلى منزل الدوق برانكا[1]، كي أتمكَّن من الحصول على مساعدته، لكن لم يحالفني الحظ بما يكفي لمقابلته في منزله. وضعت وثائقي بين يدي رجل يعرفه كثيرًا ووعدني بالردِّ في غضون أسبوع، سأرسله إليك على الفور.

البطاقة الصغيرة المرفقة بها، كما أتخيَّل، رد يحلو لك فيما قاله لي «أمبليه» عنك، أنا سعيد جدًّا، عمي العزيز، لأنني قادر على فعل كل ما يمكن أن يسرَّك ولن أشكو إلا من ندرة الفرص التي توفِّرها لي.

وبناء عليه، تلقَّيت حضرتك رسالة من الرئيسة[2]، ألم تكن باردة إلى حدٍّ ما؟ قد تعتقد أنه في خضمِّ نعيمي وحكمتي الشديدة، فإن السيدة العزيزة راضية عني للغاية، لا على الإطلاق، أوهام أخرى وأحزان أخرى تنكِّد عليها اليوم. لكنني، حقيقة، أريد أن أسلي وحدتك قليلًا. من بين هذه العائلة، الفاضلة والفظة في آن، لقد ظهر ملاك سماوي، الذي بكل وسائل الراحة المادية والمعنوية التي تحيط به، أدى إلى إثارة الشكوك

---

(1) لوي دو برانكا، قائد عام في الجيش، حاكم جيز. سوف يسجن معه دو ساد خلال عهد الإرهاب.

(2) السيدة مونتروي، حماة دو ساد.

لدى العامة الأشرار حول فضيلة الرئيسة، لا يمكن للمرء أبدًا أن يصدق أن القاضي «كوردييه»[1] كان له أدنى دور في وجود هذه الإلهة التي بدت حقًّا وكأنها تحرَّرت تمامًا من المادة الثقيلة وعديمة الشكل التي قد شوَّشت أعضاء بقية نسلها. عندما عدت إلى باريس، أُريت أخت زوجتي اللذيذة التي بالكاد كنت أعرفها، كانت في ذلك الوقت في السابعة عشرة من عمرها، والحرية التي مُنحنا إياها سرعان ما تؤدي إلى اتصالات حميمة أكسبتني ثقة وصداقة هذه الفتاة. تلوح الحفلات، ترفضها، وسرعان ما اتهموني بالغرابة، بل سيذهبون في الاشتباه في نواياي؛ ويتَّهمونني بزنا المحارم، فلتُقر بأنهم لم يمنحوني القليل من العدالة؛ أُبعدت أختي عني، وبدأت أنا نفسي أسافر لإقناعهم ببراءتي؛ في تلك الفترة أستخدم كل شيء ممكن أن تتخيَّله لاتخاذ قرار بشأن زواجها؛ لم يحدث شيء، أخيرًا بعد عامين من الاضطهاد، والمضايقات، انتهى بي الأمر إلى عدم الاهتمام بها، حيث تركت الشابة لنفسها، وهي الآن في دير مع كل ما تريد من حرية.

سنجعلها راهبة من أتباع القديس أوجسطين وتقترب من ليون بهذه الحالة، لن يكون من المستحيل بالنسبة إليك أن تراها يومًا ما في «لافونتين فوكلوز»؛ السيدة دو ساد الطيبة، الأقل تشككًا من كل هؤلاء الناس، لم تر (كما كنت ستفعل عمي العزيز) سوى شعور بسيط وشريف في هذه العلاقة؛ تحب أختها، وتراها كثيرًا، وتوجد عندها في المنزل بقدر ما تستطيع، وستكون بالتأكيد سعيدة، عندما تكون في حالة سعيدة، أن تكون معها في أرضها؛ فلتبتهج مقدمًا، عمي العزيز، لأنها مخلوقة ساحرة؛

(1) حمو الماركيز دو ساد.

لأعطيك فكرة عنها، سأخبرك أنها هي النسخة الثانية للآنسة دو جارِنت[1]؛ إن تماثل شخصيتيهما، على الرغم من الاختلاف في العمر، قد ربط بينهما بالفعل كثيرًا لدرجة أنهما تحبان بعضهما بعضًا من كل قلبيهما وحتى تريان بعضهما بعضًا بأكبر قدر تستطيعانه عندما تكونان في باريس.

آه هنا، انظر قليلًا، عمي العزيز، إذا لم أكن أكثر الكائنات تعاسة في العالم، فأنا دائمًا مشتبه به[2]، حيث الظلم في كل هذا إما من جانب الوالدين، وإما الفضيلة من جهتي وإما سلامة النية من جهة مدام دو ساد؛ وهذا هو أصل مخاوفي من الغيوم التي أظن أنها في الرسائل التي تكتبها لك الرئيسة وأردت أن أنبِّهك إلى أنه، في الواقع، يمكنك أن تسلِّط الضوء على كل الفضائل البارزة لابن أخيك؛ لأنه بكامل إدراكك لي، سأخبرك أنني أحب هذه الشابة، وأعتقد أنني متأكد من أنها تبادلني الحب، لكن لم يعد لي نصيب في مشاريعها كراهية، واشمئزازها من الزواج، أكثر من ميلها الشديد للحرية وجميع حماقات الخيال الأخرى التي أزعجتها مع عائلتها؛ «لا دامبرييه» غاضبة من ذلك؛ فيما يتعلق بها، تعرف جيدًا قصة صديقها الأمريكي ومنزله، المخلوقة البائسة التي خلقت تقريبًا للمغامرات مثلي، لكن لنتحدث، عمي العزيز، عن أشياء أكثر جدية قليلًا.

تزعجني كثيرًا بإخباري بالصعوبة التي تعتقد أنني سأجدها في بيع منزل «أرل»[3] الخاص بي، لكنه ضروري بالنسبة إليَّ في بداية الشتاء القادم؛

---

(1) من عائلة جارنت، ماركيز دي سيناس في لوبيرون. أبناء عمومة دو ساد البعيدين، هم أيضًا من ميرابو.

(2) كان دو ساد عشيق أخت زوجته ربما منذ خريف عام 1769.

(3) نطاق مزرعة دو كابان في كامارج.

أرى أنني ربما سأضطر للذهاب إلى بروفانس لأقضيه هناك؛ يجب أن تكون مدام دو ساد في الرحلة، وأخشى، إذا ذهبنا إلى هناك، أن أقضي عامين أو ثلاثة أعوام على التوالي؛ الجميع هنا، يقدِّمون لي المشورة لصالح أعمالي، ويؤكدون لي أنني لن أكون حكيمًا بما يكفي إن فعلت ذلك؛ إلا أنه من المحتمل أن يحدث ذلك لأنه في الحقيقة لم يعد من الممكن العيش في باريس.

لا توجد أرض، ولا يُدفع شيء مقابلها، وكل شيء يرتفع ثمنه؛ الآن بعد أن جعلت «سومان» ساحرة بالنسبة إليَّ، يجب أن تشعر بالملل وتذهب وتفعل الشيء نفسه في «مازان»، وسوف أتعامل بشكل جيد للغاية مع هذه المقايضة، التي أرى هنا أنها تناسبني أكثر منك؛ إنه عمل كبير جدًّا انتهيتم منه هناك وهو هذه الوظيفة[1]؛ أرجوك تقبُّل شكري. لا بدَّ أنك مندهش لأنني أريدك على التوالي في كل أراضيَّ بعد عملك الجيد الذي أنجزته فيها.

أعلم جيدًا أنها ليست صفقة جيدة جدًّا التي أبرمتها مع «فاج» حول تصريف أمور «مازان»، لكنها ليست أبدية، في نهاية عقد الإيجار، أقطعه وحينئذ تعود إليَّ عندما تكون مثمرة أكثر؛ أنا سعيد جدًّا بهذا الرجل ويبدو لي من خلال حساباته وسداد الديون أنه يلتزم بدفع كل ما يتفق عليه؛ أعلم أن هناك شخصًا أو شخصين يشتكون، لكن لم يتم الاتفاق معهما على الدفعات السنوية وسيكون دوري، لذا فهو خطئي وليس خطأ «فاج».

---

(1) كان عم دو ساد قد رتَّب سندات الملكية والحقوق المتعلقة بإقطاعية سومان.

أرجو أن تتفضَّل، أناشدك، بأن تخبرني إذا لاحظت أنه يتصرف بشكل سيئ، فلا شيء أهم بالنسبة إليَّ من أن أعرف. لقد أخبرتني عن وفاة الدوق «جاداني»[1]: لم أكن أعرف ذلك، كتبت إلى زوجته لطلب مهلة حتى يوليو 1772، نظرًا لأنني لم أبع أرضي بعد. أريد بقوة أن توافق على ذلك. ليس لدينا في هذه اللحظة أخبار مثيرة للاهتمام بخلاف المسار العادي للأحداث التي لا شك أنك على دراية به. دون شك في ذلك، أنت بخير مع الوزيرين «م. م. أجيون»[2] و«مونتيار»[3]، أود منك أن تزوِّدني ببعض الأحبال السميكة تقارب الأولى إذا كان لديك أي شيء متبقٍّ منها، فأنا أفكر في شيء وسأحتاجها؛ لقد فكرت في «شابريان»[4].

ولكن بالإضافة إلى كونه أحمق، فهو ليس على ما يرام مع والد زوجته[5]؛ كما ترى، عمي العزيز، إذا كنت نادرًا ما أكتب إليك، لكنني على الأقل مسهب عندما أفعل، أتمنى ألا أكون قد أزعجتك، هذه الأمنية صادقة مثل تلك التي تمنيتها لرؤيتك مقتنعًا بمشاعر الصداقة والاحترام والامتنان التي ستلازمني طوال حياتي، عمي العزيز، خادمك المتواضع والمطيع للغاية.

دو ساد

لتجنُّب الشكوك، ينسحب دو ساد إلى بروفانس مع زوجته...

---

(1) دائن دو ساد.

(2) وزير الخارجية، هو الذي طلب القبض على دو ساد في سافوي في ديسمبر 1772.

(3) وزيرة الحربية منذ عام 1771.

(4) الماركيز جوزيف دومينيك دي موريتون دي شابريان، ابن عم دو ساد.

(5) الدوق أجيون.

وأخت زوجته. نظرًا لشغفه بالمسرح، سرعان ما سيبدأ في تشكيل فرقة من الممثلين للتمثيل في قصره في لا كوست. في هذه الأثناء، يحث محاميه على المطالبة المستمرة بالمال والخدمات، وهو ما لا يخلو من لذوعة اللغة.

[لا كوست، نوفمبر 1771]

إلى فاج

[...] الجو قارص البرودة ولا نعرف كيف نواجهه، لعدم وجود قطعة من الخشب. إذا كانت لا تزال هناك لفتاتك الساحرة، أقسم، إنها مملَّة للغاية ولا تُطاق. بلا شك سيكون الأمر نفسه مع أشجاري. باختصار، أحثُّك ، سيدي، على المجيء وإعطاء أوامرك فورًا لأشجاري وحطب ودبابيس التبن والقش، وإنه سيكون بمثابة غباء مني أن أسألك بشرف وضمير عن بطئك وإهمالك الملعون. أرسل الزجاج أيضًا؛ جميعنا يتجمَّد من البرد، ومن فضلك، انتبه جيدًا لمحتويات هذه الرسالة لأنه دون ذلك، سنرحل أنفسنا إلى «أبت» وتقاد إلى «لا كوست»، بطيب خاطر أو بالإكراه.

دو ساد

27 يونيو 1772، بعد حفلة فجور جنبًا إلى جنب مع العديد من البغايا في مرسيليا، يُشتبه في دو ساد بمحاولة تسميمهن لأنه جعلهن يبتلعن مثيرًا للشهوة الجنسية.

في 3 سبتمبر، حكم برلمان إيكس بقطع رأس الماركيز وإحراقه في مكان عام. دو ساد يهرب إلى البندقية مع أخت زوجته، لكن ينتهي بها الأمر بالتخلِّي عنه بعد خيانة دوناتيان. بعد عودته إلى فرنسا سرًّا، قُبض

عليه في شامبيري بناءً على طلب من حماته، حيث ازداد سخطها بسبب المغامرات السافرة التي قام بها صهرُها. أثناء وجوده في السجن، يكتب إلى أخت زوجته ليكشف لها عن محاولته الانتحار من أجل الحب.

[فور دو ميولان[1]، منتصف ديسمبر 1772[2]]

إلى آن بروسبير دو لوني

لقد تلقَّيت للتوِّ خبرًا، حبيبي العزيز[3]، أن الأمر متروك لمدام دو ساد لإخراجي من هنا. ستُوضح لك الأمر الأسباب الواردة في الرسالة المرفقة هذه. لكنني لا أريد أن أكون مدينًا بشيء لغيرك، وأنا أفضل قضاء حياتي هنا، إذا اضطررت لذلك، على فتح الأبواب بأيدٍ غير يديك. هذه هي الرسالة التي كان سيكتبها غيري لزوجته، في مثل هذه الحالة. لكني أرسلها إليكِ؛ يمكنك استخدامها كما تريدين. استشيري قلبك فقط هنا. ليست لديَّ أدنى نصيحة أقدمها لك ولا أدنى شيء أطلبه منك في ظروفي هذه، لاحظي، فقط أنه لا يوجد سبب لوجودي هنا، وأنه إذا أخبرك أحدهم، فسوف يخدعك، وأعدك بشرفي أنني سأبقى معتقلًا حيث يراد، حتى نهاية قضيتي، دون أن يتحركِ أو ينزعج أحد، أقسم بذلك.

آه! صديقتي العزيزة، يا له من عمل رائع ينبغي فعله هنا من أجل امرأة حساسة! لا أحد يعرفك في شامبيري؛ سوف تنتقلين إليها بسهولة بالنسبة إلى زوجتي، وأنا أدين لك بكل شيء. هل يكفيكِ هذا الكلام؟ إذا لم يعد

(1) قلعة بالقرب من شامبيري، حيث تم احتجاز الماركيز دو ساد، بعد خلافاته المختلفة مع العدالة. ولقد تم هذا الاعتقال، في دولة أجنبية، مملكة سردينيا، بناء على طلب حماة دو ساد.

(2) اعتقل دو ساد منذ 8 ديسمبر.

(3) مرة يكتبها بصيغة المذكر ومرة أخرى بصيغة المؤنث.

الحب يقول لك شيئًا من أجلي، ستخبرك الشفقة على الأقل كيف يجب أن تستخدمي الرسالة المرفقة، والطريقة التي يجب عليك أن تسلّميها بها، حتى لا تقلّلي من حماسة الكائن الوحيد الذي بقي لي من أجل الحصول على حريتي. تبصري أنني أعشقك، وأن كل ما فعلته لمدة ثلاثة أشهر لا بدَّ أنه قد حقَّق الصفح عني، وأنني ما زلت أعرض عليك، بإرسال هذه الرسالة إليك، أنني أريد أن تعود حياتي وحريتي بواسطتك فقط، ولو لم أُكفر بعد عن جريمتي كليًّا. فلتتأكدي هذه المرة أن ردك، سيقرِّر حياتي إلى الأبد.

هذا ما كنت أكتبه عندما تلقيت رسالتك في الثاني من (ديسمبر). يا له من عزاء في حالتي الرهيبة! للأسف، كنت أفتحها وأنا أرتعش فقط، ومتأكدًا أنني لن أجد فيها، كالعادة، سوى دليل على البرد القارس. ومن ثم، الاستحالة إذًا في أن تأتي وتجدي حبك يحتضر؟ ولتهدئة نفسك تمامًا فيما يتعلق بمصيرك المروع، تشكّين، تتوهَّمين أنك قد خُدعت: وهمٌ قاتل ناتج عن عدم حساسيتك القاسية، أنا، هل أريد خداعك بشأن شيء بهذه الأهمية؟ وماذا أربح من هذا؟ أتمنَّى أن أراكِ؟

آه، لم أتوقع ذلك أبدًا! أرى جيدًا (ورفضك لـ «مازان»[1] هو أكثر ما أقنعني) أنني يجب أن أتخلَّى عن سعادة امتلاكك. وبهذا اليقين القاسي، هل كان من المدهش أنني كنت أبحث عن الموت فقط؟ صديقتي العزيزة، إذا كنت قد قرأتِ رسالتي إلى «سومان» المؤرخة في 13 نوفمبر باهتمام أكثر إلى حدٍّ ما، لكنت قد رأيت أن هدفي لم يكن على الإطلاق إلزامك بالإخفاق في واجباتك، التي أصبحت الآن عزيزة عليك أكثر من الحب

(1) لا شك رفضت أخت زوجته العيش معه في قصر دو مازان.

والإنسانية. كنت أعلم جيدًا أنه لا شيء يمكن أن ينتزعك بعيدًا عن عائلة لم تسع إلا للعودة إليها فحسب، في تحدٍّ لأقدس الوعود والأقسام.

وسوف أقول: عندما يُقرأ هذا فلن أكون[1] على قيد الحياة، ولا أسعى للخداع ولا إلى أن أجعلك تأتين. إذا كنت قد هددت، حسنًا. لكن هل فعلت ذلك؟ من اليوم الثالث عشر، أقول لك: سيكون من المستحيل أن تأتي في الوقت المحدد؛ فمن ثم، فلتنامي بسلام. من المؤكد أنني نفذت الكلمة التي أعطيتك إياها في يوم 20. لقد كنت تعسًا بما يكفي لأنني لم أقم إلا بإيذاء نفسي فقط. مرة أخرى سأكون أكثر سعادة.

إنه اختبار لقوتي. لكن فلنعد إلى قصتي: لقد قضيت بالتأكيد عشرة أيام بين الحياة والموت، وإذا كان الرجل الذي أرسلته إليك مؤخرًا برسائل ضعيفًا بما يكفي ربما لعدم دعمه، ونعزو ذلك فقط إلى الخوف الذي كان يشعر به عند مغادرته لدرجة لا تصدق، أنه إلى جانب التهديدات التي ربما وجِّهت إليه، كانت والدتك ستجعله يخون الحقيقة، بدلًا من دعمها على حساب العقوبات التي ربما رأى نفسه مهدَّدًا بها. وهذا التضليل دفعك إلى بعض النزوات (لا، لم يكن هناك ما يخشى، أليس كذلك؟). تلقى قائد شامبيري أمرًا من البلاط، في يوم الثلاثين باعتقالي. حول حالتي، التي علمها، كتب إلى تورين، وتلقَّى الرد في اليوم السابع ليأخذني إلى السجن حيًّا أو ميتًا. هذه كانت أوامر والدتك الجهنمية. [...]

دو ساد

---

(1) مختبئًا في شامبيري تحت هوية مزيفة، على الرغم من شفافية الكونت دو مازان، قام الماركيز بمحاولة انتحار في 20 نوفمبر، والتي تطلبت عشرة أيام من الرعاية المستمرة.

احتُجز «دو ساد» لعدة أشهر، وهو يحاول التفاوض على إطلاق سراحه، دون جدوى. مقتنعًا بأن حماته تريد إبقاءه محبوسًا من أجل أن تزوّج ابنتها الصغرى بشكل أفضل، آن بروسبير، التي لطّختها الفضيحة. قرّر الماركيز الهرب، في 30 أبريل، هرب عبر مرحاض السجن. أثناء رحلته، أرسل هذه المذكرة بلهجة أرستقراطية واستفزازية إلى حاكم سافوي.

[1مايو 1773]

إلى كونت لا تور

القسوة الغاضبة لحماتي[1] التي لم أخضع لها أبدًا، الأكاذيب، التقلُّبات، والخدع التي أزعجتني منذ فترة طويلة هي الأسباب الوحيدة التي جعلتني أتعهَّد بهذا النهج المحفوف بالمخاطر. دماثة أخلاقكَ، يا سيدي، تثير فيَّ بعضَ الندم. أشعر بالخجل لأنني لا أستحقُّ من هذا اللطف سوى القليل، لكن رعب وضعي يسيطر عليَّ، ومن المستحيل بالنسبة إليَّ التمسُّك به بعد الآن، فإن عنف دمي يتعارض مع عقوباتٍ من هذا النوع؛ لا يمكنها أن تتآلف معي، وأحب الموت أكثر من فقدان حريتي.

دو ساد

بعد تعقُّبه، لجأ مرة أخرى إلى إيطاليا حيث عاد للاختباء في ليون بعد وفاة لويس الخامس عشر، معوِّلًا على العهد الجديد الذي سوف يتيح له إنهاء الملاحقات القضائية. أثناء انتظار عفوٍ افتراضيٍّ، لجأ دو ساد إلى قلعته في لا كوست حيث يعيش منعزلًا. يدعو أحد مديري أعماله للمساعدة.

(1) السيدة دي مونتروي، منذ علاقة صهرها بابنتها الصغرى آن بروسبير دو لون، تبذل قصارى جهدها «التحيد» الماركيز.

[10 أكتوبر 1774]

إلى فرانسوا ريبير(1)

ها هي عزيزي ريبير فرصة حياتك حيث يمكنك أن تقدِّم لي أهم خدمة؛ السيد «بيروتي»(2) الذي سوف يسلِّمك رسالتي سوف يخبرك بتفاصيل كل مصائبي الجديدة، أنا مراقَب ومطارَد في كل مكان، أتوسَّل إليك أن تزوِّدني على الفور بالوسائل التيّ أفلتُ بها من أعدائي. إنها فترة وجيزة للغاية، وهو ما يؤكده لي الجميع، وسأعود قريبًا إلى السلام والسكينة(3) إلى الأبد. أحتاج إلى مائة لويسة الآن، سوف أوافق إذا شئت قبول كمبيالات بأكثر من الضعف، والسيد بيروتي على استعداد للالتزام وسيجيب عني، الرجاء إنقاذي من المصائب التي تخيِّم على رأسي بأن تعطيني في أسرع وقت ممكن الوسائل التي أستطيع بها الإفلات منها: سواء قمت بالبيع، أو الاستئجار، كل ما تفعله سيكون رائعًا.

أقبلك.

دو ساد

---

(1) مدير أعمال دو ساد لقصر مازان.

(2) Perroté أو Perrottet أو Perrotet، من سكان قرية لا كوست وتربطه علاقة حميمة بالماركيز.

(3) يأمل دو ساد في تغيير موقف السلطة الملكية الجديدة تجاهه.

مُحاطًا بزوجته وقبل كل شيء بالعديد من الخدم، سرعان ما أصبح الماركيز دو ساد مادة للشائعات وسرعان ما ندَّد بالانتهاكات التي قد يلحقها بهم في قلعته في لا كوست، شائعات بأن دو ساد يضحك على مدير أعماله وصديق طفولته جاسبار جوفريدي. ومع ذلك، فإن قضية مرسيليا، التي يجري التحقيق فيها حاليًا، تتحوَّل إلى غير صالحه.

[ربيع 1775][1]

إلى جوفريدي

وصلت [...] مدام دو سـ[اد] من إيكس أمس غاضبة للغاية. سيستغرق الأمر ست صفحات لأخبرك بكل شيء وأؤجل ذلك إلى محادثتنا الأولى. باختصار: العديد من الخدمات من عمدة مرسيليا، الكثير من النوايا الحسنة من جانب قضاة إيكس (سرًّا على الأقل)، والكثير من البطء والتعقيدات من جانب الرئيسة، والإفراط في الشرِّ والرعب من جانب كل المقيمين الآخرين في فندق دو ساد أفينيون، ورفض إجازة المرور من جانب نائب المفوض الذي ـ على العكس من ذلك ـ يدَّعي أن لديه أوامر باعتقالي. من أين يمكن أن يكون هذا إن لم يكن من والديَّ العزيزين والودودين؟ ولكن إذا لم تكن هذه الضربات لإخافتي، فإنها روَّعتني إلى حدٍّ ما. ومع ذلك، لم يظهر في «إيكس» كاهن «سومان»[2]. لكنهم ذهبوا إلى «إيجوير»[3] لرؤية عائلة دو ساد هناك. ماذا كانوا قد فعلوا هناك؟ ألا يبدو هذا كمؤامرة عامة من كل من يحمل هذا الاسم. علاوة على ذلك، إنه الشيطان هو من ينبغي أن يكتشف كل هذا، لأنه يبدو أنه من عمله بالفعل.

---

(1) زوجة الماركيز تضاعف الإجراءات بعد قضية مرسيليا.

(2) بسبب غضبه من حماقات ابن أخيه، يرفض الأب دو ساد التدخل لصالحه.

(3) يشير هنا إلى أبناء العم في إيجوير في بروفانس الذين يشتبه دو ساد في أنهم عملوا ضد مصالحه. في عام 1808، تزوج ابنه الأصغر كلود أرمان من سليلة هذه العائلة.

ولقد عمل المدَّعي العام للملك في «ليون» بشكل رائع. إنه هو الذي أرسل المذكرات إلى إيكس ضدي، والتي مع ذلك لم تُسفر عن أي نتائج. هدأ العمدة كل شيء والنوايا الحسنة هي نفسها.

سيداتك في «أبت»[1] ساحرات (لطالما كان لديَّ سبب لأمتدح أدبهن وكلماتهن اللطيفة)؛ لقد نشرن في أفينيون أنني كنت أتجول من الصباح حتى المساء في جميع البلدات المحيطة وأنني أخفتُ الجميع. أبدو كمستذئب هنا. الفتيات الصغيرات المسكينات وكلمتهن الرعب!

لكن لماذا يجب هذا؟ هذا أمر مألوف، نحب أن ننطق بالشعور الذي يُوحى لنا. وداعًا عزيزي المحامي، سأتركك لأني في حالة مزاجية... ها هي رحلتي للعودة[2]. أقبلك.

[...]

دو ساد

لقد تمكن من الهرب بعد عدة محاولات لاعتقاله، عبر دو ساد جبال الألب مرة أخرى. نجده في فلورنسا حيث يضاعف من مغامراته الغرامية، ولا سيما مع سارة جودار ـ التي ستقع في حب كازانوفا ـ قبل العودة إلى روما ونابولي بأسماء مستعارة. عدم الكشف عن هويته نسبيًّا بما أنه يسمح له بالعناية بأعماله في فرنسا وانتقاد محاميه الذي يتباطأ في إرسال الأموال إليه.

---

(1) البلدة المجاورة حيث يعمل جوفريدي كاتب عدل.

(2) رحيله إلى إيطاليا.

[فلورنسا، 29 سبتمبر 1775]

إلى جوفريدي

أستحلفك بالله، يا سيدي، قدِّم لي صنيعًا بأن تخبرني بمن يحيط بمدام دو سـ[اد] ويجعلها تقول كل الهراء الذي تخبرني به فيما يخص الألف «إيكو» التي كنت أنتظرها منذ فترة طويلة وبنفاد الصبر؟ من هو الغبي تمامًا وعدو الفطرة السليمة ليقول لها إن عليَّ أن أحصل على نقودي من جنوة، الأمر الذي من شأنه أن يجعلني وبضربة واحدة أخسر الثلث؛ ومن ثم يجب أن تعرف عنواني في روما لكي تجلب إليَّ المال (هذه هي الفقرة الأكثر كذبًا وغدرًا، إنه فخ) وأن الحوالات التي يتم تمريرها إلى الخارج تدفع بعد ستين يومًا من الإجراءات[1]؟

في الحقيقة، إما أنهم يعتقدون أنني أحمق مثل الأشخاص الذين يخبرونهم بكل هذا، أو أنه يجب أن يكون المرء منصفًا بأن يتخيَّل أنني أعرف ما يكفي فأدرك أن كل هذه الالتفافات لجعل أموالي تعمل والاحتفاظ بها لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر. أقدم لمدام دو «س.» عشر شهادات من أشهر المصرفيين في إيطاليا تفيد بعدم وجود كلمة حقيقة في كل هذا. لدي بالفعل عشرين مثالاً للعقد أمامي...

في الحقيقة، لقد سئمت جدًّا من اعتباري غبيًّا وأني أرى مجموعة

---

(1) تكون قابلة للدفع فقط بعد شهرين.

من الأشخاص الذين سألعب تحت سيقانهم[1] إذا أردت المشاركة، والذين بالكاد تركوا قوقعتهم وقريتهم، يريدون أن يفرضوا عليَّ، أن يعموني، ويجعلوني أصدق ما يريدون، بالنسبة إليَّ، أنا، أنا من يخدع الرب الصالح إذا فعلت ذلك! سيدي، أنتظر ألف «إيكو» في موعد أقصاه الخامس والعشرون من أكتوبر في روما بموجب خطاب دفع والمال من فرنسا. ستخبرك مدام س. بما أطلبه منها فيما يخص هذا الموضوع. إذا تأخرت الرسالة أربعًا وعشرين ساعة فقط، في اليوم التالي، في السادس والعشرين، سوف أبحر إلى «سيفيتيا فيتشيا» وأكون في قلعة «لا كوست» في «سان مارتان»[2] لأستمتع بتناول الديك الرومي معك محاميَّ العزيز، والصديق المخلص والصريح «بيروتيه»، بمرح... هناك... في البيت، والأكثر من ذلك، مع عدم القلق لأنني أحضر معي ستة من الفارين من الجندية البوهيميين الذين وظفتهم هنا والذين سيعرفون كيف يدافعون عني من فرسان بروفنسال الشجعان.

قبلاتي.

فلتسدِ لي معروفًا بأن تخبرني أيضًا ما هذه الإصلاحات العديدة في «لا ميزون باس» وفي «لا فيلان»[3]، حيث شغلتهما مدام دو ساد بمجرد أن أدرتُ ظهري؟ هل هذا هو الوقت المناسب؟ وهل يجب أن تعاني أنت من هذا؟ لا أريد أن أسمع كلامًا عن أي إصلاحات أثناء غيابي؛ تصدَّ لها وامنعها كلها تمامًا، باستثناء إصلاح القلعة الذي أمرت السيدة به، وإذا فعل أحدهم

(1) إنني يمكن أن أخدع.

(2) الحادي عشر من نوفمبر.

(3) مزارع الماركيز في لا كوست.

على الرغم من أوامري، أقسم بشرفي أني لن أسمح لهم بالمرور دون أي محاسبة، لا المزارعون ولا البناؤون. إذا كان لدى هؤلاء الأشخاص ومدام دو ساد مال زهيد يدفعونه في الإصلاحات فليرسلوه لي: فأنا أعاني في هذه اللحظة معاناةً كبيرة. لذلك أليس من الحتمي قطعًا أنني لا أستطيع أن أدير كتفي دون أن يسيطر أحدهم على هذه المرأة الصغيرة البائسة ليجعلها تقوم بآلاف الحماقات ويقنعها بالكثير من أشكال التدليس؟ يا إلهي! يا له من رعب من بروفانس؛ فلتقتنع جيدًا، أيها المحامي العزيز، أن كل ما أريده اللحظة التي أستطيع فيها التخلِّي عنها، نفسي وأبنائي، إلى الأبد.

بعد عودته في صيف 1776، اختبأ دو ساد مرة أخرى في قلعة لا كوست وبدأ في كتابة كتاب ضخم «رحلة إلى إيطاليا». محتميًا بأرضه، السيد الفاسق يعتقد أنه آمن. ومع ذلك لم يكن اعتقاله أقرب من هذا الوقت.

1777 ـ 1789

أنا فاسق، لكنني لست مجرمًا ولا قاتلًا.

20 فبراير 1781

بعد عودته خلسةً إلى باريس، بمناسبة وفاة والدته، قبض المفتش ماريه على دو ساد في 13 فبراير 1777، ونُقل إلى محمية دو فينسين حيث سُجن في الزنزانة رقم 11. كان هذا الاعتقال بمثابة دافع لمراسلاتٍ دؤوب مع زوجته. مقتنعًا بأن العدالة ستثبت أنه على حق، فإنه يتساءل بحرارة عن قرب إطلاق سراحه. لا يعلم أنه سيقضي ثلاثة عشر عامًا في السجن.

(فينسين، 6 مارس 1777)

إلى مدام دو ساد

في 6 مارس،

يا صديقتي العزيزة، متى سينتهي وضعي الرهيب، متى سأخرج، يا إلهي العظيم! من القبر حيث طرحوني حيًّا؟ لا يوجد شيء يضاهي رعبَ مصيري! لا شيء يمكنه تصوير كل ما أعانيه، ولا يمكن أن يتحمَّل القلق الذي يعذبني، والكدر الذي يلتهمني. ليس لدي سوى دموعي وصرخاتي هنا... لكن لا أحد يسمعها. أين هو الزمن الذي كنت تشاركيني فيه صديقتي العزيزة؟ اليوم لم يبقَ لي أحد، يبدو أن كل الطبيعة ماتت بالنسبة إليَّ! من يدري إذا كنتِ أنت الوحيدة التي تتلقين رسائلي؟ عدم وجود رد على آخر رسالة كتبتها لك تثبت لي أنهم لم يسلموها لك، وأنها فقط لأنفِّس بها عن حزني أو لمعرفة ما أعتقد أنه مسموح لي أن أكتبه لك. هل هو دهاء جديد اختُرع دون شك بسبب غضب الشخص الذي يلاحقني، وأن هذا نذير بالكثير من القسوة؟ هل يمكنك أن تتخيَّلي مدى الحالة السيئة التي عليها رأسي المسكين؟

بقي لي أمل ضعيف يدعمني حتى الآن، وهدَّأ اللحظات الأولى من حزني الرهيب، لكن كل شيء يعمل على تدميره ويمكنني أن أرى بوضوح الصمت الذي تركوني فيه والحالة التي أنا فيها حيث لا يريدون غير ضياعي.

إذا كان ذلك لمصلحتي، فهل يتم بهذه الطريقة؟ يجب أن يشعر المرء أن الشدة التي تستخدم معي لا يمكنها إلا أن تفسد عقلي، وبالتالي (على افتراض أنهم يريدون الحفاظ عليَّ) لا تؤدي إلا إلى ضرر كبير. لأنني متأكِّد من أنني لن أستمر لمدة شهر هنا دون أن أصاب بالجنون، هذا ما يريدونه بلا شك، وهو ما يتماشى بشكل رائع مع الوسائل التي يقترحونها هذا الشتاء! آه! يا صديقتي العزيزة، أستطيع أن أرى مصيري بشكل واضح للغاية! تذكَّري ما قلته لك أحيانًا، أنهم أرادوا السماح لي بإنهاء سنواتي الخمس بسلام ومن ثم... هذه هي الفكرة التي تعذِّبني وتقتلني... إذا كان في وسعك أن تخفِّفي هذا، فلتفعلي ذلك إذًا أتوسل إليكِ، لأن حالتي مرعبة للغاية، وستشعرين بالشفقة عليها، أنا متأكد من ذلك، إذا كنت تستطيعن فهمها كما هي.

ليس لديَّ أدنى شك في أنهم يريدون التفريق بيننا، فهذه ستكون الضربة الأخيرة التي يمكن أن يوجهوها إليَّ ولن أتحمَّلها، كوني متأكدة من ذلك، أناشدك أن تقاومي ذلك بكل قوتك، ولتقتنعي بأن أولادنا سيصبحون أول الضحايا، فلا يوجد مثال على أولاد سعداء في ظل الخلاف بين والدهم وأمهم؛ صديقتي العزيزة، أنت كل ما تبقى لي في الأرض، الأب الأخت الأم، الزوجة الصديقة، فلتقفي إلى جواري في كل شيء، ليس لدي سواك، لا تتخلَّي عني، أتوسل إليك، لا تكوني ضربة القدر الأخيرة التي أتلقَّاها.

هل من الممكن، إذا كان لدى المرء نية طيبة بعض الشيء، ألا يشعر بأنه يفسد كل شيء بهذه العقوبة؟ هل من المتخيَّل أن الحكومة سوف تدرس الأمر بعمق؟ ستقول فقط: لا بدَّ أن يكون مذنبًا لأنه قد عوقب. عندما تكون هناك جريمة مثبتة بالدليل، فإننا نستخدم هذه الوسائل، إما لتهدئة البرلمان

أو لمنعه من الحكم، ولكن عندما يكون من المؤكَّد أنه لا توجد جريمة، وأن الحكم كان ذروة الهذيان والشر، لا ينبغي للمرء أن يُعاقَب لأننا حينئذ نفسد كل الخير الذي يمكن أن نفعله بإلغاء الاعتقال، وقد ثبت بوضوح أن المحاباة وحدها قد نجحت، وأن الجريمة أصبحت موجودة، وأنه طُلب من الملك معاقبته لمنع البرلمان من ذلك. الآن أتحدَّى أنه لا يوجد شيء يفعل ضدي أكثر من ذلك؛ وهو أن تضيع كل حياتي، وكانت والدتك منذ بضع سنوات مثالًا جيدًا على أن الجيش والحكومة لم يأخذا في الاعتبار تغيير ذلك الأمر، وأنهما دائمًا ما ينظران بازدراء للشخص الذي قد وُضع في حالة عقاب سواء بأمر الملك أو البرلمان. لكن هذه هي الحال، وعند اللزوم، فإنه يسلم للعدالة، نضلِّلها، وينتهي الأمر بإلحاق الأذى بي أكثر مما يُراد في كثير من الأحيان. هذه قصة القديس فينسن[1]؛ أخبريها، أتوسَّل إليها لتتذكر، هناك واحد آخر يلعب الدور نفسه، وليس من الصعب تخمينه.

أخيرًا يا صديقتي العزيزة، كل ما أطلبه هو التماس العفو، أن أُنتزع من هنا في أقرب وقت ممكن، مهما كان الثمن، لأنني أشعر أنه لم يعد من الممكن أن أقاوم. قيل لك إنني على ما يرام، هذا يهدئك في الوقت الحالي، أنا سعيد بذلك للغاية. لن أحرِّرك من الوهم لأنني لا أستطيع ذلك، هذا كل ما يمكنني إخبارك به. فقط تذكَّري أنني لم أحتمل أبدًا موقفًا مثل الذي أواجهه اليوم، وأنه في ظل الظروف التي كنت فيها، من المُشين أن تضعني والدتك هناك؛ المحامي المسكين الذي قال إنه لم يكن من الطبيعي أن يضيف حزنًا على حزن لم يكن يعرف سوى القليل جدًّا عن والدتك عندما

---

(1) إشارة إلى فينسين من سرقسطة قديس إسباني من القرن الرابع، سلم جسده الذي عذب عذابًا شديدًا للوحوش البرية.

قال ذلك. أتوسَّل إليك، بينما أنتظر اليوم السعيد الذي ستحرِّريني فيه من هذه العذابات الرهيبة التي غرقت فيها، وأن تحصلي على إذن لرؤيتي، والكتابة إليَّ أكثر مما تفعلين، والحصول على إذن للقيام ببعض التمارين بعد وجباتي، الشيء الذي تعرفين أنه ضروري بالنسبة إليَّ أكثر من الحياة نفسها، وأرسلي لي زوجًا ثانيًا من الملاءات على الفور. لم يغمض لي جفن أبدًا لمدة سبع ليال وأتقيأ في الليل كل ما أكلته أثناء النهار. أطلقيني من هنا يا صديقتي العزيزة، أطلقيني، أتوسَّل إليك لأنني أشعر أنني أموت ببطء. لا أعرف لماذا بكل هذه الهمجية حرموني من سريري في المعسكر؛ لقد كانت خدمة طفيفة للغاية والتي من شأنها على الأقل أن تمنحني الرضا لنسيان المصائب لبضع ساعات من الليل. على الأقل أرسلي لي ملاءاتي على الفور أتوسل إليك. وداعًا صديقتي العزيزة، أحبِّيني بقدر ما أعاني، هذا كل ما أطلبه منك. صدقيني إن يأسي في ذروته.

دو ساد

حتى في السجن، يستمر دو ساد في التفكير والكتابة كأرستقراطي، يهتم بشأن مصالحه وحالة ممتلكاته. وهكذا، طوال فترة اعتقاله، سوف يضاعف، في رسائله إلى مدير أعماله، المحامي جوفريدي، الأسئلة والشكاوى والأوامر والمطالب، طريقته في الشعور دائمًا بأنه سيد مصيره على الرغم من أن مجلس العائلة سوف يجرِّده بسرعة من إدارة ممتلكاته.

[يناير 1778]

إلى جوفريدي

أشكر السيد المحامي، على وعوده، وعلى رعاية كل شؤوني أثناء غيابي، أقسم إنني ممتن له إلى الأبد. هل أزيلت الحجارة من الحديقة[1]؟ ذلك أمر ضروري.

هل كانت المزرعة الجديدة ناجحة؟ كنت أود أن أعرف ذلك. الهدف من الحديقة هو الحفاظ دائمًا على الممرات في حالة جيدة، وإجراء عملية استبدال للأشجار الميتة على نحو دقيق، بحيث تكون كلها متساوية وبالطول نفسه قدر الإمكان. التعريشات الصغيرة لشجيرات البندق، إلخ ستكون بحاجة ماسة أيضًا إلى إعادة تدعيمها عندما تختل؛ سيكون ثمة شيء أساسي وهو تجصيص جدار زقاق السرو إذا كبرت على نحو ضخم الكرمة المتكئة عليه؛ فسوف تلقي بالجدار على الأرض، ولن يتم الحفاظ على الثمار أبدًا، طالما لم يتم تجصيص الجدار، فسوف تعشّش الطيور في الثقوب وتلتهم كل شيء. تتطلب أسطح القلعة وسقوفها أيضًا عناية فائقة؛ أوصيت «جوتون»[2] بكل شيء من خلال المتحدِّث بلساني السيد المحامي، وأعده ببراهين على امتناني إذا سارت الأمور على ما يرام

(1) حديقة قلعة لا كوست.

(2) خادم الماركيز في لا كوست.

واستعاد كل شيء وبحالة جيدة. كنت أود أن تكون قد دُفعت ثلاثون أو ثلاثة وثلاثين جنيهًا إلى م. كاريير العجوز بشارع اليهود أو متاجر سقط المتاع في مونبلييه، إنه البؤس، يمكن لـ«بوليه» الوفاء بذلك. قدم هذا الرجل هذه السُّلفة من أجل مهمة طلبتها منه، وهذه أشياء لا ينبغي المماطلة فيها. أرى القليل من الخلل في المكتب[1]، لا يوجد ورق على الإطلاق أو القليل على مكتبي، كل شيء في الأدراج، والكتب أكثر إزعاجًا، لكنني أحب أن أصدِّق أنهم سيحترمونها. ما ضاع بالتأكيد بشكل ميؤوس منه، إنها اللوحات الفنية البديعة الإيطالية، حيث بقي منها حوالي 25 لويسة على السرير بجوار المكتب والتي ستلتهم بالتأكيد... ماذا أفعل؟ قبلاتي للسيد المحامي، وللمجتمع الكوستيني بأكمله، وأتوسل من الجميع أن يحبوني أكثر من ذلك بقليل.

دو ساد

لقد حافظ ماركيز دو ساد دائمًا على علاقات وثيقة وحميمة مع خدمه. ولقد كان معظمهم في بعض الأحيان قنَّاصين من أجل ملذاته، وفي أحيان أخرى رفقاء الفجور. بالمناسبة، أحدهم هو لاتور الذي حُكم عليه بالموت في الوقت نفسه مع سيده، خلال قضية مرسيليا. وآخر، هو مارتان كيروس، الذي رافق دوناتيان أثناء هروبه إلى إيطاليا ويرعى الماركيزة الآن. دو ساد، الذي يطلق اعتقالُه قلمَه الساخر، يرسل إليه رسالة لا بدَّ أنها جعلت رقابة محمية فينسين[2] ترتجف.

---

(1) مكتب دو ساد في القصر.

(2) هذه الرسالة عبارة عن رد على رسالة من خادمه الذي يشكو من عدم قدرته على قراءة خط يد الماركيز، وهو ما يفسر لهجة دو ساد الجامحة والاستفزازية، وتقليد أسلوب وتهجئة مراسله.

[فينسين، 4 أكتوبر 1779]

إلى مارتان كيروس[1]

مارتن كيروس... أنت وقح يا ولدي، لو كنت هناك، كنت سأضربك... كنت سوف أشدك يا لو...[2] من شعرك المستعار، الذي تجدِّده كل عام بشعيرات من ذيل المهر وأنت تسلك طريق كورتسون إلى باريس، كيف تجعل صباح بال يصلح هذا؟ ومن ث [ومن ثم ـ كتبها بهذا الشكل] قل كيف ستفعل؟ سوف تذهب مثل فلاح بيكاردي يهشِّم ثمرة جوز، تسحب يمينًا ويسارًا كل تلك الأشياء السوداء الرثة[3] التي تحُدُّ المحلات التجارية في المساء على طول شارع سانت أونوريه، وفي اليوم التالي بقليل من الغراء القوي ستسوِّي ذلك على جبهتك العجوز على شكل صدفة السلحفاة بحيث لا يبدو أكثر من قملة عانة «شرهة» ع...[4] أليس كذلك يا ولدي... فلنذهب لمهمة... مهمة أن تسكت من فضلك لأنني أشعر بالضجر لإهانتي من أحد الأوباش لفترة طويلة للغاية. صحيح أنني أفعل مثل الكلاب وعندما أرى فصيلة كلاب الصيد هذه والكليبات والجروات الدرواس تنبح ورائي أرفع ساقي وأتبول على وجههم.

(1) كارتيرون وهو يدعى مارتان كيروس ويدعى الشباب، وهو الخادم المفضل لدي الماركيز.

(2) إشارة إلى عضوه عديم القيمة.

(3) الموسات.

(4) عاهرة.

يا ل...![1] ها أنت ذا عالم مثل مجلد كبير، أين أخذت الكثير من الأشياء الجميلة؟... تلك الأفيال التي تقتل قيصر، هذا البروتوس الذي يسرق الثيران، هذا الهرقل، معركة برونيل هذه، وهذا الشاعر لوسيوس فاريوس روفيوس!... أوه: إن كل هذا جميل. لقد سرقت كل هذا في إحدى الليالي في طريق عودتك مرافقًا عشيقتك بعد تناول العشاء عند عرابتها، أنت تضع كل شيء في ذيل فستانها، مع الاستمرار في تقبُّل ذلك، ثم تصرفت مثل الشخص الذي أكل الكرز هناك، حتى وصلت الماركيزة المسكينة إلى منزلها في المساء مع الفيلة، المصارعين، والثيران في ردائها مما جعلها تقف مستقيمة ومتصلِّبة كما لو لم تكن ابنة رئيسة. مهما تحدثت معي عن امرأة سمينة لم أخبرك بلعبتي عن النساء الممتلئات، أخبرك إياها من أجلك... هل أنت ممتلئ، هل مدام باتولوس كذلك؟ أو إذا بالأحرى هي Milli PRINTEMPS[2]؟ قل... قل لي من هو ممتلئ لديك. يريد إيماني، فضلًا عن ذلك، أن تتذكَّر أغنيتي لحسن الحظ التي لا أسكبها في كل مكان... أغنيها هنا ست مرات في اليوم، وأدندنها أربع مرات.

كيف حال القرد العجوز العاجز. وجه نجيل ملطَّخ بعصير توت العليق، دعامة عنب نوح، نتوء صخري في ظهر حوت يونس، فتيل قدَّاحة قديم من بور... شمع نتن أربعة وعشرون رطلًا، حزام سرج حقير لجحش زوجتي... لم تكتشف لي جزرًا، وتجرؤ على إخباري بذلك، أنت ورفاقك الأربعة في الفرقاطة ذات القاعدة المسطَّحة التي تهرب من شواطئ ميناء مرسيليا، ألم تكن قد كشفت لي عن جزر وألم تجد لي منها سبعًا ذات

(1) لوطي.
(2) الآنسة روسيه، صديقة وداعمة عائلة دو ساد.

صباح؟ آه: يقطين عتيق محفوظ في عصير بق، قرن ثالث لرأس الشيطان، شكل سمك القد الممدَّد مثل أذني المحار، حذاء قوادة، الغسيل متسخ من أشياء حمراء لـ لآنسة «برانتمب». لو أمسكت بك، عندئذ كنت سأفرك خطمك القذر، بالتفاح المحمص الذي يشبه حبات الكستناء التي تحترق، من أجل أن أعلمك أن تكذب هكذا. بما أنك تتصنَّع اللطف لأنك لا تتقيأ في البحر، ماذا تريدني أن أقول لك في ذلك يا ولد، لقد عرفت أنك تحمل منذ فترة طويلة النبيذ والماء أفضل مني ولكن في حين تتصنَّع الكثير من الشجاعة على سطح السفينة، يلزم فقط ثعبان من الورق المقوَّى، حتى يجعلك تندفع في الماء أو إلى الجحيم إذا كان مفتوحًا تحت قدميك... كلُّ شخص لديه مواطن ضعفه يا ولد يا كيروس... سعيد من كانت لديه أقل. لكن ماذا تخبرني عن فنيسيا[1]؟ لم أذهب إلى البندقية من قبل، إنها المدينة الوحيدة في إيطاليا التي لا أعرفها، لكن يومًا ما سأذهب إليها كما أتمنَّى، أما بالنسبة إلى الربان رافيول، فالأمر مختلف. أعرفه كان لي شرف أن أكون قائده لمدة ثلاثة أسابيع، وأتذكر أننا هاجمنا جسر «آرل» معًا حيث فقدت كثيرًا من الناس، وأجبرت على الانسحاب بالعار، ودون القدرة على الإبحار. في غضون ذلك، أنت من لا يستطيع السباحة مثلي، ومن لا يحب بسبب ذلك المعارك البحرية، اقتربت من الساحل والسرج على ظهرك مثل السلحفاة، وحذاؤك القوي بالأيدي كقفازات، تسعى لتجميع نفسك مع بعض السيد رطيف[2]، آه: لم أنسَ كل مآثرك الجميلة.

كنت سعيدًا جدًّا عندما علمت أن الأسطول تقطَّعت به السبل. لن

(1) بقي دو ساد في فنيسيا مع أخت زوجته، لكنها رفضته: الماركيزة تقرأ رسائله إلى خادمها.
(2) إشارة استفزازية للكاتب رطيف دو لا بريتون، بالنظر إلى المعنى الغامض لفعل التجميع.

أتأخر في الانضمام إليه، مع مركبتي المحطمة، أتوقَّع فقط ستين أو ثمانين قطعة مدفع، وأربعين مفصلة ساري[1] الذين هم مع المنشئ والتي أريد أن أضعها على قمة الساري لأجعله يبدو أكثر رعبًا. وبعد ذلك سأضع الشراع للذهاب في رحلة بحرية هذا الربيع.

لذلك تقول على هذا الشكل يا ولد يا مارتان أنني لا أكتب بطريقتك. استمع إلى منطقي في هذا الموضوع.

أنا أكتب فقط لزوجتي التي تقرأ جيدًا خط يدي مهما كان سيئًا. أولئك الذين ليس لهم أي صفة، أو أي حقوق يودون أن يغرسوا أنفهم في هذه الكتابة التي لا تعجبك، إذا لم يكونوا سعداء بها، فليذهبوا عليهم اللعنة و... و... هل تريد التبحر الآن بخصوص هذا، حسنًا، ها هو يا ولدي، والذكر والأنثى الذين يمنحون أنفسهم هذه الأجواء بعيدًا عن الغضب من المكان حيث أرسلهم، سيجيبون إذا كانوا يريدون حقًّا الاعترف بميولهم بما رد به الوصي على امرأة شكت له أن الكاردينال «دوبوا»[2] أرسلها حيث أرسلهم. سيدتي، الكاردينال وقح. لكن لديه في بعض الأحيان نصيحة جيدة. وداعًا كيروس. تحياتي إلى «جوتروش» عندما تراه؛ قل له إني مسرور بعودته للحياة وقبل كل شيء، من فضلك لا تنسني فيما يتعلق بـ«ميللي برينتومب». مساء الرابع من أكتوبر أتلقى رسالتك الثالثة أو بالدقيقة كما تقول «ميللي برينتومب».

دو ساد

---

(1) حلقة معقوفة وهي الوصلة الدوارة في المراكب الشراعية التي يرتبط بها الذراع بالسارية. يتحرَّك ذراع التطويل من جانب لآخر وأعلى ولأسفل من خلال الدوران على معقوفة. قد تكون دوارة معقوفة دوارة ذات محورين. من الشائع وجود تكبل متكامل للحزام.

(2) كاردينال والوزير الأول لوصي العرش 1722 ـ 1723.

بعد ثلاث سنوات من السجن، بدأ الماركيز يشك في إطلاق سراحه. واقتناعًا منه بأن حماته، الرئيسة مونتروي، تلاحقه للقصاص منه، وهو مقتنع أيضًا بأن زوجته تعرف تاريخ إطلاق سراحه من السجن. للهروب من الرقابة، طوَّر نظامًا من الإشارات، يعتمد على معادلات الأرقام الأصوت، والتي بفضلها يعتمد على أن يحصل على معلومات من العالم الخارجي. لسوء الحظ، يتحوَّل هذا النظام العبقري إلى هوس مزمن لدى دو ساد، الذي بدأ يرى الإشارات في كل مكان. أما بالنسبة إلى الماركيزة، فسرعان ما تجاوزت هذيان زوجها التأويلي.

[فينسين، بعد 21 أبريل 1780]

إلى مدام دو ساد

لا أعرف أي شيء أفضل يمكن أن يثبت جدب خيالك وعقمه، من الرتابة التي لا تطاق لإشاراتك[1] عديمة الطعم. هه!

أليس هناك خدم مرضى حيال الطرد من العمل، أو عمال يخشون التشرد؟ وأنتِ لا تعرفين غير ذلك، ولديك العشرات للعمل، يحفرون خيالك، ويخترعون، ويأتون بحماقة كل يوم لفعل الشيء نفسه؟ يا له من ابتذال وكم أحمرُّ خجلًا من أجلك!

في ذلك اليوم، لأنك كنت تحتاجين إلى 24، أرسلتِ محتالًا ينتحل شخصية السيد لو نوار[2]، وبالنسبة إليَّ لكي أكتب إلى السيد لو نوار جاء الرابع: وها هو الرابع والعشرون.

مؤخرًا، لأنك كنت تحتاجين 23، نزهة مختطفة، ومن 2 إلى 3 فقط، وها هو ذا رقم 23. لكن ما أجمل ذلك! يا له من سامٍ! يا لها من سرعة عبقرية! كم هو ناري!

(1) متأكدًا من أن أصهاره سيقرِّرون تاريخ إطلاق سراحه، يحاول دو ساد استنتاج ذلك من الأخبار التي تمده بها زوجته التي يعتبرها إشارات كثيرة، والتي يطبق عليها تفسيرًا يعتمد على علم إعداد شخصي.

(2) جان شارل لو نوار، القائد العام للشرطة في باريس.

يا! يا إلهي، اقرئي، واعملي، ولتنشغلي، ولو كنت قد قرأت عقلة الإصبع فقط، وعملتِ على صلب الموضوع، لكنت قد أهدرتِ وقتًا أقل في مثل هذا الهراء. إذا كان صحيحًا أنه عليك أن تقدِّمي حسابًا عن وقتك لله، كم ستكونين في موقف حرج في العالم الآخر!

لكن فلتعطي إشاراتك بصدق على الأقل، وليس دائمًا باستفزاز! إن الجلَّاد وحده هو الذي يعذب السجين أو يسيء معاملته. هل هذه هي الوظيفة التي يجب عليك القيام بها، إما أنتِ أو عائلتك؟ هل هو الجهل أم الغباء الذي يمنعك من تحويل الإشارات بكل سهولة، بدلًا من أن تصيغيها دائمًا في شكل استفزازات؟ إذا كانت هذه هي المرة الأولى لم أكن لأقول أي شيء، وسأحاكيها، أعدك بذلك. فيم تفيدني مدرستك إذا لم أستفد منها؟ إذا كانت الثانية، حسنًا! ألقِ نظرة على هذا المثال الصغير، وسترين مدى سهولة القيام بالأشياء نفسها بصدق، بدلًا من القيام بها بطريقة شريرة وبغباء.

عندما أرغب في تكوين رقم 16، لأنه وفقًا لك، إنه رقم ستة عشر وكفى، إنه الشيء نفسه[1]، وأنتِ تخوِّلين لنفسك الحق في إفساد اللغة والأفكار إلى هذه الدرجة، عندما أقول، أود تكوين 16 من ثلاثين أو أربعين سلسلة، جميعها مثيرة للسخرية التي لدى السيد دو ساد هنا، ينتزع منها واحدة، وها هو توقف تام. يريد بابًا مفتوحًا: بمناسبة الـ16، سأفتحه. إنه يجد من السطحية والغباء أن يخدمه مثل المجانين 3 رجال: بمناسبة 16، أود أن أضع حدًّا لهذا الغباء.

---

(1) السيدة دو ساد، التي كانت تهجئتها خيالية للغاية بالفعل، لم تكن قادرة على فهم نظام الإشارات الدو سادية.

عندما أرغب في تكوين رقم جديد، سوف أجعلها تقول خبرًا، أو أعطيها موافقة ما. فيما يتعلق بجميع الأرقام الأخرى فالشيء نفسه. هل أريد 24؟ رقم 4، أجعله لمنح الموافقة على الدردشة مع شخص وهو رقم 21، أحتاج إلى رقم 33؟ أمنحها ثلاث ساعات للتنزه، وهي تكتب: ورقم 3 تنزهت لمدة 3 ساعات، وها هو رقم 33.

أريد أن أشير إلى حدث كبير، ربعًا، وثلثًا، إلخ. أجعلها تتنزه برفقة الرائد أو الجراح لمدة ساعتين أو ثلاث في حديقة أخرى، وها هو ذا حدث. ولماذا يلزم نصف فدان تعس وهو أكثر مما يوجد هنا لاستنشاق الهواء، ويأخذ منها القبطان ثلاثة أرباع، هل هذا عدل؟ هل رأيت السيد «بوري»[1] يفعل مثل هذا العار؟

إليك في ملخص صغير جدًّا كيف يجب أن تتعاملي مع إشاراتك. هذا المثال الصغير يمكن أن يفيد في خمسمائة رقم كما في اثنين؛ وعلى الأقل لن أعامل نفسي بوحشية كما أفعل ذلك هنا حيث لا أتحدَّث إلى أحد ولا أرى أحدًا. نعم، هذه هي الطريقة التي يجب أن تتعاملي بها إذا كان لديك شيء من روح وخطط أو رغبات أخرى غير تلك التي يقلِّدها جلادو الجحيم أو أن تشوِّشي ذهني تمامًا.

لا يجب أن تكون الإشارة أمينة فحسب، بل يجب أن تكون منفصلة تمامًا وبشكل واضح جدًّا عن الشيء العادي، وإلا فلن تكون أكثر من رعب وظلام وشر يستحق الانتقام.

دو ساد

---

(1) بورري أو بوري، قائد قلعة بيير إنسيز حيث تم حبس دو ساد عام 1768. يستشهد الماركيز به في مقابل حاكم فينسين، فارس روجمون.

خلال سنوات طويلة من سجن زوجها، سوف تصير الماركيزة دو ساد هي المحادِث الرئيسي له. إذا كانت في كثير من الأحيان هي كبش الفداء ـ فهو لا يتوقف عن معاملتها بشراسة ـ خادمته الطيعة ـ إلا أنها تقضي الكثير من وقتها في محاولة تلبية طلباته المستمرة ـ وهي أيضًا، في العديد من الرسائل، المؤتمنة على شكوكه وقناعاته.

(فينسين، 20 فبراير 1781)

إلى السيدة دو ساد

[...][1]

كل شخص لديه أخطاؤه ـ دعونا لا نقارن أي شيء، قد لا يفوز جلاديَّ بالمقارنة. نعم أنا فاسق، أعترف بذلك، لقد تخيلت كل شيء يمكن أن تتخيليه في هذا النوع، لكنني بالتأكيد لم أفعل كل شيء تخيلتِه ولن أفعله بالتأكيد أبدًا. أنا فاسق، لكنني لست مجرمًا ولا قاتلًا، وبما أنني مجبر على وضع اعتذاري بجانب الدفاع عن نفسي، فسأقول: ربما يكون من المحتمل جدًّا أن أولئك الذين يدينونني ظلمًا، هم مثلي، لم يستطيعوا موازنة عيوبهم، من خلال أعمال صالحة معترَف بها، مثل تلك التي يمكنني أن أقابل بها أخطائي. أنا فاسق ـ لكن هناك ثلاث عائلات، مقيمة في منطقتك، عاشت لمدة خمس سنوات من إحساني وقد أنقذتهم من الفقر المدقع. أنا فاسق، لكنني أنقذت أحد الفارين من الجندية من الموت، تخلَّى عنه كل فوجه وقائده. أنا فاسق، لكن في نظر جميع أفراد أسرتك في إيفري، خاطرت بحياتي لإنقاذ طفل كان سيسحق تحت عجلات عربة تجرها خيول، حيث اندفعت مسرعًا نحوه بنفسي. أنا فاسق، لكنني لم أعرِّض صحة زوجتي للتهلكة؛ لم

---

(1) انتهاء أطول رسالة من دو ساد إلى زوجته.

يكن لدي كل أشكال التحرُّر الأخرى التي غالبًا ما تكون مهلكة لثروة الأولاد، هل دمرتهم بالمقامرة أو بسبب نفقات أخرى كان من الممكن أن تحرمهم، أو حتى تضر بميراثهم يومًا ما؟ هل أسأت إدارة ممتلكاتي عندما كانت تحت تصرفي؟ باختصار، هل أوحيت في شبابي عن قلب قادر على السواد الذي يفترض أن يكون اليوم؟ ألم أحب دائمًا كل ما يجب أن أحبه؟ وكل ما كان من المفترض أن يكون عزيزًا عليَّ؟ ألم أحب والدي؟ وا حسرتاه! ما زلت أبكيه كل يوم. هل أسأت التصرف مع والدتي، وعندما أتيت لأفوز بزفراتها الأخيرة وأظهر لها آخر علامة من علامات تعلُّقي بها، ألم يكن ذلك هو ما جعل والدتك تجرني إلى هذا السجن الرهيب حيث إنها تتركني أعاني لمدة أربع سنوات؟ باختصار، لقد خضعت للاختبار منذ نعومة طفولتي، يوجد بالقرب منك شخصان تابعاني، «أمبليه» و«مدام سان جيرمان»[1]؛ ومن طفولتي إلى مرحلة شبابي التي ربما تابعها «الماركيز بويان»[2] حيث قضيتها تحت عينيه، نذهب إلى سن الزواج الذي تزوجت فيه، ينبغي على المرء أن يرى، أن يستشير، أن يستعلم، إذا كنت قد قدمت دليلًا على الضراوة التي يفترض أنني عليها الآن، وإذا كان هناك بعض الأفعال السيئة التي تعتبر بمثابة مقدمة للجرائم التي يُزعم أنني أرتكبها. هكذا يجب أن يكون؛ كما تعلمين، للجريمة درجاتها؛ فكيف نفترض أنه من طفولة وشباب أيضًا بريئين، وصلت فجأة إلى ذروة الرعب الخطير؟ لا، أنتِ لا تصدقين ذلك ـ وأنت التي تتعسفين عليَّ بقسوة شديدة اليوم، لا تصدقين ذلك أيضًا،

(1) صديق والده، الذي كان يقضي عنده دو ساد الطفل عطلاته.

(2) رئيس الماركيز في الجيش.

انتقامك قد أغوى عقلك، وانغمستِ فيه بشكل أعمى، لكن قلبك يعرف قلبي، وهو يحكم عليه بشكل أفضل، وهو يعرف جيدًا أنه بريء.

سأتمتَّع بسحر أن أراك تقرِّين بذلك يومًا ما ـ لكن الاعتراف لن يخلِّصني من عذاباتي، ولن أعاني أقل من ذلك، في كلمة واحدة، أريد أن أغسل من ذنوبي وسأكون كذلك في أي وقت أخرج من هنا، إذا كنت قاتلًا، فسوف أكون قد مكثت بما فيه الكفاية، وإذا لم أكن ـ فسوف أكون قد عوقبت على نحو مُجحف وسيكون من حقي أن أسال عن السبب.

هذه رسالة طويلة جدًّا، أليس كذلك، لكنها حتميَّة بالنسبة إليَّ، وقد وعدت نفسي بالثورة على سنوات المعاناة الأربع التي مررت بها، لكنها انقضت؛ ها هي ذا، إنها مكتوبة وكأنها مقال الموت، حتى إذا فاجأني ذلك دون أن أنال عزاء أن أضمَّك بين ذراعيَّ مرة أخرى، يمكنني أن أحيلك، وأنا أحتضر، إلى المشاعر التي أعربت عنها في هذه الرسالة، وكأنها المشاعر الأخيرة التي يتوجَّه بها قلب غيور لينتزع على الأقل تقديرك في القبر. سوف تغفرين اضطرابها، فهي ليست معمَّقة ولا روحية، يجب أن تري فيها الطبيعة والحقيقة فقط. أمحي بعض الأسماء التي وُضعت في البداية، من أجل أن تصل إليك وأرجو أن تسلم إليك. لا أطلب منك أن تردي علي بالتفصيل ولكن فقط أن تخبريني أنك تلقَّيت رسالتي الطويلة، هذا هو الاسم الذي أطلقه عليها ـ نعم هذا هو الاسم الذي سوف أطلقه عليها ـ وعندما أحيلك إلى المشاعر التي تحتويها، حينئذ ستعيدين قراءتها. هل تسمعيني يا صديقتي العزيزة؟ سوف تقرئينها مرة أخرى وسترين أن من يحبك إلى التابوت أراد أن يوقعها بدمه.

دو ساد، العشرون من فبراير

مسجونًا في زنزانة ضيقة ومظلمة، غالبًا ما يُحرم من التريُّض، السجين دو ساد هو سجين سريع الغضب، أحيانًا يوجِّه غضبه ضد القائمين على سجنه، وغالبًا يوجهه إلى زوجته. إن شعوره بالمعاناة بالوحدة ومن غياب الحرية أقل من شعوره بالمعاناة لعدم قدرته على الانغماس في ملذاته الخليعة الجامحة، الافتقار يبدع البراعة، ويطلب من زوجته ما يسميه بسخرية القوارير، التي يستخدمها بشكل متكرِّر وذاتي. وفي إحدى الجرابات أيضًا كان يخفي، لسنوات، المخطوطة المستقبلية لعمله الرئيس، مائة وعشرون يومًا من سدوم.

[نهاية يونيو 1781]

إلى السيدة دو ساد

يمكنك أن تري أن هذه القارورة لا تساوي شيئًا بالنسبة إلى قارورة الجيب[1]، والتي سوف أرسلها إليك. أتمنى أن تفيدك فيما يتعلق بنسب تلك التي أطلب من إبراهيم أن يقوم بتصنيعها لي منذ فترة طويلة في مصنع البلور الخاص به، مع أخذ الأبعاد من الأعلى، وليس من الأسفل؛ سيكون صغيرًا جدًّا ولكن، من الأعلى، سيكون بكل تأكيد ما يلزمني لاحتياجاتي. لقد قمت بقياسها مباشرة على الفرجة وهكذا يكون بكل تأكيد. ينبغي أن يكون ارتفاعها أكثر من ثلاث بوصات[2] على الأقل، مهما كان المحيط هو أمر أساسي وما أريده أن يوليه أكبر قدر من الاهتمام. إن فخر[3] موسى[4] الحالي في هذا. لذلك هذا ما يجب أن ينفذه إبراهيم في مصنعه، أو أن يرسل كل شيء جاهزًا إن وجد. أكد لي أنه قد زود رئيس أساقفة ليون بالمقاس نفسه: أخبريه أنه يتذكَّر ذلك. ادفعي له ما يلزمه، وحُثِّيه لخدمتك على هذا الأساس.

---

(1) القوارير التي كان من المفترض أن تستخدم كجراب، لتأمين المخطوطات الملفوفة في أنابيب، لها في الواقع وظيفة غير مباشرة أكثر حميمية.

(2) 1 بوصة يساوي 2,7 سم.

(3) الاستمناء. في ديسمبر 1780، بعد عامين وثلاثة أشهر من بدء سجنه، كتب دو ساد أنه حقق 6536 مرة من الاستمناء.

(4) الاسم الكودي لدو ساد.

يمكن أيضًا أن تستفيدي بهذه القوارير نفسها في مرحاضك، إذا كنت تريدين ذلك؛ في الصباح على مرحاضك وفي المساء على منضدة سريري. لهذا السبب عليك أن تطلبي منه اثنتين. في هذه الأثناء، أرسلي لي قارورة جيب، وستكون مخصصة فقط للجيب وليس لاحتياجاتي على الإطلاق، يجب أن تحتوي فقط على النسب المطلوبة لجيبي. أرسلتها إليك: محيط ست بوصات بارتفاع ثمانية أو تسعة. من فضلك أرسليها لي على الفور واكتبي إلى إبراهيم بأسرع ما يمكن حتى تكون لدي عند خروجي، أو اثنتين، أو على الأقل واحدة من القوارير الكبيرة الضرورية. ردي عليَّ بشكل إيجابي بخصوص هذا الموضوع.

[...]

دو ساد

في أوائل صيف عام 1781، حصلت الماركيزة دو ساد على إذن لرؤية زوجها، بعد أربع سنوات من الاحتجاز بمعزل عن العالم الخارجي. ومع ذلك، فإن النتيجة لم تكن تلك النتيجة المتوقعة: الماركيز، ذو الطبيعة الانتقامية بالفعل، يشتعل غضبًا ضد زوجته ويغرق في نوبة من الغيرة العنيفة. لدرجة أن حاكم فينسين علَّق زيارات الماركيزة. ومع ذلك، يصب دو ساد غضبه ووساوسه في رسالة غاضبة.

[بين يوليو وأكتوبر 1781]

إلى السيدة دو ساد

لم يعد بإمكاني الشعور بالامتنان تجاهك، يا صديقتي العزيزة، للاهتمام الذي تفضلتِ به بأن أرسلتِ إليَّ البيان الذي طلبته منك، حرفيًا.

بالتأكيد هذا جعلني أشعر بالطمأنية، لكن الأهوال الخفية، العار الملتوي الذي اكتشفته في الرسائل البغيضة التي جعلتك والدتك الكريهة تكتبينها، والتي، من حسن حظي، لم أكن قد أدركتها بعد، أقرَّت في روحي جرعة من الحزن والقلق أقوى بكثير من جرعة الطمأنينة، والتي استطاع أن يمدني بها بيانك. ومع ذلك، مهما كانت الاهتياجات الجديدة التي أواجهها، ومهما كان حزني ومخاوفي الرهيبة، سأنتظر زيارتك، على أمل أن تهدِّئني كلماتك أفضل من كتاباتك، التي تسمِّمها رائحة والدتك النكدة، وردودك التي ستردِّين بها على الأسئلة التي سأطرحها عليك، الردود التي سأتفحَّص بشراسة الطريقة التي تطرحينها بها، آمل، كما قلت، أن هذا الرد سيكون أفضل بالنسبة إليَّ من الكتابة؛ وإني لمنتظر.

لذلك انتهى الأمر إلى أنك لن تجعليني أشعر بالهدوء أبدًا حيال أمرٍ ما، دون أن تجعليني أشعر بالقلق حيال الآخر الآن. لماذا لا تجيبيني حول طلبي العاجل وهو ألا يرافقك بوشيه[1]؟ هل يستطيع أحد إجبارك على فعل هذا؟

(1) كاتب شرطة، مسؤول عن قراءة ومراقبة بريد الماركيز.

ومع ذلك، لا أقول شيئًا عن ذلك، لأنه يبدو لي من خلال رسالتك أنك ترغبين في إنجاز ذلك وهذا يرضيني، وحتى لا نعود إلى هذا الموضوع ولا نتحدَّث عنه بعد الآن، وأقسم لك بشرفي مجددًا إذا كان بوشيه برفقتك وأنك ما زلت ع...[1] مثل المرة الأخيرة ـ فلن أنزل. سيكون هذا هو سؤالي الأول عندما يصطحبونني: هل «بوشيه» موجود هناك؟ هل ما زالت ترتدي زي آخر مرة؟ إذا كان نعم، لن أنزل. إذا لم يكن الأمر كذلك، فربما سيخدعونني؛ حينئذ أنزل، ولكن بمجرد رؤية بوشيه أو الفستان الأبيض وتسريحة الشعر، سأعود إلى أعلى على الفور، أقسم بالله وبشرفي، وقد أبدو أجبن الرجال إذا فعلت عكس ذلك...

دو ساد

ماذا يعني هذا العذر: إذا كنت ترين الأخريات هكذا؟ الأخريات أزواجهن غير موجودين في السجن، أو إذا كان الأمر كذلك وتصرفن على هذا النحو، فهن داعرات لا يستحققن سوى الإهانة والازدراء! أخبريني، هل ستقضين عيد الفصح في زي المهرجين أو المحتالين هذا؟ لا، أليس كذلك؟ حسنًا، يجب أن يكون الخشوع هو نفسه ويجب أن يفعل الحزن والألم في هذه الحالة ما يمكن أن تفعله التقوى والاحترام الإلهي في الآخر.

بغضِّ النظر عن مدى المبالغة في الموضات، فلن تقنعيني أنه لا يوجد من بينها ما يناسب امرأة تبلغ من العمر ستين عامًا. قلِّديهن، مهما كنت بعيدة عن هذا العصر. تذكري أن سوء حظي يقربنا منه، وحتى ولو لم نتمكن من ذلك بعد، وعندما يتعلق الأمر بالسلوك والملابس، فإنه لا يترك

(1) عاهرة. انطلاقًا من يوليو 1763، سقط دو ساد في نوبات الغيرة العنيفة التي لن تنتهي إلا عندما تنتقل مدام دو ساد إلى الدير.

لنا أي أزياء أخرى نقتدي بها. إذا كنت صادقة، فأنا الوحيد الذي ينبغي عليك إرضاؤه، وبالتأكيد لن ترضيني أبدًا إلا بهيئة وفعل يتّسمان بأعلى درجات الاحتشام والتواضع على أكمل وجه.

أطالب، باختصار، إذا كنت تحبينني (وسأرى ذلك، بالطبع؛ الشيء الذي أطلبه منك لا يمكن رفضه دون أن يكشف لي عنك تمامًا، بناء على إشاراتك، وعلاماتك وكل كلامك المنحرف الأحمق)، لذلك أطالب، كما أقول، أن تأتي في ثوب تطلقن عليه، أنتن أيها النساء، رداء النوم، بقبعة كبيرة وكبيرة جدًّا، دون أي نوع من تسريحة الشعر تحتها، بحيث يتم تمشيط شعرك في مستوى واحد. لا يكون هناك أدنى مظهر لتجعيد الشعر المستعار، ولا كعكة ولا ضفائر؛ لا جسد، والرقبة مغطاة بشكل غير عادي وغير مبتذلة بلا احتشام مثل ذلك اليوم، وأن يكون لون الفستان أغمق. أقسم لك بكل ما أقدسه في العالم إنك ستجعلين رأسي يصعد إلى أوج الغضب وسيكون هناك مشهد غاضب، إذا انحرفت عن أي شيء آمرك به هنا. يجب أن تحمرِّي خجلًا حتى لا تشعري أن أولئك الذين ألبسوك هذا الزي المضحك في ذلك اليوم كانوا يضحكون عليك في أعماقهم. أوه! كما قالوا: الدمية الصغيرة الجميلة! وكيف فعلنا حقًّا كل ما كنا نريده! لذا كوني نفسك مرة واحدة في العمر. هناك أشياء، أدرك ذلك، أو ظروف تجبرين على تقبُّلها؛ ولكن هناك بعض النساء غير المحتشمات والسخيفات للغاية، وربما حتى المشينات جدًّا، أنا على يقين من أنهن قد فرضن عليك، ومع ذلك أخدع نفسي وأقول إنك لم توافقي على ذلك! ولكن نتيجة تأثير الأوليات والاقتراح الوحيد للأخريات، يجب أن تردِّي فقط برفض الأوليات، والتهديد بتمزيق حياتك بدلًا من سماع كلام الأخريات.

هذا لأنني أعرف جيدًا في أي يد كريهة أنتِ! لأنني، كما تفهمين جيدًا، لست مخدوعًا فيكِ وإنني أعرف جيدًا أنك مع والدتك الشائنة؛ لديَّ الكثير من الأسباب التي تجعلني أرتجف مع العلم أنك هناك! نعم، لا أتردَّد في قول ذلك، أود أن تكوني أفضل عند السيدة «جوردان»[1]: على الأقل يجب أن تكوني حذرة من إجراءات هذه الأخيرة، فبدلًا من ذلك، لا يمكن أن يضمن لك أحد الفخاخ الاصطناعية التي تنصب لك لدى الآخر. هل تعتقدين أنه يمكنني أن أغفل هذا الهدف من حياتي؟ سأعطي خمسين لويسة لمن يجعل من فضيلة هذه السيدة القاصرة خطيئة ـ لا، لا، لن أنسى ذلك أبدًا، وإذا أردتِ أن تقاربي بين كل الظروف معًا، تذكَّري الأوقات والأماكن والمواقف، حيث ستُفسر أكبر أخطائي لك على الفور! صديقتي العزيزة، تذكَّري، أن يأس النساء اللاتي احتقرن الفضيلة هو الاحترام اللائي يولينه لها، أولئك اللاتي يبجلنها باستمرار؛ لأنه يبدو أن هؤلاء النساء التعسات، يشبهن هؤلاء الكفار الكذَبة الذين يريدون أن يهينوا الإله الذي ترتجف قلوبهم من اسمه. احتفظي بها، احتفظي بها، هذه الفضيلة! إنها ما يجعلني أحمرُّ خجلًا من انحرافاتي، إنها وحدها التي ستجعلني أكرههن. إن السمة الطبيعية للإنسان هي المحاكاة؛ إن طبع الرجل الحساس يماثل طبع من يحب. فقط على غرار الرذائل التي لطالما تعود إليها مصائبي: لا تطيلي أمدها بأفظع ما يمكن أن يُقدم لي. لن أنجو من ذلك، أو إذا كان حب الحياة يفوق شجاعة موتي (وهو ما لا أؤمن به)، فسيكون ذلك بمثابة سقوطي في كل الأخطاء التي يمكن أن تنهيها في أقرب وقت ممكن بأي شكل من الأشكال. يوقظ التقلب أو

---

(1) مارجريت جوردان، قوَّادة مشهورة في باريس.

عدم الإخلاص عاشقًا أو زوجًا، فيقال: نعم روح وضيعة حقيرة. لكن لا تتخيلي أبدًا أن تكون نفسي هكذا. لن أصفح عن الإهانة ولن أسعى أبدًا لاستعادة الممتلكات التي لم تعد ملكًا لي. لطالما أثارت غضبي هذه الفكرة الوحيدة التي مفادها أنني قد أعتني بشخص آخر بين ذراعي، ولم ألتق يومًا امرأة في حياتي كنت أشك في أنها تخونني. أعتقد أن الواقعة خاطئة، لكنكِ أنتِ من ألقى بالشكوك، وها هي قد تجذَّرت في روحي. النصيحة الجميلة التي قدمت لك هناك! سوف أدرس ذلك بعمق، وسوف أتحقق منه: لن أجد شيئًا (أتمنى ذلك على الأقل)، لكن الشك قد بُذر، وفي شخصية مثلي يكون الشك سمًّا بطيئًا تزيد آثاره اليومية من الدمار دون أن يتمكن أي شيء في العالم من أن يوقف تقدمه. أكرِّر: النصيحة الجميلة التي قدمت لك هناك! كان من اللطيف بالنسبة إليَّ أن ألمح شيخوخة سعيدة على الأقل في حضن صديقة مخلصة، لا يمكن أن تتقاعس عني الإطلاق. كان كذلك، للأسف! كل عزائي كان كل ما جاء لتقويض النقاط التي تمزقني الآن. وقد دفعتِ الرعب إلى حدٍّ أنك جعلتِني أرغب في هذا الأمل الجميل في سنوات شيخوختي! لا أستطيع ذلك بعد الآن. لقد ألقي الشك، والعبارات واضحة للغاية حتى إنها يمكن أن تبهر بصري. أوه، يا صديقتي العزيزة، لم أعد أستطيع أن أقدرك! هل هذا حقيقي؟ فلتخبريني، هل خدعتِني بقسوة؟ يا له من مستقبل مروع، إذا كان هذا هو! يا إلهي العظيم لا تفتح سجني أبدًا! أتمنَّى أن أموت بدلًا من الخروج لأرى عاري، عارك وعار الوحوش الذين ينصحونك! أتمنَّى أن أموت بدلًا من الخروج وأكون مُهانًا، وتبتلعني أبشع الجرائم بكل تجاوزتها، التي سأسعى إليها بسرور ليذهب عقلي وأفقد نفسي! لن

يكون هناك شيء لم أختلقه. وداعًا، ترين كم أنا هادئ وكيف أحتاج إلى رؤيتك بمفردك. فلتفعلي ذلك، أتوسَّل إليك.

صديقة الزوجين دو ساد، ماري دوروتيه دو روسيه ـ واحدة من النساء النادرات اللاتي وقفن في وجه الماركيز ولم تستسلم لمغازلاته الغرامية ـ ستتبادل المراسلات مع هذا الأخير في أثناء احتجازه في قصر دو فينسين. الشخص الذي وصفته بالسيد حزمة الأشواك، في إشارة إلى طابعه النزِق، وهبها عدة رسائل ذات محتوى فلسفي في كثير من الأحيان.

(26 يناير 1782)

إلى الآنسة دو روسيه

استفتاحات فلسفية

في أي مكان تكونين فيه، آنستي ـ قريب أو بعيد، مع الأتراك أو الجليليين (نسبة لجاليليو)، مع الرهبان أو الممثلين، أو السجانين أو الأشخاص الصادقين، أو كُتَّاب الشفرات أو الفلاسفة ـ لا تزال الصداقة لا تسمح لي بإعفاء نفسي من تجديد الواجبات المقدَّسة هذا العام التي تفرضها عليَّ وبعد ذلك، وفقًا لها وتبعًا للعرف القديم، سأكرِّس نفسي، في إطار لذَّتك، لبعض التأملات العرَضية التي نشّت مع ذلك من عمق الموضوع.

إذا كان وضعي شائكًا، فلا بدَّ من الاعتراف بأنه غالبًا ما يوحي بأفكار فلسفية ممتعة جدًّا.

بالعودة إلى زمن محنتي، يبدو أنني أحيانًا أسمع تلك الخصلات السبعة أو الثمانية، المصبوغة بالأبيض[1]، الذين أدين لهم، أحدهم عائد من النوم مع فتاة شريفة كان يُغويها، وهذا مع زوجة صديقه، هذا الآخر يهرب في حالة من العار من شارع مشبوه وسوف يكون غاضبًا جدًّا إذا اكتشفنا ما فعله للتو ـ هذا ـ في أحد الأحياء الفقيرة الأسوأ سمعة، إنني أراهم جميعًا، كما أقول، محمَّلين بالشهوة والجرائم، ويجلسون حول غرف محاكمتي

(1) أعضاء إيكس الذين حكموا على دو ساد بالموت.

وهناك، يصرخ الرئيس بحماسة الوطنية وحب القوانين ـ كيف سحقًا له يا زملائي، هذا السقط الصغير وهو ليس رئيسًا ـ ولا سيداً من الشرفاء ـ أراد الاستمتاع مثل مستشار البرلمان!

هذا النبيل الريفي البسيط أراد أن يغرس في نفسه الاعتقاد وأن يسمح لنفسه أن يكون مثلنا، وهو من دون فراء ومن دون تصفيفة شعر القضاة، حشا في دماغه أن ثمة طبيعة له، كما هي الحال بالنسبة إلينا، كما لو كان من الممكن تحليل الطبيعة،... انتهاكها... احتقارها... من قبل الآخرين غير مفسري قوانينها، وكأن هناك قوانين أخرى غير قوانيننا؟ السجن. بحق الجحيم... السجن أيها السادة، لم يعد غير هذا في العالم، نعم، ست أو سبع سنوات في غرفة محكمة الغلق لهذا الوضيع الوقح. هناك فقط يا سادة، يتعلم المرء احترام قوانين المجتمع، وأفضل العلاجات لمن تجرأ على كسرها هو إلزامه بأحكامها. إلى جانب ذلك. هناك شيء واحد هنا. السيد... الذي كما تعلمين في مكانه، كان حينئذ ولم يعد يشكر الله، سعيد جدًّا أن حصل على هذه الفرصة لتقديم هدية صغيرة لعشيقته، قد تكون قيمة العناق اثنا عشر أو خمسة عشر ألف فرنك، فلن نتردد لحظة لكن شرفه... زوجته... ممتلكاته.... أولاده، يا إلهي! بالطبع، هذه بعض الأسباب الوجيهة. هل هذا ما يجب أن يمنعنا من التصدي بالقوة لمعبود الائتمان؟... الشرف... النساء... الأولاد ـ أليسوا هم الضحايا الذين نضحي بهم كل يوم؟... من السجن أيها السادة... من السجن أقول لكم، غدًا سيصبح أبناء عمومتنا إخواننا قباطنة سفن. وقد يجيب السجن بلسان لين على الرئيس ميشاو الذي أخذ للتو قيلولة في السجن، أيها السادة، يقول كلمة السجن بصوت لاذع «دارفال» الوسيم الذي يخربش في صمت

تحت معطفه رسالة موجزة لطيفة لفتاة أوبرا، السجن دون أدنى شك، يضيف المُعلم دامون، لا يزال رأسه ساخنًا من الغداء في حانة المرطبات - ومن يستطيع أن يشك في أن السجن، ينتهي بحنجرة صارخة لفاليري الصغير، وهو يقف على أطراف أصابعه وينظر إلى ساعته حتى لا يفوته وقت لقاء الآنسة جوردان.

إذًا هنا في فرنسا، مم يستمد شرف وحياة وثروة وسمعة المواطن؟ الوضاعة... التملق... الطموح... الجشع يبدأ في خرابه، والبلاهة تنهيه.

مخلوقات بائسة ألقيت للحظة على سطح هذه الكومة الصغيرة من الطين؛ لذلك يقال إن نصف القطيع يجب أن يكون مضطَهِدًا للنصف الآخر. أيها الرجل، هل لك أن تنطق بما هو صواب - أو ما هو خطأ، إنه لأمر جيد لشخص ضعيف من نوعك أن يرغب في وضع حدود للطبيعة - أن يقرر ما تسمح به، وأن يعلن ما تدافع عنه - أنت نفسك - في نظر عملياتها الأكثر تفاهة التي لا تزال دون حل - أنت الذي لا يستطيع تفسير أخف الظواهر تحدِّد لي أصل قوانين الحركة - قوانين الجاذبية - تشرح لي جوهر المادة، هل هي خاملة أم لا؟ إذا لم تكن تتحرك، أخبرني كيف يمكن للطبيعة التي لم تهدأ أبدًا أن تخلق شيئًا موجودًا دائمًا، وإذا كانت تتحرك... إذا كانت هي السبب المؤكد والشرعي للأجيال والتناوبات الدائمة - أخبرني إذًا ما هي الحياة - وأثبت لي ما هو الموت؟ أخبريني ما هو الهواء - فسر لي بالضبط تأثيراته المختلفة، علمني لماذا أجد صدفًا على قمم الجبال وحطام إنسان في قاع البحر، أنت يا من تقرِّر ما إذا كان الشيء جريمة أو إذا لم يكن كذلك - أنت يا من تشنق في باريس من أجل ما يساوي كرونات في الكونغو، صحِّح آرائي حول مسار النجوم، حول

تعليق عملها - جاذبيتها، حركتها، جوهرها، منازلها - برهن لي على نيوتن بدلًا من ديكارت، وكوبرنيكوس بدلًا من تايكو براهيه - فسر لي فقط سبب سقوط الحجر عند رميه من أعلى - نعم اجعل هذا التأثير البسيط واضحًا لي، وسأغفر لك لكونك عالمًا في الأخلاق عندما تكون فيزيائيًّا أفضل.

تريد أن تحلِّل قوانين الطبيعة، وقلبك... قلبك حيث يثوي هو بحد ذاته لغز لا يمكنك تقديم حل له. تريد تحديد هذه القوانين... ولا يمكنك إخباري كيف يحدث إنه، تلك الأوعية الصغيرة المنتفخة بشكل مفرط تقلب رأسًا على عقب على الفور، وتجعل في اليوم نفسه من أحد الأشرار أكثر الرجال صدقًا. أنت... طفل في أنظمتك، كما في اكتشافاتك... أنت الذي منذ ثلاثة أو أربعة آلاف سنة - تخترع، تغير، تراجع، تحاج، ومع ذلك ما زلت تقدِّم لنا مكافأة على فضائلنا إليزيه اليونانيين، وكعقاب على جرائمنا تاتارهم العجيبين - أنت الذي لم ينجح سوى بعد الكثير من الاستدلالات المختلفة، العديد من الأعمال، الكثير من المجلدات المتربة التي تم تجميعها حول هذه المسألة السامية - لقد نجحت فقط في وضع عبد لتيتوس مكان هرقل، وامرأة يهودية مكان مينيرفا... تريد أن تعمِّق، أن تتفلسف حول الأخطاء البشرية، فأنت تريد أن تنشر مبادئ بشأن الرذيلة والفضيلة، في حين أنه من المستحيل بالنسبة إليك أن تجيبني ما تكونه هذه أو تلك - أيهما أكثر فائدة للإنسان، وأيهما أكثر ملاءمة للطبيعة وإذا لم يولد من هذا التباين، التوازن العميق الذي يجعل كلاهما ضروريًّا. تريدين أن يكون الكون كله فاضلًا، ولا تشعرين أن كل شيء سيهلك على الفور إذا لم يكن هناك سوى الفضائل على الأرض... لا تريدين أن تفهمي أنه نظرًا لأنه لا بدَّ من وجود رذائل،

سيكون من غير الإنصاف أيضًا أن تعاقبيهم، كما هي الحال بالنسبة إلى السخرية من رجل أعور، ومن توليفاتك الزائفة... ثمة سدود كريهة تودين أن تفرضيها على من يسخر منك. يا لها من نتيجة مروِّعة... على نحو تعس أرتجف أن أقول ذلك. إن من ينتقم من عدوه يجب أن يُعذَّب، ويُملأ بالشرف من يغتال أعداء ملكه، ويجب أن يدمر من يسرق منك واحد إيكو وأن تغدق عليك بالمكافآت، أنتِ، يا من تعتقدين أنه مسموح لك باسم قوانينك إبادة ذلك الشخص الذي ليس لديه خطأ آخر غير أن قوانين الطبيعة جرفته ـ وليس لديه خطأ غير أنه ولد، من أجل الحفاظ المقدس على حقوقه ـ إيه! فلتتركي طهارتك الحمقاء،... استمتعي يا صديقتي، استمتعي ولا تقضي بين الناس. استمتعي، أقول لك، بأن تتركي للطبيعة الاهتمام بتحريكك كما يحلو لها، وللرب أن يعاقبك ـ إذا كنت فقط تجدين نفسك مجرمة ـ فلتكوني نملة متواضعة عالقة على هذه الكومة من التراب ـ اسحبي أشياءك الضئيلة إلى مستودعك ـ افقسي بيضك وأطعمي صغارك ـ أحبِّيهم ـ لا تنزعي عنهم خاصة، عصابة الخطأ ـ فالأوهام المسلَّم بها (أوكد لك ذلك) أفضل للسعادة من الحقائق الفلسفية المحزنة ـ استمتعي بشعلة الكون ـ وذلك كي تسطع الملذات، وليس من خلال السوفسطائية، حيث يلمع نورها أمام عينيك ـ لا تضيعي نصف حياتك من أجل أن تجعلي الآخرين تعساء، وبعد بضع سنوات من البلادة والخمول في هذا الشكل الغريب نوعًا ما، مهما كان ما تعتقدينه عن كبريائك، تخلدين إلى النوم، في رحم أمك لتستيقظي عما قريب في شكل آخر، وذلك بقوانين جديدة لن تفهميها على نحو أفضل من الأولى. فكِّري بإيجاز أنه من أجل إسعاد إخوانك من البشر،

والاعتناء بهم، ومساعدتهم، وحبهم، تضعك الطبيعة في وسطهم، وليس للحكم عليهم ومعاقبتهم وخاصة حبسهم.

إذا أعجبتك هذه القطعة الفلسفية الصغيرة، فسوف يسعدني، يا آنسة، أن أكمل لك في مناسبات أخرى قادمة. إذا لم يكن الأمر كذلك، من فضلك أخبريني بذلك، وسوف نختار موضوعًا أكثر تشابهًا، وهو البهجة الذهنية للجنس التي تجعلين منها زخرفًا، وسأفتخر بأن أكون طوال حياتي، وكذلك لك، يا سيدتي، الخادم المتواضع جدًّا والمطيع جدًّا.

أولنيه![1]

من بيت الدجاج في فينسين، في 26 يناير، بعد تسعة وخمسين شهرًا ونصف من الاضطهاد، ودون نجاح، في الحقيقة.

العلاقات بين الماركيز دو ساد و«ميللي دو روسيه»، كما يسميها بمودة، ستستمر، على الرغم من وجود فترات من الشجار والصمت المتبادلين، حتى وفاة الأخيرة في قلعة «لا كوست» حيث كانت تشارك خدم الماركيز حياتهم اليومية. على وجه الخصوص، الخادمة «جوتون» التي حاولت إنقاذ سيدها في أثناء إلقاء القبض عليه والتي كان دو ساد مرتبطًا بها بشدة.

(1) أحد أسماء دو ساد المستعارة.

(فينسين، 17 أبريل 1782)

إلى الآنسة روسيه،

من بيتي الريفي، 17 أبريل 1782، يضطر النسر[1]، يا آنستي، أحيانًا إلى مغادرة المنطقة السابعة من الجو ليحط على قمة جبل أوليمبوس، على أشجار الصنوبر العتيقة في القوقاز، على الصنوبر البارد في جورا، على تلال طوروس المطلية باللون الأبيض، وأحيانًا حتى بالقرب من محاجر مونمارتر. نعلم من التاريخ (لأن التاريخ شيء بديع) أن كاتون، كاتون العظيم، زرع حقله بيديه، ورصف شيشرون بنفسه الأشجار في ممراته الجميلة في فورميي (لا أعرف ما إذا كانت قد قُطعت)، ديوجين نام في برميل، وصنع إبراهيم تماثيل من الصلصال، وكتب المؤَلف اللامع[2] لتليماك أبياتًا شعرية من أجل السيدة جويون، وترك بيرون أحيانًا اللمسات الرائعة لكتاب (فن النظم) من أجل شرب نبيذ الشمبانيا وكتابة قصيدة الأود الرعوية إلى «باربيوس»[3] (ربما تعرفين هذه القطعة الشعرية الخفيفة، تستخدم كثيرًا جدًّا لمعاملة السيدات الشابات، ولقد صيغت بالفعل للدخول إلى أي خطة تربوية مناسبة لتشكيل عقول وقلوب أولئك اللاتي

---

(1) شعار عائلة دو ساد: النجمة ثمانية الأشعة الذهبية التي يحملها نسر مشرعٌ جناحاه.

(2) فينيلون.

(3) الشعر الإيروتيكي الشهير الذي سيغلق أبواب الأكاديمية الفرنسية أمام مؤلفه.

تتجهن إلى العالم العظيم؟). ألم نر فولتير العظيم يشيد لربنا كنيسة[1]، باليد نفسها التي كانت تكتب وهو يتحدث عن الميلاد المقدس لهذا الفادي:

يوسف، النمر[2] [هكذا في الأصل] ومريم السمراء دون معرفة ذلك، قاما بهذا العمل التقوى.

البتول[3]

وفي أيامنا هذه، يا آنسة، في أيامنا الجليلة هذه، ألا نرى الرئيسة مونتروي الشهيرة تترك هندسة إقليدس وحسابات باريم[4] لتأتي وتتحدث عن الزيت أو السلاطة مع طباخها؟ هذا ما يثبت لك، يا آنسة، أنه مهما فعل الإنسان، ومهما علا على نفسه، هناك دائمًا لحظتان قاتلتان في اليوم تذكّرانه على الرغم منه بظرف الحمقى المحزن، حيث تعرفين نظامي (ربما من أجل أن أحكم عليه كثيرًا وفقًا لي)، ونظامي، كما أقول، لا يبتعد عن ذلك كثيرًا. وهاتان اللحظتان القاسيتان هما (آسف للتعبيرات، يا آنسة، إنها ليست نبيلة، لكنها حقيقية)، لذلك فإن هاتين اللحظتين المرعبتين هما هذه التي يجب مَلؤها وتلك التي يجب تفريغها. يمكننا أيضًا أن نضيف إليهما أخرى وهي اللحظة التي يعلم فيها المرء أن إرثه آخذ في التدهور وفيها أيضًا يعترف المرء بموت عبيده المخلصين. هذه هي الحالة التي أجد فيها نفسي، أيتها القديسة الجميلة، وهذا ما سيكون بالتالي موضوع هذه الرسالة الحزينة.

---

(1) كنيسة قرية فيرني حيث كان يعيش فولتير.

(2) الكلمة مكتوبة panthrre في الأصل بينما تكتب panthère.

(3) قصيدة لفولتير.

(4) فرانسوا باريم: عالم رياضيات من القرن السابع عشر.

أشفق على جوتون. لديها عيوب بلا شك، لكنها استبدلت بها فضائل وخصالًا مميزة: وهناك كثير من الناس في العالم لم يعرفوا هذه المقاصة قط. كانت جوتون تحب الرجال. لكن يا آنسة، ألم يخلق الرجال للنساء والنساء للرجال؟ أليست هذه أمنية الطبيعة؟ تزوجت جوتون، كما تقول السيدة دو ساد بظُرف شديد، لأنها كانت بدينة. حسنًا! يا آنسة، قليل من الفلسفة! أي ضرر كبير في ذلك؟ لا أرى في ذلك سوى الفضائل. هي تريد أن تجعل لطفلها أبًا، إنها تريد أن تضمن له الخبز، وتريد إخراجه من هذه الطبقة البائسة التي لم يعد يسمح حظها بأي موارد أخرى غير البؤس أو الجريمة. لكنها ارتكبت خيانات إزاء زوجها...

آه! هذا ما لا أجد له عذرًا! الزنا عند النساء يخضع لمثل هذه المضايقات الفظيعة، وله عواقب وخيمة ومميتة لدرجة أنني لا أستطيع تحملها. انظري إلى مبادئي، وتعمَّقي في تاريخ اضطراباتي، وسترين أنني قليلًا جدًّا ما أخللت بهذا الالتزام في حياتي، وبالنسبة إلى عشرات العذارى، أو ما يسمون هكذا، اللاتي سعيت لإغرائهن، لن تجدي من بينهن ثلاث نساء متزوجات. لذلك كانت جوتون مخطئةً في هذه النقطة. لقد أوقعتني جوتون، وأنا أعلم ذلك، لكن في رأيي، الموت يمسح كل الإساءات، وقلبي البائس يذرف الدموع، حتى على ألدِّ أعدائي.

من خلال الكثير من الأخطاء، كانت جوتون مرتبطة بي. كانت لديها خدمة ممتعة وسريعة وخفيفة. كانت فرسًا ولودًا رائعة تحب إسطبلات سيدها. هذه الفتاة التعيسة، التي قدمت لي العون فقط بمساعدة السادة بوليه وبايان وسامبوك[1] ورفقة، كانت قد كونت لي، في غضون اثني عشر

---

(1) سكان قرية لا كوست.

أو خمسة عشر عامًا، منزلًا كاملًا. في الحقيقة، أنا آسف لذلك. علاوة على ذلك، هل يجب أن أخبرك بذلك ـ نعم، الآن بعد أن تحدثنا عن الفضائل، يمكننا تناول الصفات ـ جوتون كانت، كما قيل، أجمل فـ [1]... آه السمينة! ماذا نفعل الآن؟ القاموس ليس به مرادف لتلك الكلمة، واللياقة لا تسمح لي بكتابة حروفها كاملة، على الرغم من أنه لا يوجد سوى اثنين فقط... حسنًا، نعم! في الحقيقة يا آنسة كانت أجمل فـ... التي هربت من جبال سويسرا منذ أكثر من قرن... سُمعة جعلت السيد الرئيس مونتروي الذي، على الرغم من قدومه إلى بروفانس قبل عشر سنوات من أجل أشياء ذات أهمية[2] أكبر (والتي يملأها بشكل رائع بالتأكيد)، لم يستطع أن يرفض إحدى لحظات وقت فراغه للتأمل اللطيف لهذا النجم الشهير. وهذا ما رسَّخ تلك السمعة الشهيرة التي تمتعت بها «جوتون» البائسة بقية حياتها. والقاضي الذي عرجت عليه، وهو أكثر دراية بهذا الجزء لأنه كان يتمتع بمذاق أكبر للجمال الإلهي للعاصمة، كان بلا شك مهيًأ بشكل جيد للحكم بشكل سليم على مثل هذا الأمر. أدرك أنني أنسى هنا مثلًا عظيمًا: لا يجب التحدث عن حبل في منزل رجل مشنوق، ولذلك لا ينبغي أن أهتم بتلك الأشياء الوقحة التي يُزعم أن تعاستي مرتبطة بها. لكنني لم أستطع أن أرفض هذا الاعتذار القصير، وبروح جميلة، رغم أننا، بمجرَّد أن ننشغل ببعضِ صفات الشخص الذي نحزن على موته[3] والتي تأتي كثيرة، نوضع في إطار امتيازها. دعنا نعود إلى الجدية، ومن أجل راحة الكاتب التافه،

---

(1) تقريبًا يقصد كلمة con وهي بمعنى العضو التناسلي للمرأة.

(2) سافر والد زوج دو ساد إلى بروفانس أثناء قضية مرسيليا.

(3) توفيت جوتون من عواقب ولاداتها 1781.

دعنا نضعها في الصفحة الأخرى، لأنني دائمًا ما أميل قليلًا إلى تفضيل الرذيلة، وأعتبرهم رجالًا عظماء أولئك الذين يعرفون كيف يصرون على ذلك بشدة.

دو ساد

بعد فترة شديدة من الغيرة تجاه زوجته، ركَّز دو ساد غضبه الساخر على حماته، متهِمًا إياها بأنها السبب الوحيد لمصائبه كافة. من ناحية أخرى، فإن الماركيزة التي لا تتوقَّف أبدًا عن السعي لإشباع رغباته المستمرة، تستفيد بشكل استثنائي من معاملة تفضيلية ومما لا شك فيه أن ذلك يعود إلى حنين خاص.

[فينسين، يونيو 1783]

إلى السيدة دو ساد

أخبريني، من فضلك، إذا كانت عرابتي كوردييه[1] أم المتواطئ فولوازو[2] هو الذي لا يريد أن يكون لدي أي أردية للنوم. يُمنع على سجناء المستشفى الغسيل، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إليَّ. مثل خستك، تقتحم خسة أصلك وخسة والديك كل شيء! يا عزيزتي، عندما نسيت ما كنت عليه لدرجة أنني أريد أن أبيعك ما أنا عليه، ربما كان ذلك من أجل الحصول على قميص ـ لكن ليس للفشل في ذلك. تذكري هذه الجملة، أنت وعقبك، حتى أطبعها.

إذا كنت أستخدم الكثير من الملابس، ينبغي عليهم أن يلوموا المغسلة التي كل يوم تدمر وتمزق كلَّ ما لدي، وأن يكلف القائد بإصدار الأوامر بشأن ذلك. لا يوجد شهر لا أدفع فيه ثمانية أو عشرة فرنكات. هل يجب التسامح مع هذه الأشياء؟

مهما كان الأمر، أخبرك أنه إذا لم أستلم في غضون أسبوعين من الآن الملابس التي طلبتها، فسوف أحزم أمتعتي، من المؤكد تمامًا أن هذا دليل على أنني عشية خروجي. لا يوجد سوى ذلك وحده الذي يمكنه

(1) حماة دو ساد.

(2) لو نوار، القائد العام للشرطة.

أن يثبت رفضك الغبي لإمدادي بالملابس. وحيث إنه لا يوجد مجانين في الدار، وسوف نستخدم أثاث الدار دون تشاحن، ومن ثم لن نكون في حالة طلب لذلك في المكان في كثير من الأحيان. هذه الدار ليست مخصصة للمجانين: لقد تم وضعهم في شارنتون، هؤلاء المجانين، وليس هنا، والجشع السيئ السمعة الذي يبقيهم هناك لا ينبغي أن تستجيب له الشرطة، لدرجة المخاطرة بإصابة أولئك الذين ليسوا كذلك بالمرض نفسه. لكنها تتسامح مع كل شيء، الشرطة؛ الشيء الوحيد الذي لا تتسامح معه هو إهانة العاهرات. يمكن أن يكون المرء مذنبًا بجميع الانتهاكات وكل العار الممكن، شريطة أن يحترم مؤخِّرات العاهرات: هذا هو الجوهري، وهو بسيط للغاية؛ العاهرات يدفعن ونحن لا ندفع. يجب أن أحاول أيضًا، عندما أكون بالخارج، أن أضع نفسي تحت حماية الشرطة قليلًا: مؤخِّرتي مثل العاهرة، وسأكون سعيدًا إذا تم احترامها. سأعرضها على السيد «فولوازو» ـ ويمكن أن يضاجعها، إذا رغب في ذلك، وأنه سيتأثَّر بوجهة النظر هذه ويكتب لي على الفور إنني في دفتر الموضوعين تحت الحماية.

قيل لي إنه عند وصولي إلى باريس (عندما اعتقلتني)، هذه هي الطريقة التي تحصل بها على التأمين. أولًا، أود أن أستفسر عما إذا كانت كلمة المؤخرة المذكورة ليس بها ازدراء ـ لأن الرئيسة كانت تدَّعي أنني كنت أزدري المؤخرات. نتيجة لذلك، كانت ترغب في زيارة خبير. يقولون إنها كانت هناك، وقالت: أيها الدو سادية، انظروا، إنه شيطان صغير مملوء رذائلاً؛ قد يكون بالفعل. ربما. ماذا نعرف؟ في ذهنه الكثير من الفجور!... وحينئذ شمرت الملابس. ارتدى القاضي لو نوار نظارته،

وكان «باريه»[1] يحمل الشمعة، ومفوضو شرطة لو نوار[2] يكتبون. وقمنا بعمل جرد بهذه البنود:

البند، تم نقلنا إلى الفندق المسمى الدنمارك، بناء على طلب «ماري ماجديلين كوردييه»، زوجة «مونتروي»، كنا قد رفعنا ملابس المذكورة «بيلاجي دو شوفور»، ابنتها، وبعد أن فحصناها بالعناية المطلوبة، تعرفنا على المذكورة «دو شوفور» جيدًا وهي ذات أرداف بيضاء قوية، بديعة جدًّا وموفورة للغاية. لقد اقتربنا وجعلنا الشهود يقتربون وجعلناهم قريبين مثلنا من العضو المذكور. وعلى مسؤوليتهم الخاصة، فتحوا قليلًا، باعدوا، شموا، وتعمقوا، ولم يلاحظو مثلنا سوى أجزاء عذراء، فقد أصدرنا هذه الوثيقة القانونية لتكون بمثابة حق، ونأمل، علاوة على ذلك، في المراقبة، ومنح المذكورة «بيلاجي دو شوفور»، القبول في المحكمة والخضوع لحمايتنا القوية في المستقبل.

التوقيع: جان بابتيست لو نوار، صاحب ماخور في باريس والراعي بالميلاد بيوت الدعارة في العاصمة في المقام الأول.

ما المشكلة؟ هل بهذه الطريقة حدث ذلك؟ هنا، كصديق، أوكل ذلك لي. بالإضافة إلى ذلك أو على أي حال، إذا كنتِ تحبين ذلك بشكل أفضل، فأنت لم ترسلي لي ربع ما أحتاجه.

أولًا، أحتاج إلى الملابس، بلا ريب، أو سأحزم صندوقي أمتعتي؛ أربع دزينات من كعكة المرينج، ودزينتان من البسكويت السميك؛ أربع دزينات

(1) خادم الماركيزة.

(2) ضباط الشرطة.

من معجَّنات الفانيليا بالشوكولاتة، وليس ذلك السم القذر الذي كنتِ قد أرسلتِه إليَّ.

ما هذه الدفاتر الورقية الاثنا عشر؟ لم أطلب ورقًا في دفتر: لقد طلبت منك دفترًا ليحلَّ محل دفتر المسرحية الكوميدية التي مررتها لك. أرسلي لي هذا الدفتر، ولا تهذي بعد الآن، لأن كل ذلك سهل تمامًا. أعلميني إذًا بتلقِّي مخطوطتي. ليس من المفترض أن يتم الاستيلاء عليها. إلى جانب ذلك، فإنها لن تظهر؛ وعندما تذهب، سنقوم بأية تصحيحات نحبها، لكن لا يجب أن ننتزعها: تلتصق هذه الأشياء بعضها ببعض، وتتقاطع بعضها مع بعض، وتصحِّح بعضها بعضًا، ولكن لا تنتزع من بعضها بعضًا أبدًا.

يا إلهي! متى سوف تتعبين من القيام بالكثير من الحقارات؟ إذا كنت تدركين أنها حقَّقت أي نجاح، فلتكملي؛ لكن إلى أين أخذك هذا منذ ما يقرب من سبع سنوات؟ هل تجرؤين أن تتحدثي عن ذلك بصراحة؟ فهل هو أذاي الذي تريدينه؟ أم هل هو اضطراب رأسي؟ إذا كان الأمر كذلك، فستكونون جميعًا سعداء، لأنني أقسم على أكثر الأشياء قداسة في العالم أن أدفع لكم أضعاف كل ما تبذلونه من مقالب؛ أوكد لكِ إنني سأستوعب روحها بفن سوف يفاجئك وأنني سأجبركم جميعًا، طالما أنكم كذلك، على الاعتراف بأنكم كنتم حمقى عظماء. أعترف أنني بقيت لفترة طويلة أصدِّق أن «لو نوار» خالٍ من كل هذه الفظائع، لكن بما أنه لا يزال يعاني منها، فإن هذا وحده يثبت أنه يشاركهم ويقنعني أنه مجرد رأس مغفل شنيع مثل الآخرين.

لا تنسي القلنسوة، والعدستين، وقطع الصابون الستة المصقولة، واعترافات «جان جاك روسو»، والمعطف الذي يؤكد السيد «روجمون»

أنه لديكِ. أبعث برواية سهلة والجزء الرابع والسادس من مؤلف «فالي»[1].
أضاجع مؤخرتك بكل قوتي وسوف، أو ليأخذني الشيطان، ويعطِني لكمة على شرفهم! على الأقل لا تخبري بذلك الرئيسة، لأنها يوحنية للغاية؛ فالمولينيون[2] لا يتسامحون مع المرأة. وهي تدَّعي أن السيد «كوردييه» لم يحشُها[3] أبدًا إلا في وعاء التكاثر، وأن كل من يبتعد عن الوعاء يجب أن يذهب ويغلي في الجحيم. وأنا، الذي تربَّى في كنف اليسوعيين، وتعلم من الأب «سانشيز» أنه يجب على المرء ألَّا يسبح في الفراغ إلا بأقل قدر ممكن، لأنه، حسب ديكارت، الطبيعة تمقت الفراغ، لا يمكنني أن أتفق مع ماما «كوردييه». لكنك فيلسوفة. لديك معنى معاكس جميل للغاية، للتلامس، وللضيق من خلال المعنى المعاكس وللحرارة داخل المستقيم الشرجي، مما يجعلني أتفق معك بشدة.

أنا لك في الحقيقة.

[...]

دو ساد

واحدة من أكثر رسائل دو ساد جرأة حيث يستنكر فيها من خلال السخرية المحاولات العبثية التي تم القيام بها ضد أفكاره. أثناء احتجازه، أنشأ الماركيز، الذي كان لديه بالفعل ثقافة فكرية صلبة، نظامه الخاص للتفكير. الذي نجد صداه في مراسلاته والذي ستُظهره فلسفته في كتبه اللاحقة.

---

(1) بول فرانسوا فالي: يسوعي، مؤلف كتاب تاريخ فرنسا، نُشر عام 1770.
(2) من لويس مولينا، عالم اللاهوت اليسوعي. على عكس اليوحنيين كان اليسوعيون يتمتعون بسمعة كونهم أكثر من متسامحين مع خطايا الجسد وخاصة اللواط.
(3) أحد مصطلحات المدفعية، يحشوها بشكل كامل. والإشارة هنا إلى أنها لم تضاجع في مؤخرتها.

[فينسين، صيف 1783]

إلى السيدة دو ساد

الملكة المحبوبة، لا يوجد شيء ممتع حقًّا مثل وقاحة كتبتك. إذا لم يكونوا متأكدين تمامًا من أن أرقامك[1] عبارة عن ألغاز (بالتأكيد بما يتّسق تمامًا مع طريقة تفكيري)، فسيكون هناك ما يكفي حقًّا لمنح كتبتك دفعة قوية من ضربات العصا يومًا ما.

آه! إنهم يؤطرون أيامي الآن! المقلب جيد! الأمر متروك لكِ، أيتها الأميرة الساحرة، متروك لك لأنك من ستحضرين حفل عشاء مع السيدة «جوبي»[2] (الآن في المشفى)، الأمر متروك لك، كما أقول، لمشاركة أوقات «المارتان»، و«الألبير»، و«الفولوازو»! وغيرهم من الأوغاد من هذه الأنواع التي ستجدينها جيدة، بينما تبدو لي مثل خيول الكابينة المخصصة للضرب أو لخدمة الجمهور من جميع الأنواع في كل ساعة وكل يوم.

إن حرماني من اعترافات جان جاك روسو لا يزال أمرًا ممتازًا، خاصة بعد أن أُرسلت لي أعمال لوكريتوس ومحاورات فولتير؛ هذا أمر يدل على فطنة عظيمة، وفهمًا قانونيًّا عميقًا لدى قادتك. للأسف، يجعلونني بكل

---

(1) الإشارات.

(2) ربما كانت زوجة المفتش جوبي الذي حاول القبض على دو ساد في يناير 1774. هذه السيدة «جوبي»، قارئة الملكة، تم الاشتباه في أنها زودته بهذه الكتب الإباحية.

شرف، أن أصدق أن مؤلفًا مؤمنًا يمكن أن يكون كاتبًا سيئًا بالنسبة إليَّ؛ وأتمنَّى لو أكون هنا. أنتم لستم ساميين في وسائل العلاج، أيها السادة المديرون! فلتعلموا أن مكانكم هو ما يجعل شيئًا ما جيدًا أو سيئًا، وليس الشيء في حد ذاته. يُشفى الفلاحون الروس من الحمى بالزرنيخ؛ ومع ذلك، فإن معدة امرأة جميلة لن تتوافق مع هذا العلاج، لذا فهذا دليل على أن كل شيء نسبي. انطلقوا من هذه النقطة، أيها السادة، ولتتحلَّوْا بالحس السليم لتفهموا، وأن ترسلوا الكتاب الذي أطلبه منكم. إن روسو يمكن أن يكون مؤلفًا خطيرًا للمتعصبين المتزمتين من نوعكم، وهو بمثابة كتاب ممتاز بالنسبة إليَّ. يمثل جان جاك بالنسبة إلي ما تمثله بالنسبة إليكم تعاليم يسوع المسيح. إن أخلاق روسو ودينه أمور قاسية بالنسبة إلي، وأنا أقرأها عندما أريد أبني نفسي. إذا كنتم لا تريدون أن أصبح أفضل مما أنا عليه، ماذا يعني ذلك؟ الخير، بالنسبة إليَّ بمثابة حالة من الألم والضيق، ولا أطلب أفضل من البقاء في مستنقعي. أحب ذلك. أنتم تتخيَّلون، أيها السادة، أن جسر الحمير الخاص بكم ينبغي أن يُستخدم وينجح مع الجميع؛ وأنتم مخطئون وسأثبت لكم ذلك. هناك آلاف المرات التي يتعين عليك فيها التسامح مع الشر من أجل تدمير الرذيلة. على سبيل المثال، لقد تخيلتِ أنك فعلتِ العجائب، أراهن على ذلك، من خلال اختزالي في الامتناع الفظيع عن خطيئة الجسد. حسنًا، لقد كنتِ مخطئة: لقد أشعلتم رأسي، لقد جعلتموني أصنع تخيلات ينبغي عليَّ تحقيقها. لقد بدأ يحدث، وسيتعين أن يبدأ من جديد. عندما تغلي القدر كثيرًا، كما تعلمين، ينبغي أن تسيل.

إذا كان لي أن أعالج السيد 6 [1]، كنت سأتعامل مع الأمر بشكل

(1) السيد 6 هو رقم زنزانة دو ساد.

مختلف تمامًا، لأنه بدلًا من حبسه مع أكلة لحوم البشر، كنت سأحبسه مع الفتيات؛ كنت سأوفر له الكثير من ذلك، وليتولاني الشيطاني، إذا لم يكن قد أُستهلك زيت المصباح خلال السنوات السبع التي قضاها هنا! عندما يكون لدينا حصان مفعم بالحيوية، نجعله يركض في أرض محروثة؛ ولا نحبسه في الإسطبل.

بهذه الطريقة، ستضعونه في المسار الصحيح، في ما يسمى طريق الشرف. لن تعد هناك هذه الذرائع الفلسفية، ولا هذه الأبحاث التي تتبرأ منها الطبيعة (كما لو كانت الطبيعة اختلطت بكل هذا)، ولا هذه الانحرافات الخطيرة للخيال المتحمّس بشكل مفرط والتي، وهي تطارد السعادة، دون أن تجد أي شيء على الإطلاق، سينتهي بها الأمر إلى وضع الأوهام الكاذبة في مكان الواقع والانحرافات غير النزيهة في مكان المتعة الصادقة... كان سيصبح سيد الزنزانة 6، في وسط الحريم، صديقًا للمرأة؛ وكان سيدرك ويشعر أنه لا يوجد شيء أجمل وأعظم من الجنس، وأنه لا يوجد خلاص بعيدًا عن الجنس. سوف ينشغل فقط بخدمة السيدات وإشباع رغباتهن الشهية، كان سيضحى بكل انحرافاته. إن اعتياده الإلتقاء بالمحتشِمين فقط جعل عقله يعتاد قهرَ النوازع التي كانت قد تمنعه من الشعور بالانجذاب. كل هذا كان سيتيح له في النهاية أن يتركوه في سلام. وبينما هو في حضن الرذيلة، أعيده إلى الفضيلة! لأنه، مرة أخرى، من الفضيلة أن يكون قلب فاسقٍ للغاية أقل رزيلة. يجب ألا تتخيل أنه بقفزةٍ كاملة يسحب الرجل من الهاوية؛ بمجرد عرض ذلك عليه، سيغضب.

أقنعْ نفسك بجعله يحب الأشياء الأقل قوة، ولكن مع ذلك من خلال نفس نوع تلك التي تشكِّل عاداته.

شيئًا فشيئًا، سيسحب تدريجيًا من الماء الآسن. لكن إذا انقضضت عليه، إذا طالبته بإبعاد كل شيء دفعةً واحدة، فسوف تثير حفيظته أكثر. يُعوِّد المرء المعدة على النظام الغذائي شيئًا فشيئًا؛ لأنه يتم تدميرها من خلال حرمانه فجأة من الطعام. صحيح أن هناك بعض الرؤوس (وأنا أعرف البعض من هذا القبيل) محبوسة في الشر، ومن سوء حظها أن تجد في ذلك جاذبية، وأن أدنى عودة ستكون بالنسبة إليها بمثابة حالة مؤلمة؛ يمكن للمرء أن يقول إنها تسعد بذلك، وأنها تعيش به، وأن الشر بالنسبة إلى تلك الرؤوس بمثابة حالة طبيعية ولا يمكن لأي قوة أن تنتزعهم منه: الأمر يحتاج إذنًا من السماء، وللأسف فإن السماء، التي تعتبر طيبةَ الرجال أو شرَّهم شيئًا غير مهم تمامًا، لا تصنع معجزات أبدًا لصالحهم. والأمر الفريد جدًّا، هو أنهم ليسوا غاضبين من ذلك؛ وسيكونون آسفون لكونهم غير ذلك؛ كل القلاقل، كل الهموم، التي تجرُّها الرذيلة في أعقابها، فبدلًا من أن تصبح عذابًا لهم، تكون على العكس من ذلك؛ إنها مثل قسوة العشيقة التي نحبها: نأسف لعدم المعاناة من أجلها.

نعم بحق اللّٰه! يا بديعة الجمال، أعرف أشخاصًا من هذا القبيل. أوه! كم هم خطرون! فلنصلِّ معًا للربِّ كي يحفظنا من التشبُّه بهم أبدًا، وأن تشملنا نعمته، ولنتلُ معًا عند الدخول إلى النوم صلاة ربانية وملائكية مع بعض الابتهالات على شرف مريم المقدسة.[...] (هذه إشارة)

أنكح مؤخرتكِ بقوة.

أرجو منك أن تتذكَّري أنك أرسلتِ لي نخاع البقر في أوقات بسخونة هذه الفترة نفسها، وأنني في حاجة ماسة لها وأتوسَّل إليكِ أن ترسليها دون تقصير في الخامس عشر من هذا الشهر. بالإضافة إلى عصابتين للعين ليلًا، حتى لا نؤجل دائمًا لما بعد: فليكونا أسمك وأدكن قدر المستطاع.

هذا هو القياس الدقيق للقارورة التي أرجو منك أن تصنعيها لي بذوق تلك نفسها التي أرسلتِها إليَّ، لكن هذه هي النسب، دون نقصان أو زيادة شيء، مع ملاحظة أنه يجب مراعاة أن تكون مضغوطة من الأعلى ثلاث بوصات. لا تضعي لها حلقة ولا قطعًا من العاج مثل تلك التي أرسلتِها إليّ، لأنه لا يصمد. هذه القارورة (لأنه ينبغي عليك أن تشرحي كل شيء لمديريك) مخصَّصة لمشاريع الكتابة والمطبوعات والعديد من المناظر الطبيعية الصغيرة التي رسمتها بالحبر الأحمر. وأعتقد أنه في الحقيقة [...]، عندما يكون ذلك لاستخدام ديني، يجب أن نضع [...]. أحثك بشدة على هذه المهمة في أقرب وقت ممكن؛ كل مشاريعي في الكتابة ورسوماتي متناثرة، ولا أعرف أين أدسُّها.

أولئك الذين يقولون لك إن لدي ما يكفي من الملابس مخطئون. ليس لدي سوى أربعة قمصان يمكن ارتداؤها وليس لدي مناديل أو مناشف. لذا أرسلي ما أسألك عن هذا، من فضلك، ولتنهي مزحتك السيئة حول هذا الموضوع. أرسلي، أرسلي. هيا! ما زال لدي الوقت لأستخدمها.

دو ساد

كانت السنوات 1782 ـ 1783 بمثابة نقطة تحوُّل في اعتقال دو ساد. يتوقَّف الآن عن الانشغال بشأن إطلاق سراحه ويلجأ بحزمٍ إلى الكتابة كما يتضح من الحوار بين كاهن ورجل يُحتضر، كتيب ضد الدين، كتبه في هذه الفترة. وبالمثل، تخلَّى تدريجيًّا عن كتابة المسرحيات لصالح عمل جديد تمامًا، أيام سدوم المائة والعشرين. السجين يتحوَّل إلى فيلسوف والخليع إلى كاتب.

[فينسين، أوائل نوفمبر 1783]

إلى السيدة دو ساد

أوه! يا إلهي! إن السيد «دوكلو»[1] كان على حق عندما قال في كتابه الاعترافات[2]، صفحة 101، أن نكات المحامين[3] تفوح دائمًا برائحة المدرسة الثانوي. اسمحوا لي أن أزيد عليه، وأن نقول إنه تفوح منهم دائمًا رائحة غرفة المحكوم عليهم، غرفة المحكوم عليهم السيئة، لأننا في نكات الضواحي لن نعاني بالتأكيد من التفاهات الغبية التي تخترعها والدتك مع موظف الحسابات الخاص بها. لذلك لن تصيبك بالملل!

ومن ثم سيكون لدينا نكات ومحامون حتى اللحظة الأخيرة! في الوقت المناسب، فلتعُبِّي من ذلك حتى التشبع. فلتتشملي منه. أنا مخطئ في رغبتي في أن أصحح لك ذلك، وظلمي كبير مثل ظلم ذلك الرجل الذي يتعهد بأن يثبت للخنزير أن كريمة بماء الورد أفضل من الب[4]... ولكن إذا ما أعطيتني أمثلة على العناد، على الأقل لا تلوميني على عنادي. أنت متمسِّكة بمبادئك، أليس كذلك؟ وأنا، متمسك بمبادئي. لكن الفارق

(1) كاتب وأكاديمي، توفي عام 1772، اشتهر في ذلك الوقت بتأملاته حول أخلاق هذا القرن.

(2) اعترافات الكونت ***، بقلم شارل دوكلو، نُشر عام 1741.

(3) عائلة مونتروي.

(4) البراز

الكبير بيننا هو أن ثمة منطقًا يكمن وراء منظومتي وأن منظومتك ليست سوى ثمرة البلاهة.

إن طريقة تفكيري، كما تقولين، لا يمكن الموافقة عليها. وماذا يعني ذلك بالنسبة إليَّ؟ كم هو مغفل جدًا من يتبنى طريقة تفكير للآخرين! طريقة تفكيري هي ثمرة تأمُّلاتي. إنها تكمن في وجودي، في إعدادي. أنا لست سيد تغييرها. ولأنني أعلم ذلك، لا أودُّ أن أفعل ذلك. طريقة التفكير هذه التي تلومونني عليها هي عزاء حياتي الوحيد؛ إنها تخفِّف كل آلامي في السجن، فهي تشكِّل كل ملذَّاتي في العالم وأقدرها أكثر من الحياة. لم تكن طريقة تفكيري هي التي جعلتني غير سعيد، بل كانت طريقة تفكيري للآخرين. الرجل العاقل الذي يحتقر تحيُّزات الحمقى يصبح بالضرورة عدو الحمقى. يجب أن يتوقع ذلك ويسخر منهم ـ مسافر يسير في طريق جميل. يزُرع بالفخاخ. يقع فيها.

هل نقول إنه كان خطأ المسافر أم خطأ الوغد الذي نصب الفخاخ؟ لذلك، إذا تم وضع حريتي، كما تقولين، على حساب التضحية بمبادئي أو ميولي، فيمكننا أن نقول وداعًا أبديًّا، لأنني سأضحي، بدلًا منهما، بألف روح وألف حرية، إذا أتيح لي امتلاكهم. إن هذه المبادئ والأعراف بالنسبة إليَّ تحمل على التعصُّب، والتعصب هو كتاب اضطهادات طواغيتي. كلما استمروا في غضبهم، زاد تجذُّر مبادئي في قلبي، وأعلن صراحة أنه لا أحد يحتاج أبدًا إلى التحدث معي عن الحرية، إذا عرضت عليَّ فقط على حساب تدميرها.

فلأخبرك بذلك. ولأخبر السيد «لو نوار». سأخبر الأرض كلها. سأكون عند منصة الإعدام، ولن أغيرها. إذا لم تستطع مبادئي وميولي أن تتواءم مع

القوانين الفرنسية، فأنا لا أطلب البقاء في فرنسا. هناك حكومات حكيمة في أوروبا لا تهين الناس من أجل ميولهم ولا تحبسهم بسبب آرائهم. سأعيش هناك وسأكون كذلك سعيدًا.

ليست آراء الأفراد أو رذائلهم هي التي تضر بالدولة؛ إن أخلاق رجل الحكومة هي التي تؤثر وحدها على الإدارة العامة. سواء أكان الفرد يؤمن بالله أم لا، وسواء كان يبجل العاهرة ويوقرها أو يركلها مائة ركلة في المعدة، فإن أيًّا من هذه السلوكيات لن تحافظ على دستور الدولة ولن تقوِّضه. لكنه هذا القاضي الذي يجب أن يضمن توفير المؤن، لكنه يضاعف سعر الموادِّ الغذائية لأن الموردين يخصصون له مقدارًا، وهذا الرجل المسئول عن الخزانة العامة الذي يسمح بمعاناة من يجب أن تخفِّف عنهم هذه الخزانة، لإنه يستفيد منها إلى أقصى حد لحسابه الخاص، حيث المدير المالي أحدى الأسر الملكية والضخمة يترك الجنود التعساء الذين يضعهم الملك في هذا المنزل يموتون جوعًا، لأنه يريد طعامًا طيبًا، يوم الخميس غزير الفوائد، مع عائلته - في جميع أطراف الدولة ندرك بزعزعة هذه الإدارة الفاسدة؛ كل شيء تغيَّر، كلُّ شيء تدهور. ومع ذلك ينتصر الابتزاز، بينما يتعفن الآخرون في زنزانة. إن الدولة على وشك الانهيار، هكذا قال المستشار «أوليفييه» في حجر العدالة تحت حكم هنري الثاني، عندما يعاقب الضعيف فقط، ويجد المجرم الثري حصته من العقاب في ذهبه.

عسى الملك أن يصحِّح رذائل الحكومة ويصلح انتهاكاتها ويشنق الوزراء الذين يخدعونه أو ينهبونه قبل أن يقمع آراء رعاياه أو ميولهم! مرة أخرى، لن تقوِّض هذه الآراء ولا هذه الميول عرشه، بينما سوف تطيح به، شناعة أولئك الذين يقتربون منه، عاجلًا أم آجلًا.

يقوم والداك، كما تقولين، يا صديقتي العزيزة، بكل الترتيبات حتى لا أتمكَّن من مطالبتهم بأي شيء. هذه الجملة هي الأكثر تفردًا لأنها تثبت بالضرورة من يكون الأوغاد هم أم أنا؟ إذا اعتقدوا أنني قادر على طلب أكثر من مهرك، إذًا فأنا من يكون الوغد (لكنني لست كذلك؛ لم تدخل أبدًا النذالة في مبادئي، كما أنها من أحطِّ الرذائل)؛ وإذا كان، على العكس من ذلك، فإنهم يرتِّبون لعدم إعطائي أبدًا ما يجب أن يعتمد عليه أولادي بشكل طبيعي، لذا فهم الأوغاد. اختاري، من فضلك، لأن هذه الجملة لا تسمح بمنطقة وسطى. هل سيكون هذا الاختيار الأخير؟ لن أندهش، ولن أتفاجأ بعد الآن وذلك نتيجة المتاعب التي واجهتها من أجل زواجك، وكلام أحد خاطبيك: الآنسة، كما تريد، ولكن الوالدين، لا! لن أكون متفاجئًا بعد الآن لأنني تلقيت مهرك في شكل سندات تجارية، فقد فقدت الثلثين على الفور؛ لن أتعجب بعد الآن مما قاله لي الأشخاص الذين كانوا يهتمُّون لأمري دائمًا: اتخذ احتياطاتك، فأنت لا تعرف مع من تتعامل. الأشخاص الذين يرتبون لعدم دفع المهر الموعود لابنتهم، لم يعد شيء يفاجئني؛ وكنت أظن منذ فترة طويلة أن شرف إنجابك ثلاثة أولاد لا بدَّ أن يكون قد دمَّرني. وهذا بلا شك سبب قيام والدتك بالكثير من أجل استعادة الوثائق من منزلي. مع القليل من اللويسات، كل ما عليها فعله الآن هو انتزاع بعض الدقائق من كتاب العدل، وتزوير بعض السندات في مقاطعة «ألباريه»: يمكنني بالتأكيد طلب الصدقات عندما أخرج من هنا ـ حسنًا، ماذا أفعل حيال هذا؟ سيكون هناك دائمًا ثلاثة أشياء من شأنها أن تعزِّيني عن كل شيء: من دواعي سروري إبلاغ رجال الحكومة الذين لا يحبون النذالة ماذا يصنع المحامون بالنبلاء، وآمل أن يعلم الملك بأن

أذهب وألقي بنفسي تحت قدميه، إذا لزم الأمر، لسؤاله عن سبب حيل والديك، وإذا لم ينجح أيٌّ من هذا، فإن الرضا، حلو جدًّا بالنسبة إليَّ، أن أكون معك، من أجلك وحدك، يا صديقتي العزيزة، وأن أستخدم القليل الذي سيبقى لي في احتياجاتك، ورغباتك، مع سحر فريد لقلبي لرؤيتك تكنين كل شيء لي.

دو ساد

يتساءل المرء عما كان رد فعل الماركيزة على قراءة هذه الرسالة حيث دو ساد، لا تزال تسكنه مناهضة حادة للإكليروس، ويحاكي محاكاة ساخرة، بروح دعابة مخربة، الابتهالات الشهيرة للعذراء.

[23 ـ 24 نوفمبر 1783]

إلى السيدة دو ساد

أيتها المخلوقة الساحرة، هل تريدين ملابسي المتَّسخة، ملابسي البالية؟ كما تعلمين إنها مهمة رهيفة! ترين كيف أشعر بقيمة الأشياء. اسمعي يا ملاكي، لديَّ كل رغبة العالم لترضي عن ذلك، لأنك تعلمين أنني أحترم الميول والتخيُّلات: مهما كانت باروكية، أجدها جميعًا محترمة، ولأننا لسنا متحكمين في ذلك، ولأن الأكثر تفردًا والأكثر غرابة على الإطلاق، الذي تم تحليله جيدًا، يعود دائمًا إلى مبدأ الرهافة. سآخذ على عاتقي الإثبات عندما يراد ذلك: وكما تعلمين أنه ليس هناك من يحلِّل الأشياء مثلي. لذا، حبيبتي، لديَّ كل رغبة العالم لإرضائك؛ ومع ذلك، أعتقد أنني أقوم بعمل شرير لعدم إعطاء ملابسي البالية للرجل الذي يخدمني. لقد فعلت ذلك إذًا وسأفعل دائمًا؛ لكن يمكنك أن تتوجَّهي إليه. لقد سبق أن تحدَّثت إليه ببعض الكلمات، كلمات مغطَّاة، كما يمكنك أن تتخيلي. لقد فهمني، ووعد بجمعها لكِ، لذا، يا حبيبتي، ستتوجهين إليه، من فضلك، وستكونين راضية ـ آه، لتتبارك روحي! نعم، بمثل هذا الطريق القصير والسهل، كان بإمكاني الحصول على الكثير من الأشياء منك، والتي سرعان ما التهمت، إذا احتفظت بها، كيف سأذهب؟ وكيف أسير بسرعة؟ وكيف أستفيد منها كثيرًا؟ كما أود أن أقول: أعطِ، أعطِ يا سيدي، هذا يأتي

من تلك التي أعشقها! سوف أتنفَّس عبير حياتها؛ إنه سوف يشعل السائل الذي يتدفَّق في أعصابي. سوف يحمل شيئًا منها إلى وجودي، وسأعتقد أنني سعيد! ـ بعد قولي هذا، هل ستسعدينني، يا ملكتي، بأن ترسلي لي ملابس جديدة، لأنني في حاجة ماسة إليها؟

أنت تسألين، أيتها الجرو الصغير، كيف أريد دفترًا من 300 ورقة، أي 600 صفحة: حسنًا، يا عزيزتي، سأجيب عليكِ إنه ينبغي أن يكون مثل دفتر الملاحظات غير الثابت.

متعة محمد، تقولين إن الغمد[1] الذي أطلبه منك قد سبب لك مشكلة. أستطيع أن أتخيل أنه سيسبب لك بعضًا من ذلك إذا كان قد حدث، لكن عندما يتعلَّق الأمر بحدوثه، لا أستوعب من خلال مقدرة مخيخي المحدودة أن مجرد عملية الأمر يمكن أن تثير أعصابك التي تنبه الروح إلى الإحساس بالألم. إنهم يعتبرونك، كما تقولين، امرأة مجنونة: هذا ما لم أفهمه؛ ولا يمكنني الإقرار بأن طلب غمدًا كبيرًا من امرأة صغيرة يمكن أن يسبب أي اضطراب في الغدة الصنوبرية، فلنؤسس نحن الفلاسفة الملحدين مقرًّا للعقل. يمكنك أن تشرحي لي هذا على راحتك، وفي انتظار أن توصي على الغمد وترسليه إليَّ، أتوسَّل إليك، لأنني في حاجة ماسة إليه، وفي عدم توفره سوف أستخدم لجمع رسوماتي أشياء سوف تمزِّقها، على الرغم من أنها بالحجم نفسه.

لقد أرسلتِ لي الصبي الوسيم، يمامتي العزيزة. الصبي الوسيم: هذه الكلمة الإيطالية إلى حدٍّ ما، ما أجملها على مسامعي! سوف يقال لي، فتى

---

(1) القارورة.

وسيم يا سيدي «بيل جيوفانيتو»، لو كنت في نابولي، وسأقول: نعم، نعم، يا سيدي، أرسله، أنا أحبه.

..

Si, si, signore, mandaielo lo voglio bene. لقد عاملتِني مثل كاردينال، يا أمي الصغيرة. لكن للأسف كان ذلك في الرسم فقط. الغمد إذًا، على الأقل، الغمد، بما أنك تختزلينني في أوهام!

قطتي السماوية، استمعي بخصوص هذا الموضوع إلى قصة صغيرة مضحكة حدثت في روما في أثناء وجودي هناك. لأنه في بعض الأحيان يجب عليك أن تبتهجي: فلتسألي بالأحرى الملازم شارل[1]، الذي جاء إلى منزلي ليهتف مبتهجًا قبل أسبوع بإخباري أنه رجل الملك. هناك كاردينال في روما لن أذكر اسمه، لأنني متحفظ! له حكمة مفادها أن السائل العصبي[2]، الذي يتم تفعيله كل صباح بواسطة الجسيمات التي تهرب من جاذبية الفتاة الجميلة، يهيئ عقل الرجل للدراسة والبهجة والصحة. وبناءً على ذلك، فإن المربية، التي تم تكريمها من قبل المونسينيور بسبب هذه التفاصيل المثيرة للاهتمام، تُدخل كل صباح عذراء صغيرة جدًّا إلى غرف سماحته الداخلية؛ رجل نبيل يستقبلها ويزورها ويتعرَّف عليها.

ذات يوم، سينيورا كليمنتينا (كان هذا هو اسم المربية)، التي تجهل هذه الشعيرة والتي تعرف أن الأسقف، المليء باحترام العذراء، لم يُهنها أبدًا في أي وقت وأجرى معها عددًا قليلًا من الاختبارات المعتادة التي يمكن أن تساوي بدقة في رأيه بين كلا الجنسين، وحيث لم تكن في متناول

(1) أحد ضباط قصر فينسين.
(2) الأوتار العصبية.

يدها الألوهية اليومية، تصورت أن ينوب عنها صبي صغير تحت ثوب فتاة. يحضر الطفل، تنسحب السينيورا ويزور الرجل النبيل.

«أوه! مونسنيور، يا له من غدر! يصرخ. السينيورة كليمنت تستحق...! ممارسة مثل ممارستك! يقترب الكاردينال، يرتدي نظارته، ويفحص ما أحضر له، ثم ابتسم بلطف وجعل الطفل يمر إلى غرفته: «سلام، سلام، يا صديقي»، قال للنبيل، سنخدعها بدورها: سوف تعتقد أنني خُدعت.

في 23 نوفمبر.

نظرًا لأننا نتحدث عن هذا الموضوع، لذلك سوف أخبرك، أيتها الخنزيرة الطازجة، عن أفكاري، حيث عملت جاهدًا لأعطيك تصميمًا للوسادة التي تطلبها ضعضعة مؤخرتي. وودت أن أجعلك تشعرين بذلك بإصبعك وبعينك، ولذلك فقد قطعت بأكبر قدر ممكن من المهارة ورقة رسمت فيها تصميمًا دقيقًا للشيء؛ الورقة لها الشكل الذي يجب أن تكون عليه الوسادة؛ سوف يتم تنفيذها بالريش وشعر الحصان (إنهما ممتازان على هذا النحو) ومغطاة بقطعة قماش مقصَّبة قوية.

حجم الورقة، لكن يجب أن يكون حجمها أكبر قليلًا أفضل من أن يكون أصغر، ولينة للغاية ومحشوة بشكل جيد. إن إرسال هذه الوسادة، صقل ناعم للفجوة، يجعل المنشفة المصنوعة من القطن عديمة الفائدة؛ بغير ذلك، ستكون ضرورية.

اختفت نماذج الجوارب والصندوق الصغير، وأوعية قلبي الدموية، وها هو النموذج الخاص بالبساط: طوله 42 بوصة وعرضه 30 بوصة، من قماش أخضر جيد مزيَّن بشريط من الحرير في كل جوانبه.

سواء جيدة أم رديئة (الرديئة ضرورية بالنسبة إليَّ مثل الجيدة)، أتوسّل إليك، يا نجمة الزهرة، أن ترسلي لي كل المسرحيات الجديدة التي ظهرت خلال عام 1783 سواء جيدة أو رديئة، وذلك فقط مع التقويم الجديد، أي في نهاية الشهر المقبل أو في بداية يناير. كوني على يقين تام، يا روح روحي، أن أول عملية تسوُّق سأقوم بها عندما أخرج، بل وأول عمل أقوم به عند نيل حريتي، بعد تقبيل عينيك، حلماتك وأردافك، هو أن أشترى على الفور مهما تكلف الأمر:

أفضل عناصر الفيزياء، والتاريخ الطبيعي لـلسيد بوفون، في أربعة مجلدات، مع اللوحات وجميع أعمال مونتاني، ودليلي، وأرنو، وسان لامبير، ودورا، وفولتير، وجان جاك روسو، مع مجموعة المسافر، تاريخ فرنسا والإمبراطورية الواطئة، كل الأعمال التي ليست لدي، على الإطلاق، أو غير مكتملة تمامًا، في مكتبتي.

انطلاقًا من رغبتي في أن أحوز هذه الكتب واليقين بأنني سأشتريها يومًا ما، فلتنظري، يا مرآة الجمال، تلك التي تسمح لك أموالك بتمريرها لي في هذه الأثناء، لأنني، فيما يخص أن أكون صاحب كتب بالإيجار، لم أعد أريد ذلك. إنه أمر روحاني على نحو خاص، يشحذ أعصابي، لإطلاق فكاهات على الكتب، وهذا هو بالضبط ما أخطأ فيه السيد دوكلو عندما قال، كما أخبرتك في اليوم السابق، إن تسلية المحامين تفوح منها رائحة المدرسة الثانوية: ماذا يمكن أن يكون أجمل، وأنبل من إطلاق فكاهة على عنوان كتاب؟ ليس لدينا كاتب، لا من عهد لويس الرابع عشر، ولا عهد لويس الخامس عشر، حقّق مثل هذه الرفعة من العبقرية. فقط أسألك شيئًا واحدًا: هو محاولة وجود روح في الكتاب على الأقل بقدر ما هي موجودة

في فكاهة العنوان ـ وهو ما لم تفعليه حتى الآن، لأنه من المستحيل قراءة الروايات الجديدة التي أرسلتِها إليَّ، مهما كانت تشكل أجمل الأرقام في العالم: من 39 الفاشل إلى 84، من 45، في كلمة واحدة، أشياء مشرقة[1] حقًّا. ألن يكون من الممكن، يا صورة الألوهية، أن تُعد كل هذه الأرقام وكل هذه الأطروحات العظيمة في كتب جيدة؟ وبحق اللّه، لا تشتري أي شيء من كتب السيد «رطيف»[2] تحديدًا! وهو مؤلف كتاب الجسر الجديد والمكتبة الزرقاء، حيث من غير الوارد أن تفكري في إرسال أي شيء منها إليَّ. لذا، أرجو منك أن ترسلي لي مزيدًا من الروايات الجديدة والجيدة.

من المستحيل تمامًا بالنسبة إليَّ أن أستمتع بدحض نظام الطبيعة، إذا لم ترسلي لي كتاب النظام: وضحي ذلك، من فضلك، وقولي، يا بنفسجة جنة عدن، أنه لا ينبغي معارضة صوابي وإعادة ترسيخ المبادئ الجيدة. أوافق على أن العملية ستكون صعبة، وتلك المبادئ التي تبنيتها لمدة ثلاثين عامًا، بنيت على الصخر، ولن تهتز بسهولة: لكن لا يزال عليك عدم التدخل في إمكانية النجاح.

أيها الكوكب السابع عشر في الفضاء، لا يجب أن تطلقي فكاهة على أوشحة الرأس. أولًا، يجب ألا تمزح الزوجة بشأن رأس زوجها مطلقًا؛ ثانيًا، يا جوهر العذرية، لأن هذه الأوشحة هي عطية خالصة منك، ولن تدخل في أي مذكرة، إنها هدية مجانية منك. وهل تريدين أن تجعليني أقول، يا تدفُّق الأرواح الملائكية، إن هذا الرفض هو نذالة تافهة؟ أعلم جيدًا أن الملازم «شارل»، الذي يمكن للمرء أن يمزح بشأن رأسه، أصدر

(1) إشارات.

(2) لقد كان الكاتب رطيف دو لا بريتون، مكروهًا من قبل دو ساد.

نكاتًا ساخرة حول أوشحة الرأس؛ لكن الآن، يا رمز الحشمة، بعد أن حصل الملازم شارل على جنيهاته الستة، يبدو لي أنه يمكنك إرسال بعض أوشحة الرأس، بالعدد والجودة التي ترضيكِ. يا معجزة الطبيعة، كنت قد رجوتك أن ترسلي لي زوجًا لطيفًا من الأرداف، عندما يكون هناك نسخة طبق الأصل يمكن الإشارة إليها، وبدلًا من ذلك أرسلتِ لي الملازم شارل الذي أخبرني أنه رجل الملك! يا حمامة فينوس، هذا ما يسمى الخطأ من السبب إلى النتيجة.

هربت روز من حضن النعم، بقي لي فقط أن أطلب منك معرفة سبب رفض نبيذ الخوخ: أي تشابه يمكن أن يكون بين دساتير الدولة وألياف معدتي؟ زجاجة واحدة أو اثنتين من نبيذ الخوخ، يا وليدتي، هل يمكن أن يقوضا القانون السالي[1]، ينتهكا قانون جستنيان؟ يا صفية مينيرفا، يجب أن يكون مثل هذا الرفض بالنسبة إلى السكّير: لكنني أنا الذي يسكرني فقط بسحرك والذي لم يشبعني أبدًا، يا طعام الأوليمب الشهي، يجب ألا تحجبي عني نبيذ الخوخ! يا سحر العين، شكرًا لك على نسخة روسو الجميلة التي أرسلتِها إليَّ. يا شعلة حياتي، متى تأتي أصابعك المرمرية هكذا لتبدل صلابة الملازم شارل مقابل ورود صدرك؟ وداعًا، أمارس الجنس معه ثم أنام.

هذا 24، في الواحدة صباحًا.

دو ساد

شكّك العديد من المعلقين في أصل العنف والتجاوزات التي تعرض

---

(1) قانون يحرم المرأة من حق الحكم.

لها دو ساد. إذا تمكّنا من التذرُّع بقسوة الاحتجاز، حيث ستكون الكتابة عندئذٍ هي المنفذ، فربما تظهر بدايات تفسير في هذا الخطاب، وللمرة الوحيدة، يتحدث ماركيز عن مشاكله الباطنية والفسيولوجية.

[فينسين، نهاية عام 1784]

إلى السيدة دو ساد

أعلم جيدًا أن الفانيلي[1] مثير، لذا ينبغي استخدام السيجار[2] باعتدال. ولكن ماذا تريدين، عندما لا يكون لدينا غير ذلك ـ إذ ذاك نكون هناك من أجل أي حيلة! أفضل ما أستطيع أن أفعله هو أن أحرم نفسي من أي شيء غير عادي. أكثر الفترات إثارة في الصباح الباكر ويكون فيه خمس سيجار، تحدث متدرجة بشكل فني من السادسة إلى التاسعة، ونصف ساعة إثارة في المساء وبها ثلاثة، مع نسب أقل ـ ليس هناك ما يدعو للصراخ على ما أعتقد. وهذا أمر منطقي للغاية، بالإضافة إلى أنه عندما يعتاد الأمر، فإنه لا يصير أمرًا مزعجًا ـ وهو في الحقيقة كذلك؛ أتحدى أنها قد تكون أفضل ـ تعالي وأخبريني بعد ذلك أنني لم أفز بأي شيء في محمية فينسين. وبعد ذلك سأخبرك، إذا خسرنا قليلًا في هذا الجانب، فإننا نكسب الكثير في الجانب الآخر، إنه مثل شخص يُحرق منزله على اليمين ويعيد بناءه على اليسار. لإنه على الجانب الذي لا يحترق ـ هذه حكمة نموذجية حقًا ـ أحيانًا لمدة ثلاثة أشهر في الحقيقة، لا يعني ذلك أن القوس ليس مشدودًا جدًا. أوه لا تغضبي، سيكون هناك ما يعجبك في ذلك ـ لكن السهم[3] لا

---

(1) الاستمناء.

(2) النكاح الذاتي باستخدام القوارير.

(3) يبدو أن دو ساد واجه بعض الصعوبة في تحقيق الفعل الجنسي الكامل، ربما بسبب آثار الزهري.

يريد أن ينطلق ـ وهذا ما يقتل، لأننا نريده أن ينطلق ـ بسبب عدم وجود كائن ينطلق إليه الرأس ـ وهذا لا يجعله مهيأً ـ ولهذا أخبرك أن السجن سيئ. لأن العزلة تعطي المزيد من القوة للأفكار، ويصبح الاضطراب الناتج عن هذه القوة أكثر سرعة وتأكيدًا بشكل لا نهائي.

لكنني اتخذت قراري بالتأكيد بشأن عناد هذا السهم وعدم رغبته في الانطلاق، خاصة أنه عندما يفعل أكثر من مجرد شق الهواء، فهي حقًا نوبة صرع ـ وبدون إجراءات احتياطية مملة، أنا متأكد أن المرء قد يدرك ذلك في ضاحية سانت أنطوان، واختلاجات وتشنُّجات وآلام ـ لقد رأيتِ عينات منها في لا كوست ـ التي تضاعفت فقط، لذلك احكمي. وفي مقابل ذلك، مثل أي شيء يصنَّف تمامًا، ليس هناك شر أكثر من الخير. أنا متمسك بالسيجار وهو رقيق لا يحتاج إلى شيء من كل ذلك؛ كنت أرغب في تحليل سبب هذا الإغماء، وأعتقد أنه تم العثور عليه في الكثافة القصوى كما لو كنا نريد عصر الحليب من خلال العنق الضيق للقارورة ـ هذه الكثافة تضخم الأوعية وتمزقها. لذلك نقول ـ يجب أن ينطلق السهم في كثير من الأحيان؛ أعلم أنه يجب ذلك، لكنه لا يريد ـ وإجباره على القيام بذلك عندما لا يريد، ويقتلني الغثيان. إذا كان بإمكاني الحصول على الوسائل ـ بخلاف السيجار (لأن السيجار لم يعدْ يحثُّ السهم بأي شكل من الأشكال) ـ ولكن إذا كان لدي هذه الوسائل الأخرى التي أستخدمها عندما أكون حرًّا ـ يصبح السهم أقل ترددًا وبالتالي في كثير من الأحيان، لن تكون أزمة انطلاقه بمثل هذا العنف أو هذه الخطورة الشديدة ـ لأن خطورته تفسره الصعوبة. عندما تريد الدخول إلى مكان ما، إذا فتح الباب بسهولة، فلن يتم بذل جهدٍ يذكر؛ إذا قاوم تصير المجهودات بسبب المقاومة. هنا،

الشيء نفسه، جهد أقل، إذا كان السهم أكثر انسيابية، وينطلق في كثير من الأحيان؛ ووفقًا لذلك عدد أقل من الحوادث - وحوادث مروعة بشكل عكسي، وجهود عنيفة، إذا كان السهم الذي تغذَّى بسبب بقائه فترة طويلة جدًّا، قد اضطر لتمزيق الجعبة في أثناء عبوره - تخيلي بندقية محشوة برصاصة، والرصاصة ستزداد جودتها بسبب البقاء في البندقية. إذا أطلقت البندقية بعد يومين، فإن الانفجار سيكون خفيفًا إذا تركت الرصاصة تنمو، فعندما تخرج، سوف تفجر فوهة البندقية:

إذا كان لديكِ طبيب موثوق به، أود أن تفكِّري معه بشأن كل ما أقوله لك هنا، لأنني مقتنع تمامًا أنه لا يوجد أحد في العالم يشعر بما أعانيه في هذه الأزمة. إن هدفي استنادًا إلى ذلك، عندما أكون حرًّا، هو استشارة أحدهم وجعله يرى ما يتعلق بالأمر - لأنَّه من المؤكد جدًّا أنه يجب أن يكون لدي عيب في البنية ليس لدى الرجال الآخرين. بالتأكيد عيب كان أقل وضوحًا في شبابي، والذي سيظهر مع تقدمي في العمر، بقوة أكبر، وهذه الفكرة تجعلني أشعر باليأس.

أريده تمامًا بمجرد أن أتمكَّن من ترتيب ذلك وأن أستخدم النظام الذي سيتم وصفه لي وفقًا لذلك. لا تعترضوا عليَّ، بأن الأخلاق هي التي تهيِّج الجسد - أجيب بالعكس. لقد أجريت هنا، في هذا الصدد، جميع الاختبارات الممكنة - والرأس الذي اهتاج بوضوح لأقصى درجة، وظل هائجًا لأطول فترة ممكنة، ذهب قسريًّا إلى جميع الشياطين عند انطلاق السهم، وبقي هناك لفترة طويلة حيث كانت النوبة طويلة جدًّا، والحركات والتشنجات لدرجة لا يمكن تصور طوال فترة استمرارها. بعيدًا عن الاستثارة التي تسبب هذا، على العكس من ذلك، كلما استثار، وانطلق

السهم ـ وها أنتِ مرة أخرى ترين، وهذا ما يجب أن تتذكريه جيدًا. وكلما قلَّ انطلاقه، زادت الاستثارة ـ وفي مقابل ذلك سلبيات على أية حال. إذا لم ينطلق السهم أبدًا وأردنا إجباره على ذلك، دوار رهيب؛ إذا نجحنا في ذلك ـ أزمة رهيبة ـ وإذا لم ننجح ـ فلنذهب إلى الجحيم. أفيديني بالرأي، فأنا بحاجة إلى التشاور وخاصة للاستحمام الذي، وأنا متأكد من ذلك، يجب أن يكون ذا سيادة في هذا الظرف.

أجيبي إذا كنت تستطيعين شيئًا ما بخصوص ذلك وكوني على يقين تام من حناني.

دو ساد

دو ساد الذي كانت تراقبه عن كثب رقابة الباستيل، حيث نُقل منذ 1784، بدأت زوجته تظهر عليها علامات التعب في وجه استبداد زوجها، أرسل لها هذا الإعلان المؤثر الذي لا يخلو من دافع خفي.

[الباستيل، ديسمبر 1787]

إلى السيدة دو ساد

لديَّ رغبة في أن أوبِّخك بشكل مذهل، هذه[1]

[الطريقة التي ترتدين بها والتي لا يمكن الصمت تجاهها هي فظيعة

وفي الحقيقة تفوق كل ما يمكن تخيُّله؛ معك

[لا نعرف أبدًا ما يمكن أن نصدقه، وهو أمر مؤلم عندما نفكر فيه؛

[أرى أن هذا ليس مدهشًا، لقد تطورتِ يا حبيبتي منذ لم نعد [معًا، لكن

أعترف لك أنني لا أرى أي دوافع لسلوكك و

[أنت أكثر النساء تفردًا، ألا تتخيلين أنني

[سأغفر لك كل هذا، يمكنك أن تتخيلي كم أشعر بالضيق الشديد

من سلوكك، [وداعًا، لأكتب هذا المساء مثل الوحش، مثل الحمار، مثل

الفحل الإسباني، لذلك أحييك، فلتأتي،

[لتريني، لو سمحتي، تعالي عندما تريدين، ستمنحيني دائمًا [السعادة

والشرف ويمكن أن تتأكدي على الرغم من كل شيء:

[الأحزان التي ستمنحيني إياها ستضاجعك بشكل رائع، نعم

ستضاجعها كل روحي.

دو ساد

---

(1) تمت إضافة علامات ترقيم داخلية للمساعدة في قراءة هذه الرسالة مزدوجة المدخل.

هل تسبب دو ساد في اقتحام سجن الباستيل؟ على أي حال، هذا ما سيؤكده في عدة مناسبات. قبل أيام قليلة من هذا الحدث التاريخي، غضب الماركيز إثر شجار عنيف جديد مع سجّانيه، فقام بصنع مكبر صوت، ومن خلال نافذة زنزانته المسيَّجة بالحديد، وهو ما من شأنه إثارة غضب الناس بالصراخ بأن السجناء يُقتلون. في حالة ذعر، اختطف حاكم الباستيل دو ساد ليلًا لنقله بالقوة إلى شارنتون حيث ستأتي الثورة لتطلق سراحه.

نُقل دو ساد إلى سجن شارنتون قبل أيام قليلة من 14 يوليو 1789، وأُطلق سراحه يوم الجمعة العظيمة 1790 بعد أكثر من ثلاثة عشر عامًا من الاحتجاز. ومع ذلك، فإن وضعه بالكاد مبشر: فبينما هو مدمَّر وفي حالة بدنية سيئة، ترفض زوجته رؤيته مرة أخرى وتخبره أنها ستطلب الانفصال. لكنْ أكثر ما أثَّر عليه هو فقدان مخطوطاته في أثناء نهب الباستيل، ولا سيما عمله الرئيسي: أيام سدوم المائة وعشرين. في الواقع، سيتم إنقاذ هذه المخطوطة بالصدفة.

[باريس، 12 أبريل 1790]

إلى جوفريدي

[...] غادرتُ شارنتون[1] (حيث تم نقلي من الباستيل) يوم الجمعة العظيمة. يوم رائع، عمل عظيم! نعم محاميَّ العزيز، إنه ذلك اليوم الذي استعدتُ فيه حريتي. لذلك قررت أن أقدسه بقية حياتي، وبدلًا من هذه الحفلات الموسيقية، ومن هذه المسيرات التافهة التي كرست حسب العرف لهذه الفترة بشكل غير ديني، حيث يجب أن نئنَّ ونبكي فقط، بدلًا من ذلك، أقول، من كل هذه السخافات الدنيوية، كلما عاد إلينا اليوم الخامس والأربعون من الصوم الكبير يوم الجمعة المقدسة، سوف أركع، أصلي، وأقدم الشكر. عازمًا على التعديل من نفسي، والوفاء بكلمتي.

بالمناسبة، عزيزي المحامي، لأنني أرى بوضوح أنك ستخبرني مثل أي شخص آخر: «ما نريده، يا سيدي، الحقائق وليس الكلمات»، بالمناسبة، من المعروف أنني نزلت إلى وسط باريس ومعي لويسة واحدة في جيبي، دون أن أعرف إلى أين أذهب، وأين أقيم، أو أتناول العشاء، وأين أحصل على المال. السيد دو ميلي، محاميّ في «شاتاليه»، الذي أدار شئوني في هذا البلد لمدة ستة وعشرين عامًا، كان لطيفًا بما يكفي ليقدم لي سريرًا

(1) عندما نُقل من سجن الباستيل في 4 يوليو 1789، كان قد وضع دو ساد محتجزًا في ملجأ شارنتون، حيث مكث تسعة أشهر.

وطاولة وستة لويسات أولًا. في اليوم الرابع، مع لويساتي الست، التي لم يتبق منها سوى ثلاثة، كان عليَّ البحث عن نزل، وخادم، وملابس، ومتعهد وجبات، وما إلى ذلك، حتى لا أكون عبئًا، وكل هذا بثلاثة لويسات.

في هذا الوضع، قدمت طلبًا إلى السيدة الرئيسة دو مونتروي، التي كانت لطيفة بما يكفي بأن تعيرني بضع لويسات من كاتب العدل الخاص بها، بشرط أن أكتب إليكم على الفور لأطلب إرسال بعض المال لي، لسداد المال الذي أقرضته لي من كاتب العدل الخاص بها والاستمرار في العيش. لذلك أناشدك، أيها المحامي العزيز، ألا تتأخر في إرسال المبلغ البسيط ألف كرونة الذي طلبته منك في اليوم الآخر حيث بقدر حاجتي الماسة إليه السرعة في إرساله ضرورية للغاية. [...]

دو ساد

المسرح هو شغف دو ساد الحقيقي. لا شك أنه اكتشف خلال دراسته عند اليسوعيين أن الفن الدرامي سوف يسحره دائمًا. وبالتالي، سوف يسعى جاهدًا لكتابة المسرحيات سواء كوميدية أو تراجيدية، والتي حتى في الأوقات النادرة التي يتم فيها تأديتها لن تعرف أبدًا أدنى نجاح. ومع ذلك، لن يشعر الماركيز الكاتب المسرحي الناشئ بالإحباط وسيحاول حتى اليوم السابق لوفاته أن يُعد أعماله، ولكن لم تعد... في الكوميدي فرانسيز.

[باريس، 17 فبراير، 1791]

إلى ديلابورت[1]

لقد جعلني مسرح الكوميدي - فرانسيز، يا سيدي، آمل أن يعوضني القليل عن الاستقبال السيئ للغاية وغير المستحق للغاية، الذي قابل به مجلسه ذلك اليوم المسرحية التي قدمتها للحكم عليها؛ من فضلك سجلني لقراءة جديدة، يا سيدي؛ هناك اثنان أو ثلاثة آخرين مثل الأخيرة، ومن المؤكد تمامًا أنني لن أزعجك يا سيدي، لا أنت ولا الكوميديا الفرانسيز.

يشرفني يا سيدي، أن أكون خادمك المتواضع والمطيع للغاية بكل إخلاص.

دو ساد

لطالما كان دو ساد شغوفًا بالسياسة مع تغيير بعض القناعات في بعض الأحيان. هذا المتفرج أخذ ينخرط أكثر فأكثر في أحداث الثورة الفرنسية، إلا أنه كره دائمًا ميرابو، على الرغم من أنه كان محتجزًا معه في فينسين. أدى موته وتحوله إلى بطل للأمة إلى ظهور هذه الرسالة حيث تطل السخرية من كل سطر.

---

(1) سكرتير الكوميدي فرانسيز.

[باريس، أبريل 1791]

إلى جوفريدي

لا شيء يساوي الإحساس الذي أحدثه هذا الموت[1] هنا. يتدفَّق الناس على العروض ويعرقلونها. وجد بعض الأشخاص، الأقل حماسًا تجاه محرِّر فرنسا، أن هذا العرقلة سيئة وأن أحد هؤلاء المعرقلين تم جره إلى القصر الملكي ولا نعرف شيئًا عما صار إليه وضعه. لقد كان حشدًا كبيرًا. كنت في القصر الملكي في المساء، حيث كان انطباع الألم مرسومًا على كل الوجوه. دو ساد صمت كئيب وازدحمت الجماهير. إن وفاة السكرتير الذي طعن نفسه خمس عشرة مرة أمر غير عادي للغاية. كان هذا الرجل مشتبهًا به، ولا يزال يُشتبه فيه بشدة، في تعاونه في وفاة رئيسه. لا أعرف ما إذا كان الوقت سيوضح هذا اللغز المظلم. [...]

هذا الثلاثاء 5 أبريل.

دُفن المحرر أمس في الساعة السابعة مساءً، أو بالأحرى تم إيداعه مؤقتًا في أبرشية القديس يوستاش ليتم نقله ثم دفنه في أبرشية سانت جينفيف التي يُدَّعى أنها راعية باريس. صحيح أن الراعية لها المحرر. كانت القافلة رائعة؛ كل الهيئات الممكنة كانت حاضرة، والسيد أورليان على رأسها.

---

(1) توفي ميرابو في 2 أبريل 1791. في حراسة فينسين، وكان قد أهانه دو ساد بشكل غير رسمي في 28 يونيو 1780، مما أثار غضب محرر المستقبل.

انطلقت جميع أجراس باريس. في السابق، تم شق المحرر للتحقق مما إذا كان هناك تسمم أو لا في أحشائه، ومن بين الحشد الهائل الذي لم يغادر بابه منذ وفاته، كان قد سُحب اثنا عشر من عامة الناس عشوائيًّا لمشاهدة هذا الشق. الباريسيون الطيبون، سعداء جدًّا برؤية أن المحرر قد انتهى رسميًّا، ولم يعد يهدِّد بقتل كل الأرستقراطيين الذين كانوا يشكون سابقًا في أنه سبب هذه المحنة الكبيرة...

الشارع الذي مات فيه المحرر يغير اسمه ويطلق عليه اسم شارع ميرابو.

دو ساد

راكضًا وراء المسارح ومترددًا على الكواليس، على أمل أن يتم عرض مسرحياته، يلتقي الماركيز بممثلة شابة تُدعى «كونستانس كينيه»، أعيدت تسميتها على الفور بـ «الحساسة» واستقرت عنده، في منزله في «لا شوسيه دانتان»، كرست كونستانس نفسها لدو ساد حتى وفاته.

(باريس، 12 يونيو 1791)

إلى رينو[1]

تذييل بمثابة رسالة، يا سيدي العزيز والمخلص. أنا غاضب جدًا، لكن لماذا بحق الجحيم تتجرأ على مهاجمتي؟ أتحذّرني مما وراء الكواليس... أنا؟ آه! أقول لك إني حذِر من ذلك! تحتاج فقط إلى معرفة هؤلاء الغوغاء لتتعلم احتقارهم كما ينبغي أن يكون. أوه! لا، لا، نحن بعيدون كل البعد عن ما خلف الكواليس ولا شيء فاضل للغاية مثل منزلي الصغير! أولًا، ليست قصيدة حب؛ إنها ببساطة برجوازية[2] جيدة وصادقة، ودودٌ، لطيفة، روحية، انفصلت عن زوجها، التاجر في أمريكا، وكانت لطيفة بما يكفي لتعتني ببيتي الصغير. تأكل معي بالمعاش المتواضع الذي خصّصه لها زوجها. أوفّر لها السكن والاستضافة. هذه هي الفتنة الوحيدة الحالية التي تجده هناك. في الحقيقة، إذا ما تعلقت بي، من أجل أن تلزمني بالارتباط بحياتي، سأدفع لها عن كل خمس سنوات مبلغًا سنويًا صغيرًا، طريقة ذكية أجعلها بها تهتم بأيامي والتي، بدافع الأنانية، ستجد نفسها القيّمة. ولكن كعلاقة غرامية ليس هناك كلمة. هل يمكنني أن أعيش بمفردي، محاطًا بخادمين أو ثلاثة كانوا قد نهبوني، وربما قتلوني؟ ألم يكن من

---

(1) محامي دو ساد في إكس أون بروفانس.

(2) ماري كونستانس كينيه، ممثلة، صارت رفيقة دو ساد منذ صيف 17.

الضروري أن أضع شخصَ ثقةٍ بيني وبين هؤلاء الأوغاد؟ هل يمكنني تنظيف أوعيتي، وحساب دفتر جزاري بينما أكون عالقًا في مكتبي في وسط موليير، ديستوشس[1]، ماريفو، بواسي، رينار، الذين أنظر فيهم، وأقدِّرهم، وأحبهم، والذين لم أصل إليهم أبدًا؟ علاوة على ذلك، ألا أحتاج إلى شخص يمكنني أن أقرأ له بكل حرارة؟ طيب! رفيقتي تملأ كل هذه الأشياء؛ فليحفظها الله لي رغم العصابة المذهلة التي تعمل بلا توقف لتنتزعها مني!

كل ما أخشاه، هو أن يفرغ صبرها مع العديد من المناورات اللاعقلانية المونتروية[2]، وأن تشعر المخلوقة البائسة بالاشمئزاز، والملل، وتتركني هناك. [...] لم يتمكَّن السيد «جوفريدي» من إرسال جميع أعمالي عن هذا الربع من العام وخطاب الاعتماد الخاص بك على وشك الانتهاء، كنت أفضل أن أحصل عليه بدلًا من أن أحرم منه، وبصدد هذا الموضوع، مشاهد جديدة مع السيد «باجنو»، وهو أحد أقل الرجال صدقًا وأقلهم التزامًا هناك بلا شك في باريس. لقد احتجت إلى ألف ومائة جنيه التي عادت إليَّ بعد فترة وجيزة من خلال حساباتنا مع «جوفريدي»؛ لقد طلبت مائة جنيه إضافية من «باجنو» الذي أرسلني إلى الجحيم أولًا حول هذا البند الأول. للحصول على معروف آخر، سألته، على الأقل، عن المال وليس عن عملات الثورة الفرنسية؛ بالنسبة إلى هذا السؤال غير المرغوب فيه، توسل لي «باجنو» الصادق إلى أن أتوجه من الآن فصاعدًا إلى مكان آخر غير منزله، لأن ممارستي كانت تضايقه؛ أخيرًا، كان خادمًا أقل سوءًا مني.

---

(1) أندريه كاردينال ديستوشس، ملحن.

(2) نسبة لمونروي حماة دو ساد.

ما إن دخلت إلى منزله، دون إزعاج وتمتم بهدوء لأجلس، حتى بدأ السيد بوضع الغداء. بالتأكيد، لم أكن لأقترب من غدائه، لأنني كنت قد أكلت للتو، لكن في أي مجتمع قويم، إما أن ينتظر المرء حتى ينتهي الشخص الذي يتحدث إلينا لنبدأ في تناول الطعام، أو نقدم له الطعام. التهم «باجنو» الطعام دون أن يقدمه وأحجم عن كل شيء دون خجل. [...]

لقد سافرت إلى إيطاليا وهولندا وألمانيا مع سندات الصرف والائتمان، وأصبح المصرفيون الذين كانوا قد وجَّهوها لي، منذ تلك اللحظة، هم الوحيدون في مدينتهم، داعميَّ وشركائي. لم أغادر أبدًا دون دعوتي لتناول العشاء. هنا، ليس فقط المجاملة المعتادة. أؤكد لكم أنني أجد هذا أمرًا استثنائيًّا للغاية ولا أحب «باوجنو» على الإطلاق.

على أية حال، أرسل إليَّ دائمًا خطابَ اعتماد جديد، وباسم إله موسى وفرعون، لا تحدِّده، أناشدك! هذا التحديد يجعله ينتهي ولا أريد أن ينتهي أبدًا. إنه إبريق للعطش، ولا أريد إلا أن أشعر بالعطش عندما يُسرق مني، وأتمنى أن يكون نادرًا جدًّا.

سأفعل أكثر بكثير من مجرد التظاهر بالرغبة في إعادة الاتصال مع بنيلوبي[1]، سأستدعيها في اللحظة الأولى. فقط هذا يمكن أن يقودها إلى العقل، ويجب أن أوصلها إليه؛ إنها ليست لا زوجتي من أجل لا شيء.

سيد الحصن، نجل أول رئيس لنا في «إيكس»[2]، ظهر لأول مرة

---

(1) زوجته.

(2) حكم عليه بالإعدام من قبل برلمان إيكس في سبتمبر 1772، ما من شأنه جعل في نفس دو ساد ضغينة خاصة للغاية ضد أعضاء هذا المجلس. سخر من رئيسه في قصة ساخرة، الرئيس الغامض، مكتوبة في الباستيل، ربما بين عامي 1787 و1788.

في الكوميدي فرانسيز بالفعل ثلاث مرات في مسرحية «يتيم الصين»، ومرة واحدة في «رادمانت» و«زنوبيا». كنت موجودًا في أول ظهور له، وكان متألقًا في البداية، ولم أستمر في دعمه إلا قليلًا بعد ذلك. كان يقلِّد «لاريف»، لا يعرف كيف يحرك لسانه وليس له ذراعان ولا ساقان. بالمناسبة كان رجلًا وسيمًا ولديه كثير من الحساسية. إذا كان يريد أن يتبع هذه الحالة، فهناك الكثير ينبغي أن يفعله لجعله قيمة يومًا ما. لم يغادره للحظة صفير ملعون وطارده بالفعل بقسوة من فصل لفصل. الجمهور المتسامح دائمًا سوف ينتقم بالصفير من خلال وضع الصافرة في النهاية عند الباب، التي كانت بلا شك رسولًا لعائلته. من ناحيتي، بصفتي مواطنًا، صفَّقت له حتى وصلت البثور إلى يدي. ماذا نقول عن هذا في إيكس؟

كن على يقين تام من أنني لن أنسى أن أرسل لك منتجاتي الضئيلة عندما تظهر للنور. تجري حاليًا طباعة روايتي، لكنها غير أخلاقية جدًّا بحيث لا يمكن إرسالها إلى رجل حكيم وتقي ومحتشم مثلك. كنت بحاجة إلى المال، وكان قد طلب مني صاحب المطبعة أن تكون كثيرة التوابل، وجعلتها قادرة على إفساد الشيطان. اسمها جوستين أو مصائب الفضيلة[1]. أحرقها ولا تقرأها إذا وقعت بالصدفة في متناول يدك. أتبرأ منها، لكنك ستحصل قريبًا على الرواية الفلسفية[2] التي لن يفوت عليَّ أن أرسلها إليك بالتأكيد. [...]

دو ساد

---

(1) جوستين أو مصائب الفضيلة، في مجلدين لدى جيرور.

(2) آلين وفالكور أو الرواية الفلسفية التي لن تظهر حتى عام 1795.

يتزايد انخراطه السياسي إلى جانب الثورة ـ هو الذي سيُلقي تأبين «مارا»، ومع ذلك يبدأ دو ساد في المعاناة من الأحداث. لقد صودرت ممتلكاته في بروفانس، وعلى الرغم من هذه الرسالة المفعمة بكل هذه الحماسة الوطنية؛ إلا أن قلعته في لا كوست ستنهب وتدمر.

[19 أبريل 1792]

إلى رئيس نادي دستور لا كوست

سيدي الرئيس،

إذا لم أكن كتبت مؤخرًا إلى السيد «م. م» مسئول البلدية، رسالة طويلة تحتوي على المشاعر التي تربطني، من نواحيَ كثيرةٍ، بالثورة والدستور الفرنسي، أعتقد أني مضطر إلى تجديدها لك هنا، وفقًا لنتيجة الاجتماع التي تم إقرارها مؤخرًا، وهو ما أُكِّد لي، في مجلسكم والمتعلق بهدم أسوار بيتي في لا كوست. لكنني لا أريد أن أجعلك تشعر بالملل مع تكرار جمل رسالة لا شك أنك كنت على علم بها، سأقتصر في هذه الرسالة على أن أطلب منك ببساطة ألا تجعل المقاطعة مثالًا للتناقض الذي سيكون من الصعب جدًّا فهمه؛ وأعتقد أنك تتفق معي، سيدي الرئيس، على أنه سيكون من الغريب بالتأكيد أن أرى، من خلال الهدم غير الحكيم لثلاث ثريَّات، منزلي البائس في لا كوست الذي لوَّثه المنحطون التابعون للاستبداد الوزاري وأتلفه أعداء هؤلاء التابعين في آن، مما سينتج عنه أنه، لا يعرف المرء إلى أي جانب سيكون، أو أي منطقة يسكنها، فإن الرجل الذي يجب أن يكون لديه معظم الأسباب لكراهية ومقت الحكومة القديمة، سيجد نفسه مضطرًا للندم على ذلك لأنه سيصبح من المستحيل أن يعثر على مدافعين وأصدقاء، حتى بين أولئك الذين يجب عليهم مشاركته مشاعره.

هل تعتقد، سيدي الرئيس، أنني لن أشكو في مثل هذه الحالة؟ هل تعتقد أن من عاملني بهذه الطريقة لن يتّهمني ظلمًا؟ وهل تعتقد أنني لن أشعر بالاشمئزاز من الحماسة التي أكِنُّها، في خطاباتي وفي كتاباتي، لحزب الثورة التي أعتقد أنني مدين لها أكثر بكثير مما سببته لي من خسارة؟

إذا تم إزالة حجر واحد فقط من منزلي الموجود في تخومك، فسأقدم نفسي إلى مشرِّعينا، وأقدم نفسي لإخوانك من اليعاقبة في باريس، وأطلب منهم أن ينقشوا عليه: «حجر من منزل من أسقط الباستيل[1] وأنه قد انتزعه أصدقاء الدستور من منزل أتعس ضحايا طغيان الملوك، أيها العابرون، سوف تدرجون هذا العمل في تاريخ التناقضات البشرية!».

آه! فلتتركوا منزلي المتداعي القديم، يا سيدي الرئيس! انظر إلى قلبي، افتح كتاباتي، اقرأ رسائلي المطبوعة والمنتشرة في جميع أنحاء باريس، أثناء مغادرة سيدات فرنسا وأثناء هروب الملك؛ سترى فيها ما إذا كان مؤلف مثل هذه الكتابات هو من يجب على المرء أن يضر ممتلكاته. أليست هذه هي التصرفات التي تريد الحكم عليها؟

فلتعلم وسيتم إخبارك إذا لم يكن الأمر معروفًا في كل مكان، إذا لم تتم طباعته بشكل موثوق فيه، أنني من قام بتجميع الناس تحت نوافذي في الباستيل وهو ما دفعهم إلى اختطافي فجأة كرجل خطير حيث الحركات التحريضية ستطيح بنصب الأهوال هذا. لذا احصل على رسائل حاكم الباستيل التي أرسلها إلى الوزير، ولتقرأ فيها هذه الكلمات: «إذا لم يخطف السيد دو ساد هذه الليلة من الباستيل، لم أكن لأعرف مكان الملك ومن

(1) منذ الاضطرابات الثورية الأولى، يدَّعي دو ساد أنه أصل الاستيلاء على الباستيل.

ثمَّ، سترى يا سيدي، إذا كان هذا هو الرجل الذي يجب أن تتحرَّش به. هل غادرت البلاد يا سيدي؟ ألم أبغض دائمًا حتى التفكير في مثل هذه الخطوة؟ ألست مواطنًا فعالًا في نطاقي؟ ألم أسدِّد مسئولياتي وخراجي؟ هل تراني أحمل أي ألقاب أخرى غير لقب رجل الأدب؟ اسأل عني في منطقتي وسترى ما يعتقده الناس عني... لكنكم لا تحبون محرابي! حسنًا! أيها السادة، فلتأخذوا الأمور ببساطة! إنني أتوجَّه إلى المجتمع كله هنا؛ فقط أسألك عن المجد الذي أكرسه لك بنفسي في أول رحلة إلى إقليمك؛ الدستور في يد والمطرقة في اليد الأخرى. أود أن نقيم احتفالًا مدنيًّا لهذا الهدم. فلنهدأ، في هذه الأثناء، أيها السادة، ودعونا نحترم الممتلكات. أنقل هذه الكلمات عن الدستور نفسه؛ وأنا متأكد من أنك سوف تبجِّلها، ولتتذكر، إنني كتبت ذلك بالأمس إلى السيد «م. م.» المسئول عن البلديات الخاصة بكم، إن بروتوس وأنصاره لم يكن لديهم بنائون أو مشعلو حرائق من العاملين معهم عندما أعادوا إلى روما تلك الحرية الثمينة التي سلبها منهم الطغاة. أنا مع الأخوة القلبية، سيدي الرئيس، ويا سادة، خادمكم المتواضع والمطيع للغاية.

لويس دو ساد

أبو الأرستقراطيين المهاجرين، لقد غادر ابناه فرنسا بحذر، الماركيز، الذي لم يعد يحمل أي لقب أو أي وزن، ينفطر قلبه برسالة غاضبة إلى زوجته السابقة، ويدين بشدة فرار طفليهما.

[باريس، 18 أغسطس 1792]

إلى السيدة دو ساد[1]

بالأمس كتبت إلى السيد والدك، يا سيدتي، لأحثه على عودة أولادي في غضون أسبوعين. إذا كنت أعرف عنوانهم وإذا لم يخفوه عني، كنت سأقوم بالمهمة بنفسي. طالما أنهم يجعلون الوالدين يتحملان المسئولية عن هجرة أولئك الذين ينتمون إليهما ويريدون حتى معاقبتهما من أجلهم، يجب أن تشعري جيدًا، يا سيدتي، أنني لم أعد أستطيع تحمُّل معاناة مثل هذا السلوك من جانب أولادك الذين لطالما لُمتهم عليه، لكنني أدينهم بالتأكيد في هذا الوقت. لذلك أصرح لك أنني آمرك بإعادتهم، وأخبرك كي أحيطك علمًا بالترتيب الذي سأنفذ بشأن هذا الموضوع، وأنه إذا لم يكونا موجودين هنا في غضون خمسة عشر يومًا، فإنني سأفضحك، أنت وعائلتك أمام الجمعية الوطنية بوصفكم محرِّضين على هجرة أولادي.

من المؤكد أن الأمر لم يتطلب سوى القليل من السياسة حتى لا تري أن الجانب الذي كنت تقوديهم لاتخاذه كان سخيفًا وأنه أدَّى فقط إلى الخسارة وإلى العار. علاوة على ذلك، هل يمكن لأولادك، إذا فكروا بشكل أفضل قليلًا، الوقوف إلى جانب المجالس البرلمانية التي تريد إلقاء اللوم على

(1) بعد أعمال الشغب التي وقعت في 10 أغسطس وإسقاط الملك من قبل الجمعية العمومية، اتخذ دو ساد احتياطاته من خلال النأي بنفسه عن أبنائه الذين هربوا من المملكة.

والدهم وإلى جانب الوزراء الذين حبسوه؟ أود أن أعرف ماذا يفعلون الآن في ألمانيا؟ هل يخدمون أميرًا لن يكنوا له أبدًا سوى الجحود والازدراء، هل يخدمون ملكًا غادرًا ومخادعًا، وبأبشع جبن مخزٍ، قد خان كليهما في الوقت نفسه، والشعب الذي أقسم أن يدعمه والأصدقاء الذين أتوا للدفاع عنه؟ سوف أتبرأ على الفور من أبنائي إذا اعتقدت أنهما مرتبطان بمثل هؤلاء الأوغاد. دعيهما يعودا إلى المنزل، يا سيدتي، دعيهما يعودا إلى المنزل، دعيهما يتبنيا قضية والدهما. أنا مواطن ووطني، وأنا سيدتي، وكنت كذلك دائمًا. مسلحًا، مثل إخواني، للدفاع عن البلاد، ومسلحًا بالقلب لأنني أفضل أن أفقد ألف روح من أن أرى الاستبداد وسلطة القضاة تولد من جديد في فرنسا، فليس من المناسب لأولادي أن يتسلحوا ضدي، أنتم تتخلون عني، إنني بالضبط أتضوَّر جوعًا، لذلك أقول، لا أستطيع أن أغفر لك ولا أشرِّعن بأي شكل من أشكال التأخيرات المروعة هذه، التي تدفعني إلى التسول... نعم، أنا كذلك! أنا كذلك بالضبط! لم يعد لدي أي خادم في المنزل منذ أربعة أيام، وليس لدي أي شيء لإطعامهم ولا يمكنني العيش إلا من خلال الذهاب لتناول العشاء هنا وهناك. في غضون ثمانية أيام، ستسقط ثلاث فواتير على جسدي: أربعمائة لعقد الإيجار[1] ومئتان فواتير خاصة، وسوف يصادَر أثاثي إذا لم أدفع. صحيح يا صديقي، نعم صحيح أنه عند استلام رسالتك في اليوم الخامس حيث أكون بلا مورد وأنت تستشيرني ببرود حول كيفية إرسال الأموال إليَّ، نعم، صدقيني، بشرفي، بالفعل قفزت نحو مسدساتي وإنه دون صديق، كنت أفجر عقلي! وأنت تسأليني، أنت يا من

(1) منذ نوفمبر 1790، استأجر دو ساد منزلاً في 20 شارع نوف دو ماتوران من شارع هوسيه دانتان..

تكوني هناك، أنت يا من لديه كل القوة، تسأليني كيف ينبغي القيام بذلك؟... اعفيني من الرد على هذه الثرثرة؛ لقد آلمتني الرسالة البارحة كثيرًا لمجرد أني وضعتها أمام عيني. لا أستطيع أن أفعل ذلك بعد الآن. لقد أحرقت رسالتك على الفور حتى لا أتمكن من العودة مرة أخرى إلى نوبات الغضب واليأس التي كانت قد وضعتني فيها. ما أطلبه منك هو المال، ما أريده هو المال، ما أحتاجه هو المال. مقابل خمسمائة ألف فرنك من الممتلكات الثابتة؛ بيعي على الفور جزءًا من الأرض مقابل ثلاثة عشر ألف جنيه أحتاجها حتى شهر مايو القادم لتجنُّب الألم القاسي الذي يمزِّق روحي كل ربع سنة. إن صحتي، التي تضررت من مآسي طويلة، لم تعد قادرة على تحمل مثل هذه الضربات؛ عندما تتلقَّي ذلك، سوف تملئين هذه الحفرة مرة أخرى، وعلى الأقل لن أذبل. يبدو لي أنه في الأزمة المخيفة التي تحتجزيني فيها، عندما تعطيني سلفة تبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وسبعين فرنكًا، فلن تخاطري كثيرًا، وستتمكني من السداد لنفسك تباعًا. لكن هذه الخدمة هي خدمة من صديق، والطريقة المفجعة والقاسية التي تتصرفين بها معي، هل أنا مُكره عليها؟

مهلًا! فلتفعلي! فلتفعلي باسم الله، افعلي ما تريدين، فيما يتعلق بـ«سومون»، و«مازان»، و«أرل»، و«لا كوست»! قطِّعيها، أحرقيها، أجِّريها، بيعيها، إلى الجحيم، إلى الشيطان، لكن أرسلي لي المال، لأنني يجب أن أحصل عليه على الفور، أو أصل إلى نهاية النهاية! [...]

أنت مخطئة في القول إنه ليس باستطاعتك تحمُّل أي شيء على عاتقك؛ يمنحك توكيلك الرسمي ومنحك الحق في جعل كل شيء تحت تصرفك. لا تجعليني انتظر. [...]

دو ساد

عُيِّن دو ساد رئيسًا للشعبة الثورية في العام السابق، وأصبح أحد الفاعلين المنخرطين في الثورة، في 15 نوفمبر 1794، وعلى منبر المؤتمر الوطني، يوجه اتهامًا عنيفًا بسبب الإلحاد مما أدى إلى مضايقة روبسبير. تم سجنه، ولكن هذه المرة في سجون الجمهورية، نجح دو ساد في الهروب من جلَّاديه في يوم حكم الإعدام نفسه الصادر عليه، 27 يوليو 1794. في اليوم التالي، روبسبير تمت الإطاحة به وقُطع رأسه بالمقصلة. أصبح دو ساد بأمان.

[باريس، 19 نوفمبر 1794]

إلى جوفريدي

لا أستطيع أن أعبِّر لك، مواطني العزيز، عن السرور الذي شعرت به عندما تلقَّيت رسالتك، كنت على وجه التحديد أتناول العشاء عندما تسلَّمتها من رجل من أفينيون أكد لي في اللحظة نفسها التي يسلمني إياها أو أخبرني أنك كنت بعيدًا جدًّا عن «أبت» وأنه بالتأكيد بغضِّ النظر عما قد يسببه لي ذلك من ألم، أنني لن أسمعك لفترة طويلة. يمكنك أن تشعر، ورسالتك في متناول اليد، بما كانت عليه طاقة استجابتي.

أخيرًا، عُدت إلى الآلهة التي ترعى عائلتك وممتلكاتك. وآمل أن يكون ذلك من أجل ألا يحدث شيء بعد الآن، يمكننا جميعًا أن نصدِّق وبيقين تام أن الهدوء سيولد مرة أخرى إلى الأبد، وموت الأشرار قد بدَّد كل الغيوم، والهدوء الذي سننعم به سيدعم كل جراحنا.

وأنا أيضًا، مواطني العزيز، لقد سُجنت، لقد تجرأوا على ظلمي حيث تعتقد الأمة أن ذلك الذي وضعه النظام الوزاري لمدة 9 أشهر في شارنتون مثيرًا للريبة كما كان بالنسبة إلى الملك. هذا التناقض مفجع بالنسبة إلى روح عادلة وحساسة... ولكن في النهاية انتهى الأمر ولم أعد أفكر في الأمر، فقد سمحتْ لي لجنة التوجيه العام بالبقاء في باريس، على الرغم من أنني من النبلاء، وهذا بسبب أعمالي الوطنية، عوَّضتني بهذا الجميل،

عن كل شرور الأوغاد التي جعلتني أشعر بالمعاناة. لقد مررت بأربعة سجون في الأشهر العشرة التي أمضيتها. في الأول، نمت 6 أسابيع في وسائل الراحة؛ في الثاني قضيت ثمانية أيام مع ستة أشخاص مصابين بالحمى الخبيثة توفي منهم اثنان بالقرب مني، في الثالث في وسط ثورة سان لازار المضادة، وهو سم كريه لم آمن له سوى بحذر لا يصدق؛ أخيرًا كان الرابع جنة أرضية؛ منزل جميل، حديقة رائعة، مجتمع منتقى، من النساء اللطيفات؛ بينما وفجأة يوضع مكان الإعدام على نحو مؤكد تحت نوافذنا، ومقبرة المقصلة في وسط حديقتنا، لقد دفنا فيها صديقي العزيز 1800، في 35 يومًا، وهو ما يمثل ثلث منزلنا التعس؛ أخيرًا، تم وضع اسمي للتو على القائمة، وكنت فيها الحادي عشر، عندما ثقل سيف العدالة في اليوم السابق على سيلا[1] فرنسا الجديد، منذ تلك اللحظة كان كل شيء قد صار لطيفًا وبفضل الرعاية الحارة والشغوف للرفيق الودود الذي استحوذ على قلبي وشاركني حياتي لمدة خمس سنوات، تحررت أخيرًا في 24 «فينديمير»[2]؛ من هذه اللحظة جعلتك [تمر] على التوالي، إلى ليون[3]، إلى مقاطعة «أبت»، إلى بلدية «سومان»، وإلى «كينكان»[4]. أول نسخة مصدَّقة على إخلاء سبيلي، حيث أمر رفع المصادرة، ثم شهادات الإقامة، وحتى شهادة المواطنة الصالحة الممنوحة من اللجنة المدنية. إلى ليون أولًا، مع أمر دفع 250 [جنيهًا] لبدأ العمل، ثم، أنتما الوحيدان اللذان ما

---

(1) أو سيلا، قنصل روما، متورط في حربين أهليتين.

(2) الشهر الأول من التقويم الثوري الفرنسي.

(3)) أنوريه أنطوان ليون، مدير أعمال دو ساد في مجال منطقة ماس دو كابان، بالقرب من أرل.

(4) مدير أعمال دو ساد بالنسبة إلى قلعته في مازان من 1792 إلى 1794.

زالا يردان عليّ حتى الآن؛ لم يقل «سومان» و«كينكان» أي شيء بعد، يذهلني صمت الأخير كثيرًا، ولا أغفر له. ضع كل هذا في حالة حركة، أتوسل إليك وقبل كل شيء، أعطِني المال لأن ضيقتي لا يمكن تصوُّرها. إنها لحظة مقرفة للغاية، سأعود إلى عملي لاحقًا، دعنا نتحدث لفترة من الوقت عن أعمالك.

لكن أين كنت بحق الجحيم، أيها المحامي العزيز، لا تخبرني رسالتك بأي شكل من الأشكال ما إذا كان انسحابك قسريًا أم طوعيًا، أتوسَّل إليك أن تشرح لي ذلك عندما تستطيع؛ ولم تقل لي أيضًا من هو الـ«جوبيو»[1] الذي تنتظره؛ إذا لم يكن قد رحل بعد، كان بإمكاني رؤيته وإخباره عنك، فقد منحني اعتقالي الآن بعض الأصدقاء في المؤتمر الوطني، وسأكون دائمًا ممتنًا جدًّا للاستفادة منهم من أجلك؛ صديقتي، التي تحركها المشاعر نفسها التي أشعر بها، والتي تعرف أيضًا عددًا قليلًا من النواب، يتحرقون أيضًا كي يكونوا جيدين في شيء ما معك. اطلب من كلانا، هناك نوعان من «جوبيو» في المؤتمر الوطني، ولا تقل أيهما يجب أن «يتعامل» معك.
- إن عملية بيعهم محصولك أمر مروع، ففي الحقيقة كل هؤلاء الأشخاص تصرفوا معنا بالفعل كما كان يفعل أكلة لحوم البشر، كنت سأكون أكثر سعادة لرؤية النائب الذي يجب أن يذهب إلى منطقتك التي كنت سأوصي به «بايان»[2] الصغير، الذي تصرف، كما تأكد لي، بشكل غير لائق تجاهي؛

---

(1) جوبيو دو مونتيجو: مندوب فوكلوز ونائب المؤتمر الوطني. سوف يلجأ دو ساد إليه لإيقاف الدعاوى القضائية ضد جوفريدي. هذا الأخير، كشكر، وبناءً على نصيحة حكيمة من دو ساد، سيوفر للنائب اثنين من الأيتام الشباب من أبت للعمل كخدم له في باريس.

(2) أحد سكان لا كوست.

لقد استجبت في رسالتي إلى منطقتك، وكانت دهشتي شديدة حيث يقال إن هذا الوغد هو الصغير بايان. [...]

أهنئكم طبعًا لأن السيدة، زوجتك وأولادك الأعزاء أحرار، فلنبدأ بشجاعة ونستعِد كلَّ شيء بالتفصيل، ولن نفكر بعد الآن في آلامنا حتى لا نجعل أبناء إخوتنا يرتعدون؛ سأعود إلى نفسي للحظة. ـ

لقد كلفني اعتقالي عزيزي المواطن عشرة آلاف فرنك حتى الآن، دون احتساب منزلي الذي لا يزال في السلسلة؛ لسببين، 1 ـ لأنني لم أرغب في إرباك الأمور مما يجعلني أشعر بالذنب من أجل حلها؛ 2 ـ لأنني أردت، وكان عليَّ دائمًا أن أحافظ على ذلك لصديقتي، التي تركت لها العناية بكل شيء، والتوكيل الرسمي، والعبء الرهيب المتمثِّل في إخراجي من هنا بأي تكلفة تكون. بينك وبين «ليون»، جعلتِني أتنقل خلال ذلك العام، الذي لم أتوقع منه شيء، كنت قد طلبت منك فقط العشرة آلاف فرنك خاصتي البديهية، لقد جعلتِني، كما أقول، أتنقل: ليون في يناير 94، مبلغ 1200 ـ هو نفسه بعد فترة وجيزة 1650 ـ أنت في فبراير 425، ليون في مايو 400 ـ هو نفسه في يونيو 1500، وهو نفسه أيضًا في نوفمبر 250 ـ في المجمل ـ 5425، ومن ثم ترى أنه لإكمال عام 94 الخاص بي ما زال يتبقى لي مبلغ 4575 وهو ما أرجو منكِ أن ترسله إلي على الفور. لكن «ليون» سيمنحك جزءًا كبيرًا من هذا المبلغ، لذلك تشاور معه وتعرَّف على كيفية تحقيق الفائض؛ لأنه من المستحيل بالنسبة إلي أن أوفِّر لك ولو صولة من هذا المبلغ، أخبرك؛ لكن لكي أعود إلى منطقي، لا أتلقَّى أي شيء تقريبًا وأنفق الكثير، كان عليَّ أن آكل أواني الفضية البائسة، إنها ف... محاميَّ العزيز، لقد تلاشت، لا داعي للتفكير في الأمر بعد الآن؛ صحيح أنني

استمتعت أيضًا بأموالي، وبالتأكيد كان الأمر ممتعًا للغاية لمدة 6 أشهر ـ على أي حال، أحتاج إلى 4575 بنهاية ديسمبر، بما في ذلك دفعة أولى تعتمد بصورة إيجابية على البريد السريع في الردِّ على هذا، وما سيخيفك، وما هو مستحيل بخلاف ذلك، أنني لن أحتاج إلى 12000، كما كنت قد أشرت لك في رسالتي الأخيرة، ولكن إلى 14000 جنيه خلال عام 95، وهو على الأبواب. وهذا مواطني العزيز، لأن الطعام وكل البضاعة الآن بسعر لم يسبق له مثيل. ألا نرتعد عندما نفكر في أن سعر زوج من الأحذية 25 جنيهًا، واللحوم 30 صولة، والسكر 12 جنيهًا، والفتيلة 15 جنيهًا، والشمعة 8 جنيهات، وحزمة خشب التدفئة 70 جنيهًا؟ نعم نحن نرتعد، ومع ذلك الأمر ضروري إما أن نموت من الجوع أو نجتاز هذا الأمر؛ دعنا نتفق، أيها المحامي العزيز، إنه لا توجد أي أرض من أراضيَّ مستأجرة بقيمتها العادلة.

لقد سنحت لي الفرصة أن ألتقي في السجن برجل من مقاطعتك قضيت معه بضعة أشهر، وإذ كان يعرفك ويقدِّرك، لكنه في الوقت نفسه أكد لي بقوة أن أيًّا من أراضيَّ لا تساوي قيمتها الحقيقية. وإنني إذا أردت مزرعة عامة ثمنها 16 ألف جنيه إجمالًا، سيجدها لي على الفور؛ أتطلع إلى مثل هذه الصفقة، فأنت تعلم أنه قد مر وقت طويل منذ أن أخبرتك عنها ولكن أود أن أفعل ذلك معك، ويجب عليك أن تباشر ذلك بقوة. إن «لا كوست»، كما تقول، قد انخفضت قيمتها إلى النصف، وهو قليل للغاية، كانت تُستأجر «لا كوست لـ «أودبير» بمبلغ 6025، كانت في ذلك الوقت أقل من قيمتها بأكثر من الثلث. يمكن، كما يؤكد، أن تمنح له حتى اليوم دون فقد أي صولة. أكسبتني معارف هذا الرجل رحلة إلى بروفانس؛

قال لي إن «جوفريدي» يحبك، وأنا أعلم ذلك، وهو رجل أمين تمامًا، لكن «جوفريدي» يقوم بأعمال في مكتبه أكثر من خارجه، ويخدع المزارعون رجال المكاتب كل يوم. في «مازان»، تابع رفيقي في السجن، لقد سُرقت نقطة نقطة، إنه «ريبير» أحد أعظم الأوغاد الذين وجدوا على الإطلاق، لقد قام بترتيب الأنصبة حيث كان يسرق مني 1800 كل عام دون أن يكون من الممكن الشك فيه. وبالتأكيد فإن الثمن 3700 للمزرعة هو أقل بكثير من قيمتها. إن قيمة «أرل»[1] المعتنى بها جيدًا تساوي ألف (إكو) إضافية سنويًا؛ باختصار، بإعطائي 16000 جنيه سنويًا من ممتلكاتي الأربعة، مع خصم جميع الرسوم والضرائب، وأيًا كان ما سيُستقطع، فقد أكد لي أنه سيضع ألف كرونة في جيبه كل عام. عندما تكون قادرًا على السير قليلًا، أحثُّك إذًا على التحقّق من كل هذا، ولكن في أثناء انتظار استلام 4575 جنيهًا بنهاية هذا العام، استعد، أتوسل إليك أن تمدني بـ14000 جنيهًا قريبًا خلال الغام 95 التي ترسلها على ثلاث دفعات متساوية قدرها 4667 جنيهًا لكل منها، الأولى في الأول من يناير 95، والثانية في الأول من مايو، والثالثة في الأول من سبتمبر. بلا شك، سيكون من الأفضل وإلى أبعد حد، لمواجهة ذلك، أن تطور الأرض بدلًا من الاقتطاع من الدخل، وأن تبرم عقود إيجار جديدة مفيدة بما يكفي لتضع نفسك في وضع يمكنك معه مواجهة هذا العام، ولكن إذا فشلت في ذلك، ولأننا في عجلة من أمرنا، فقم بالبيع حسب الضرورة، وسنقوم باستبداله عندما لا تكون السلع أكثر تكلفة للغاية مما لا يلزمنا بسحب الكثير من المال. سوف تعترف لي، مع ذلك، أنه إذا تم بيع كل شيء على هذا النحو بوزن الذهب، فإن

---

(1) إقطاعية ماس دو كابان.

مزارعيَّ الذين يبيعون سلعهم أيضًا يجب أن يصبحوا أثرياء بينما أفلس، وهذا ليس عدلًا. هيا، هذا يكفي بخصوص هذا الموضوع، سوف تفكر فيه على راحتك، وصداقتك لي ستجعلك دائمًا تبذل قصارى جهدك، وأنا متأكد من ذلك. في انتظار أن تلقي نظرة فاحصة على نتائجي، أحتاج 4575 فورًا لإنهاء 94، و14000 على مدار 95. علمت بأسف شديد بوفاة صديقي «رينو»، لقد بكيته بصدق شديد. سأستأنف قضية الأضرار والاهتمامات المتعلقة بنهب «لا كوست»، ورأيي بشأن ما تبقى هو أولًا إرسال بيان إليَّ حتى أتمكن من الاختيار ومن بيع الباقي الذي سيباع جيدًا نظرًا لوجود النحاس، وأن أشتري على الفور بالأموال نفسها عددًا لا حصر له من البضائع المتوفِّرة في بلدك بتكلفة أفضل بكثير من هنا والتي لن أندم على حملها. مثل الزيوت والمربى والشموع. انظر لترتيب ذلك وأشر لي على ما ستفعله من أجل ذلك. أعتقد أن هذه الرسالة طويلة إلى حدٍّ ما لأول مرة، لكن كان علينا تعويض الوقت الضائع وأن نهنئ بعضنا بعضًا بشكل خاص على الالتقاء مرة أخرى؛ يمكنني أن أؤكد لك، إنني أعتبر هذا الحدث من أروع الأحداث التي حدثت لي منذ فترة طويلة، لأنه كان من الممكن جدًّا في النهاية في ظل الحكم الظالم أن يبقى أحدنا هناك. أرسل لي قائمة الضحايا في مقاطعتك. على الأقل أولئك الذين أعرفهم؛ لم أسمع أخبارًا من خالاتي أو أبناء عمومتي، لقد كان كينكان هو من يرسلها إليَّ، ولم يعد يكتب لي. حمِّس هذا الكينكان، من فضلك؛ هذا هو عنوانه: شارع متجر البقالة في «أفينون»، رقم 5 لدى أرملة تاجر الجوخ. وداعًا محاميَّ العزيز، تأكد من أني أحبك وأعانقك بقلب طيب.

دو ساد

يبغض دو ساد السياسة بشكل نهائي، ويحاول تنظيم وضعه المالي الذي صار كارثيًا الآن. ولعدم قدرته على الحياة في باريس، أخذ يخطِّط للانسحاب إلى بروفانس، في «سومان»، في قلعة طفولته. حلم لن يتحقق.

[باريس، 5 أغسطس 1795]

إلى جوفريدي

كل ما تخبرني به عن صحتك، يؤلمني بصدق شديد، لكنه لا يفاجئني على الإطلاق. إنه دين يجب علينا جميعًا أن ندفعه للمشاكل، للأحزان التي أُجبرنا على العيش فيها أحيانًا كثيرة. ونتمنى من اللّٰه ألا يحدث كل ذلك مرة أخرى، حيث إننا مهدَّدون وأن الحكومة العسكرية التي تخيفنا لا يمكن أن تحل محل كل أهوال الحكم الثوري تحت أجمل اسم. هذا هو الدستور، وها هو السلام، ومع ذلك فإنهما يجعلانا نخاف هنا لأننا لم نصل بعد إلى أبواب السعادة. ويعلم اللّٰه متى سنستمتع بها... جميع السلع التي تبلغ قيمتها ستة فرنكات وصل سعرها ستين فرنكًا اليوم، ويحدث ذلك لنا هنا كل يوم، الآن عندما نعطي خمسة عشر فرنكًا، لرجل كان يؤدي مأمورية لنا، بينما كنا ندفع، في السابق، نظيرها بالفعل خمس عشرة صولة، فإن الشرير يلقي بها في وجهك. لقد تجاوزت العديد من السلع هذه النسبة إلى ما لا نهاية؛ المربى والزيت والشموع التي أطلبها منك، على سبيل المثال، هي بسبب الاحتكارات التي مورست عليها، ارتفعت بنسبة ثلاثين إلى واحد. إنه بالكاد النبيذ الذي تضاعف ثلاث مرات فقط؛ وزادت سلع الرفاهية زيادة لا مثال لها: الكلب، ستمائة فرنك؛ الحصان، ثلاثون وأربعون وحتى خمسون ألف فرنك؛ أجرة عربة الجياد، من خمس

وعشرون صولة، تجاوزت المائة فرنك؛ البدلة، ألف إيكو. باختصار الحياة الأكثر قسوة، تلك التي أعيشها، قطعة يخنة، قطعة خبز، وخضار خمسة أيام في الأسبوع، ليس عرضًا مسرحيًّا، وليس خيالًا، يا صديقتي، الطباخ وأنا، حسنًا! ستين فرنك تُدفع يوميًّا لذلك!...

بالتأكيد، أثني عليك بشدة لأنك رفضت استرداد الأموال، على هذه الحال كل من يتلقاها في هذه اللحظة، من الواضح أنه يُدمر، لكن هل يمكننا أن نرفض؟ هذا ما أشك فيه، عندما لا يكون لدينا عائد. أعتقد أنه يمكن إجبارنا على أن نأخذه؛ تعرف هذا بالضبط. ارفض ما أمكنك، وعندما لا تستطيع مطلقًا، أرسل إليَّ هذه الأموال على الفور، لأنه حتى تتحسَّن الأمور، هناك طرق ممتازة هنا لكسب المال في الوقت الحالي وسأستفيد منها حتى يمكنني شراء بعض الضياع... بما أننا هنا في «مازان»، فلنتحدث عن القلعة. بما أن السيدة «فيل ـ نوف»[1] لا تدرك الصفقة الممتازة التي اقترحتها عليها لمنحها هذا المنزل مقابل خمسة وعشرين ألف فرنك طوال حياتها، وهذا بسبب أن «كينكان» سيطر عليها وأثارها ضدي، ولأنني أقول إنها لا تدرك ذلك، اعرض عليها مقابل عشرين ألف فرنك، وإذا رفضت، قم بوضع إعلان وبع هذا المنزل بالسعر الذي هو عليه اليوم. يمكنني جني أموال لا نهاية لها من هذه الكتلة من الحجر التي لن أسكنها أبدًا. ليس لأنني أتخلى عن بروفانس، فمن المحتمل أن أنهي أيامي هناك، لكن أريد أن أعيش في «سومان»؛ أنا مجنون بـ«سومان»، سأذهب بالتأكيد، إذا استطعت، لأُنهي أيامي هناك وأصي لك، وفقًا لذلك، بالمنزل ولا يمكن أن يكون أكثر من ذلك. لا

---

(1) إحدى عمات دو ساد التي تريد مغادرة أفنيون.

يزال لدي أربع سنوات من العمل[1] في باريس، وفي نهايتها، إذا أمد الله في حياتي، بكل تأكيد سوف أذهب لأموت في «سومان».

أرجو أن تطلعني على ما يدور في أذهان السكان المحليين في هذا الرأي، واسمح لي أن أعرف ما يفكّرون فيه. تذكَّر جيدًا أنه من خلال بيع «مازان» إلى مدام «فيل نوف» أو أي شخص آخر، فأنا أبيع المنزل وحده فقط وساحة الفناء وحديقة الزهور. يجب أن نكون حريصين على عدم بيع أي شيء آخر وأن نحافظ بشكل خاص وبعناية شديدة على حديقة الفاكهة التي، كما يقولون، هي بيرو حقيقية. [...]

دو ساد

نظرًا لكون مسرحياته فاشلة، قرَّر دو ساد فرض النجاح من خلال كتابة رواية فلسفية ولا يترفع عن الترويج لنفسه بين بائعي الكتب، ولا يخلو الأمر من بعض الرضا عن النفس.

(1) حتى عام 1799، كان قد كتب دو ساد ثلاث روايات؛ الفلسفة في المخدع، جوستين الجديدة وقصة جولييت.

[باريس، 2 مارس 1796]

إلى بائع الكتب ديترفيل[1]

آلين وفالكور أو الرواية الفلسفية[2]، العمل الأكثر استثنائية، الأقوى، الأكثر تشويقًا، أفضل عمل مكتوب ظهر منذ ثلاثين عامًا يستحق وعلى الرغم من إدراجه في الكتالوج الخاص بك، أن تبجله ولو بقليل من الثناء الذي حظيت به كتب لا تستحق هذا بالتأكيد. يفترض هذا الإغفال أنك لم تقرأه، وبذلك نفاجأ أن هناك خطآن بدلًا من خطأ واحد.

سلامًا يا أخي.

دو ساد

بعد أن نجح أخيرًا في بيع قلعته في لا كوست، يواجه «دو ساد» مشكلة جديدة: رهنت زوجته ممتلكاته؛ مما يؤدي إلى سلبه موارده الشحيحة. لذلك يحاول، بعد سنوات من الانفصال والصراع، إجراء عملية تسوية مالية. حرصًا منها على الحفاظ على ميراث أولادها، سترفض الماركيزة أي تسوية.

---

(1) صاحب مطبعة وناشر وكان مكتبة لبيع الكتب منذ1790 إلى 1842.

(2) بدأت الطبعة الأولى في عام 1791، وتوقفت في عام 1794 بإعدام الناشر جيروار واستؤنفت في عام 1795 من قِبل أرملته. هذه هي الرواية الوحيدة التي يعلن دو ساد مسؤوليته عنها.

[باريس، أوائل يناير 1798]

إلى السيدة دو ساد

لقد كتب لي السيد «بونيير»[1]، يا سيدتي، أنك ترفضين ما يمكن وحده أن يخرجني من الورطة المروِّعة التي أواجهها، وأنك ترفضين للأسباب الثلاثة التي سأقوم بنسخها كلمة كلمة من رسالته، وسوف أضع إجابتي أدناه.

ندرة النقود.

مهلًا! سيدتي، لم أطلب منك شيئًا على الإطلاق.

التسوُّل من عائداتك.

لم أطلب منك غير مالي، لذا ما علاقة هذا بتسول مالك؟

أخيرًا، أنت خائفة من عدم القدرة على الوفاء بشكل منضبط بالتزاماتك التي سوف تتعهدين بها لي.

لكن سيدتي، لا تقلقي من أي شيء، وسوف تدفعين لي عندما تُحصِّلين. إذا واجهت أي تأخيرات، فسوف أواجهها أيضًا.

لذلك الاعتراضات التي تقدمينها للسيد «بونيير» ليست متماسكة باي

---

(1) مدير أعمال الماركيزة.

حال من الأحوال، أتوسل إليك سيدتي أن تعقدي هذه التسوية التي لن تزعجك بأي شكل من الأشكال، ولن تكون مخلة بأي لياقة، ورفضها من جانبك سيؤدي بي إلى البؤس ويغرقني في اليأس.

كل شيء يتمحور فيما يأتي:

أنقل لك أو لابني ملكية الرقبة[1] لكل شيء أملكه في بروفانس، بموجب فقط البنود التي تنص على، أنك أو هو، من سيجعلني أتلقّى منه الدخل بالضبط خلال حياتي، وأنك وهو ستسمحان لي بالتصرف في مقتنياتي الوطنية لمكافأة أولئك الذين سيهتمون بسنواتي الأخيرة. إنها روحك وحساسيتك التي أناشدها. هل يجب إيقاف الرفض؟

دو ساد

شهد عام 1799 تدهورًا حادًّا في الحالة دو ساد المادية. بعد أن اشترى ممتلكات زراعية في «بوس» بالأموال التي باع بها «لا كوست»، يجد دو ساد نفسه وقد انتزعت ملكيته من زوجته التي تلعب برهنها العقاري. لجأ إلى فرساي هربًا من دائنيه، أطلق غضبه على ابنه البكر الذي يتهمه بإيقاع الخراب به.

(1) نوع من الملكية ينزع من المالك حق الانتفاع أو الاستفادة من ممتلكاته.

[فرساي، 25 يناير 1799]

إلى جوفريدي

[...]

سأقوم بتصوير وضعي لك مرة أخرى، إذا بالمصادفة لم أفعل ذلك بعد، وأجرؤ على أن أجمل نفسي لأن الصورة ستخيفك. هدم منزلنا في «سان أون» منذ العاشر من سبتمبر. في ذلك الوقت، كان عليَّ أن أنحبس مع أحد مزارعيَّ في «بوس»، حيث عشت لبعض الوقت مع عائلته بينما كانت مدام كينيه تبحث عن طعام وملجأ عند أصدقائها. لا تزال هناك. بالنسبة إليَّ، بمجرد أن تخلَّف مستأجري الناري في الدفع بشأن الضيعتين الصغيرتين في «بوس»، أعلن المزارع الذي كنت أقيم معه بصراحة أنه لم يعد بإمكانه إطعامي. في هذه الفترة تقريبًا، كانت السيدة «كينيه» قد حصلت على الوصاية، لكن وسائلنا لا تزال تمنعنا من العودة إلى «سان أون»، لقد اضطررت إلى ادعاء المرض والتوسُّل لبلديتي للسماح لي بالتعافي قبل الذهاب والاستمتاع بالوصاية، ولأنني محظوظ بما يكفي لأن لدي أصدقاء حميمين بالطبع، فقد وافقوا؛ منذ تلك اللحظة، واصلت مدام «كينيه» البقاء مع أصدقائها وجئت للاستقرار في فصل الشتاء في «فرساي»، وهي إحدى تلك المدن المحيطة بباريس حيث يمكن للمرء أن يعيش بسعر أرخص. هناك، في داخل مخزن غلال، مع ابن صديقتي[1] وخادمة، نأكل القليل

---

(1) شارل كينيه، ابن كونستانس، الذي يربيه دو ساد.

من الجزر والفاصوليا، ونقوم بتدفئة أنفسنا (ليس كل يوم، ولكن عندما نستطيع) ببعض الحزم التي نشتريها بالأجَل معظم الوقت. لقد وصل بؤسنا إلى درجة أنه عندما كانت تأتي مدام كينيه لرؤيتنا، فإنها تحضر لنا الطعام، من منزل صديقاتها، في جيبها [...]

دعنا نأتِ إلى ابني[1]. لديَّ أمثلة قليلة في العالم على مثل هذا السلوك المروِّع والهمجي الذي يتعامل به هذا الحقير (الكلمة التي تناسبه) معي. هو يعرف وضعي؛ جاء ليعاين بؤسي، ولم يكتفِ بعدم رغبته في أن يتَّخذ خطوة، لكنه حتى أعاق أعمال مدام كينيه بقدر استطاعته. هل تريد أخيرًا سمة أخيرة له؟ بحكم المهارة والتوسلات، قام السيد «بونيير»، أحد أشهر المحامين في باريس، والنائب السابق، بالتأثير في مدام دو ساد وحصل منها على أن تكون في بيته مع مدام كينيه، حتى تستطيع الأخيرة أن تصف بصدق لها وضعي المرعب للغاية.

الساعة، اليوم، تم تحديد كل شيء، عندما ذهب هذا الوغد، الذي يقال إنه ابني، إلى الوسيط ليوبِّخه بأقذع الكلمات المشينة على هذا المشروع الشريف، وبعد ذلك مباشرة، ذهب إلى والدته لمنْعها من الذهاب إلى اللقاء وجعلها تفتر، ويخفِّف بألف كلمة سيئة، الاهتمام الذي نجح «بونيير» في إشعاله بداخلها. فلتمنح بنفسك، صديقي العزيز والصادق، نعم، فلتمنح هذا الوحش الاسم المناسب الذي يستحقه وسترى ما إذا كانت الأسماء التي منحتها له يستحقها أم لا. في الواقع، الرجل المهذب، مستغلًا الوقت الذي يقيدني فيه القانون، قام، كما يقولون، بالعديد من أعمال السلطة في ممتلكاتي وخاصة في مازان. أطلب منك بكل تأكيد تدمير وإلغاء كل هذا.

---

(1) ابنه البكر لوي ماري.

إذا كنتَ بحاجة إلى تفويض مخصص لهذا الأمر، أخبرني، فستحصل عليها على الفور. إذا كنت غاضبًا لأنك كنت مهذبًا مع هذا الشخص الغريب، فهذا الأمر ينطبق عليك بقدر ما ينطبق عليَّ. إنه خائن إذا تلقَّى خبر موتي في أثناء تناول عشائك، كان سيضايقك [...] بشأن قضية «أرشيا»[1]، وقضية «سيلفان»، وما إلى ذلك، إلخ، إلخ. لا تشكَّ في هذا، لأنه أكد بشكل إيجابي، وأنا وشخصين آخرين، أنه إذا قمت بمصالحة معه وهو ما يفكر فيه، وهو ما لن أفعله بالتأكيد، فإنه بهذه الإجراءات الشائنة كان قد بدأ من بروفانس، ويمكنك أن تتخيَّل كيف رفضت بعنف هذا الموضوع. لكن، بيننا، كما يقال، كيف استطاع أن يفلت هذا الطفل من المشاكل في رحلته؟ كيف لم يماحكه أحد؟ أمر لا يمكن تصوره. أي آخر كان سوف يُستهدَف عشرين مرة؛ لسوء حظي يجب أن يفلت هذا الوغد من العقاب. أوه! أنا مكلوم جدًّا، يا صديقي، من الواضح أنني مكلوم للغاية! لقد قام مؤخرًا برحلة غامضة تمامًا. قل لي، من فضلك، إذا لم يكن ذلك وصل إلى مقاطعتك بعد؟ في هذا الموضوع، يا سيدي العزيز، أخبرتني بشيء ساحر، لكنه معقد للغاية: «كل ما يخصك سوف يتم استقباله دائمًا بشكل جيد في منزلي». إذا احتدم غضبًا «دراجون»[2]، فأنا أشك في أنك ستستقبله جيدًا، وبالطبع سيكون لديك سبب وجيه لقتله حينئذ. وحيث لم يعد مسار هذه العملية موجود، صارت رابطة الدم لا شيء، وإذا أصيبت ذراعي بالغرغرينا، فسوف أقطعها غدًا.

---

(1) تاجر من إيكس إن بروفانس، صهر جوفريدي الذي باع له دو ساد مزرعة صغيرة، جراند باستيد، في سومان.

(2) لقب ماري لوي.

أنت طيب جدًّا لأنك تصدق عروض خدماته، فهو لا يعرف قطة في باريس. إذا كان الأمر يتعلق بجيش «كونديه»[1]، أوه!

سيكون مختلفًا! لا أعرف ما الذي فعله مع مدام كينيه في قضية فرانسوا[2] الخاصة بك، لكنني أعتقد أنها تصرفت. أراها قليلاً جدًّا.

إنها قادمة لزيارتنا هذا المساء. لن أفوِّت إخبارها عن ذلك. تأكد أنها شديدة الارتباط بك. [...]

دو ساد

غارقًا في البرد والبؤس، يجد دو ساد مأوًى غيرَ مستقر في نزل الفقراء في فرساي.

---

(1) إشارة إلى مشاركة الابن الأكبر لدو ساد في جيش الأمير كونديه، المكون من أرستقراطيين مهاجرين.

(2) أصغر أبناء جوفريدي.

[فرساي، 27 ديسمبر 1799]

إلى جوفريدي

لقد مرَّت ستة أسابيع، سيدي، منذ أن أخبرني ابنك[1] عن المال، ومنذ ثلاثة أشهر أخبرني أنه لديه هذا المال، لكنه يأخذ على عاتقه تأخير إرساله؛ أسألك سبب هذه العملية الشائنة، أطلب منك نقودي، لأنني أموت تمامًا، لأنني في سرير المرض وليس لدي أي مورد آخر غير الصدقة العامة.

من مشفى فرساي السادس من نيفوس[2].

دو ساد

في مارس 1801، ألقي القبض على دو ساد لدى ناشره، واتهم باعتدائه على الأخلاق من خلال كتاباته، وسُجن على الفور. في الواقع، وراء هذا الاعتقال التعسُّفي تتخفى ضغينة نابليون، الذي يفترض أنه كتب ضده كتابًا هجائيًّا وهو «زولوي»، ضد الأخلاقيات الطائشة لزوجته جوزفين، إمبراطورة المستقبل.

(1) تولى شارل جوفريدي المسئولية من والده لفترة من الوقت كمدير لممتلكات ماركيز، مما أثار استياء الأخير.

(2) نيفوس هو الشهر الرابع في التقويم الجمهوري الفرنسي.

(سانت بيلاجي[1]، 20 مايو 1802)

إلى أندريه جوزيف أبريال،

وزير العدل

مواطني الوزير،

يعود أمر البراءة المضطهدة إليك فقط بصفتك الرئيس الأعلى للقضاء الفرنسي؛ أنت وحدك الذي يملك تنفيذ القوانين وأن تبعد عنها التعسُّف البغيض الذي يقوِّضها ويضعفها. أنا متهم بكوني مؤلف كتاب جوستين[2] سيئ السمعة، الاتهام باطل، أقسم لك باسم كل ما أقدِّسه أن «ماسيه» طابع الكتاب وناشره، تم القبض عليه متلبِّسًا، وحُبس معي في البداية، ثم أطلق سراحه، بينما بقيت معتقلًا. حر، من طبع، وباع، وما زال يبيع، وأن أنتحب. أنتحب منذ خمسة عشر شهرًا[3] في أفظع سجون باريس، بينما، وفقًا للقانون، لا يمكن احتجاز المتهم لأكثر من عشرة أيام دون محاكمة. أطلب أن أعامل كذلك. سواء كنت أو لم أكن مؤلف الكتاب المنسوب إليَّ. إذا أمكنني الإقتناع، فأنا أريد أن أخضع للمحاكمة؛ وفي حالة العكس، فأنا أريد أن أكون حرًّا.

---

(1) سجن منذ 1790.

(2) جوستين الجديدة أو مصائب الفضيلة، نُشر عام 1799 في أربعة مجلدات.

(3) تم القبض على دو ساد 6 مارس 1801.

ما هذا التحيُّز التعسفي الذي يكسر أغلال المذنب ويسحق البريء؟

هل من أجل الوصول إلى ذلك ضحينا طوال اثني عشر عامًا بحياتنا وثرواتنا؟

هذه الفظائع لا تتوافق مع الفضائل التي تعجب بها فرنسا فيكم. أتوسل إليكم ألا تسمحوا أن أكون ضحيتها بعد الآن لفترة طويلة، أريد، باختصار، أن أكون حرًّا أو محكومًا. لي الحق في التحدث بهذه الطريقة. تمنحني مصائبي والقوانين ذلك الحق، ولديَّ سبب للأمل في كل شيء عندما يكون أنتم من أخاطبه.

تحياتي واحترامي.

دو ساد

تم سجنه لأول مرة في «سانت بلاجي»، وسرعان ما اتهموه بإفساد الشباب، ثم نُقل إلى سجن «بيسيتر» قبل ترحيله إلى مصحة الأمراض العقلية في «شارنتون». على الفور، تستيقظ شخصية المشاكسة، وتتضاعف نزاعاته مع المدير.

[شارنتون، 16 يوليو 1803]

إلى السيد دو كولوميه(1)

أعلم جيدًا يا سيدي أنني لست متعاقدًا مع خادم، لكنني أعطيته 6 فرنكات لرعايتي، وهذه المكافأة الطفيفة التي كانت دعمتها توصيتك تجعلني أرسم لك صورة لا ينبغي أن تدمر على أي حال، وفي اليوم التالي بسبب إثقال كاهل هذا الخادم الذي يعارض توصية حضرتك؛ كانت رسالتي هذا الصباح، تدور حول هذا الموضوع، وهو ما غير حالتك المزاجية، ولا أعرف لماذا، ولذلك تلومني بمرارة وظلم شديدين لكوني كثير المطالب. أنا لا أطلب أي شيء يا سيدي باستثناء ما هو قانوني، وإذا طلبت في هذه اللحظة مزيدًا من الرعاية إلى حدٍّ ما، فذلك بسبب العلاج الصارم الذي تتطلبه صحتي وأنا غاضب للغاية بعد أن بدأته معك، وأؤكد لك: أتمنَّى أن يكون قد حان وقت التوقف. علاوة على ذلك، لقد تعاملت بحساسية مع كل قسوة السيد «لامبير»، الذي، لأسباب يسهل تخمينها، يخبرك دائمًا بالسيئ، ولا يخبرك بالحسن أبدًا. ثم تحدثت معي عن المال كما لو كنت قد خلقت لجعلك مفلسًا، هذه النغمة، أعترف بذلك، جديدة جدًّا بالنسبة إليَّ ولكن لحسن الحظ منذ بعض الوقت لاحظت أنه ينبغي علينا التعود على كل شيء هنا، حتى الإهانات والافتراءات. في

(1) فرانسوا سيمونيه كولوميه مدير مستشفى المجانين.

هذا الربع، أي الأشهر الأربعة، أكد لي ابني أنه أخبرك أنه سيدفع لك، يا سيدي، وسوف يحل الدفع في السادس من شهر فروكتيدور[1] فقط ونحن لم نبلغه بعد. حتى هذه اللحظة لم أستحق الجملة غير اللائقة والقاسية التي وجهتها إليَّ بصدد هذا الموضوع؛ إلى جانب ذلك، يا سيدي، هذه التسوية لا تشغلني على الإطلاق؛ ينص الأمر الذي قرأته حرفيًّا على أنني هنا على حساب عائلتي، لذا فهي التي يجب أن تخاطبها، وأنا أرسل لك لهذا الغرض عنوان ابني، الذي تجري معه مثل هذه التسوية، سواء كتابة أو لا سوف تعرض عليه وأنه سيرغب في القيام بعمل جيد. بالنسبة إليَّ، أؤكد لك أنني أريد أمرًا واحدًا فقط، وهو أن أكون (وهذا في أقرب وقت ممكن) بعيدًا عن شارنتون بقدر ما أنا قريب منها، بعد ذلك: مع ذلك لقد كنت سعيدًا جدًّا لأنني علمت منك، يا سيدي، حقيقة عظيمة جدًّا وردت في الرسالة التي كتبتها لي مؤخرًا، وهي أن هناك كثيرًا من الناس لا يعتقدون أنهم مجانين وهم كذلك..

يا سيدي، يا لها من حقيقة!

يشرفني أن أحييك عليها.

27 ميسيدور[2] السنة الحادية عشر.

يعيش، ابني الأكبر، في شارع «نوف ديه بيتي شامب» قبالة اليانصيب رقم 463 ـ أرسلت له رسالتك الصادقة.

---

(1) الشهر الثاني عشر من التقويم الجمهوري الفرنسي.

(2) الشهر العاشر من التقويم الجمهوري الفرنسي.

لطالما كانت علاقة دو ساد بأبنائه الثلاثة صعبة. إذ لم يبدِ أي اهتمام بابنته التي يعتبرها قبيحة وغبية، فإنه يتناوب مع ولديه على فترات من العداء والمصالحة، وكلاهما قامت بتربيته والدتهما.

على ما يبدو، غالبًا فاجأتهم الطبيعة غير المتوقعة لهذا الأب الذي ظهر فجأة في حياتهم في نفس وقت الثورة. هكذا يتعرض كلود أرمان، المسئول عن شئون الماركيز، على الرغم منه، لكثير من حنق والده.

[شارنتون، فبراير 1805]

إلى كلود أرمان دو ساد

[...] فلتقر، يا عزيزي أرمان، بأن سلوكك تجاهي لا يزال يزداد غرابة أكثر فأكثر. أنت تعلم وضعي وتعلم أنني أفتقد حتى أكثر الأشياء الضرورية للحياة، ولم تنتهِ من أي شيء مع «لو نورمان»[1]. قبل ثلاثة أسابيع (حسب رأيك) كان من المفترض أن يتم الدفع، وفي الثامن والعشرين من هذا الشهر كتب لي أنك لم تكتب له حتى. فلتنهِ الأمر إذًا، أتوسل إليك، لأنه بشرفي، من دون ذلك، سأغادر في أحد هذه الصباحات لأذهب وأستقر معك. كما أن السيد «كولومييه» نفد صبره، وها هي رسالة من «إرل» لا تثبت أننا سنكون على وشك الانتهاء من هذا الأمر معه أيضًا. بشرفي إهمالك غير مفهوم، إنه يحط من قلبك للغاية. لدى أمك الكثير من أجلي؛ أقبلك. [....]

دو ساد

تشكِّل، رسائل الماركيز إلى «جوفريدي»، وهو رجل أعمال وصديق طفولته معًا، الجزء الأكبر من مراسلات الماركيز دو ساد المعروفة. سواء مُعنِّفًا، مهدِّدًا، مهانًا، ممدوحًا أو متوسلًا، لا ينفصل كاتب عدل «بروفانس» هذا عن حياة دو ساد الذي يشاركه كلَّ تحولاته الفكرية. منهكًا بسبب العديد من المغامرات، يحاول «جوفريدي»، مع تقدُّم العمر، أن ينأى بنفسه عن موكله الرهيب. وهو، بالطبع، ما لا يناسب ميل الماركيز.

(1) رجل أعمال وممول الماركيز في شارنتون.

[1806]

إلى جوفريدي

قبل أن أبدأ رسالتي، يا سيدي، أشعر أنني يجب أن أبرِّئ نفسي أمامك من عدة أخطاء يبدو أنك تنسبها إليَّ، على الرغم من ذلك، أستطيع أن أؤكد لك أنني لا أصدق أيًا من ذلك فيما يتعلق بك وأن الأحداث والظروف هي الأسباب الوحيدة لهذه الأخطاء التي لا يسعني إلا أن أرى الظاهر منها فقط. لم أسلبك أبدًا ثقتي فيك، أيها المحامي العزيز، اسمح لي بهذا التعبير القديم عن علاقتنا القديمة جدًّا؛ لكن بيع «لا كوست»[1] يضعك على مسافة كبيرة من القليل الذي بقي لي في المقاطعة المذكورة أعلاه، وهذا السبب جنبًا إلى جنب كرهك للسفر، بشكل طبيعي وكأنه على الرغم مني يسلبك إدارة هذا الجزء من ممتلكاتي؛ لم يعد من الممكن أن يهتم بهذا التدبير سوى رجل من «كاربنتيرا». كان بإمكان كورتوا»[2] وحده إدارة «مازان» و«آرل»، أنت لا تريده... أو من الأفضل أن نقول، لا يمكنك ذلك. من قدمت لي ليحل محلك؟ ابنك الأكبر الذي أصابتني رسائله وحدها بالحمَّى لمدة ثمانية أيام. لذلك كان عليَّ أن أنحاز إلى الجانب الذي انحزت إليه؛ العقل، اللياقة، كل شيء أملاه

(1) بيعت قلعة لا كوست للنائب روفير منذ 13 أكتوبر 1796.

(2) كاتب العدل في كاربنتيرا الذي حل محل جوفريدي في إدارة ممتلكات دو ساد.

ذلك عليَّ؛ كان القلب وحده ضد ذلك، ولكن هناك الكثير من الفرص في الحياة يجب علينا فيها محاربة القلب. متأكد أنك لم تهتم بالمصلحة الضئيلة والرخيصة جدًّا للتعامل معك، كنت قد حسبت أنه، سواء حدث ذلك أم لا، يمكننا أن نحب بعضنا بعضًا بنفس القدر، وصمتك العنيد منذ ذلك الحين أثبت أنني مخطئ. لقد عوَّضت نفسي عن ذلك بالتفكير فيك في كثير من الأحيان، ومن خلال التحدث عنك عدة مرات خلال العام مع الصديقة المخلصة التي كتبت لها أنت مؤخرًا والتي حرصت دائمًا على أن يكون الحديث عنك. كدليل على رغبتي في الحصول على أخبارك العزيزة، وصار لدي معلومات مضاعفة طلبتها في رسائلي من «كورتوا» التي لم تمنحني أبدًا الإجابة عليها الرضا بها عن الحقيقة. لقد تلقَّيت منك في هذا الفاصل الطويل ما يدل على تذكرك وارتباطك، أذكرك به هنا، وأشكرك على ذلك، وأرجو منك أن تضعه موضع التنفيذ. لقد كتب لي «سامبوك»[1] من «لا كوست»، منذ خمس سنوات، أنك طلبت منه أن يخبرني أن لديك بعض الأوراق الخاصة بي، والتي نجت من النهب واحتفظت بها والتي كنت ترغب في إعادتها إلي، إذا وفرت لك فرصة مؤكدة. شكرًا جزيلًا لك على هذا الاهتمام وأتوسل إليك أن تنجز هذا الأمر، وأن يكون لديك رغبة كبيرة في استعادتي الأوراق، وإليك الوسائل التي أعرضها عليك لإحضارها إلي؛ يجب، أو حسب الإمكانية، إما عن طريق عربة، أو البريد، إذا لم تكن ضخمة جدًّا، فأرسلها إلى السيد «لينورمن» تاجر الخشب، المقيم بشارع الإمبراطورة، رقم 101 فرساي، مقاطعة «سين إيه واز»، مع تنبيه وحيد وهو إبلاغ هذا

(1) بيير تيوفيل سامبوك، عمدة لا كوست. هناك سامبوك آخر، كان حارس القلعة.

الرجل، من خلال رسالة مسجلة قبل مدة ثمانية أيام تخبره أن حزمة من الأوراق تخصني تحتوي على عقود إيجار ثابتة وأوراق جحر[1] أخرى ضرورية لأعمالي وأن ترجوه أن يمرِّرها لي على الفور، بعد أن تحصل على إيصال مسبق باستلامها. لا تخشَ التكاليف، فأنا حريص جدًّا على استعادة هذه الأشياء بأي ثمن أكثر أو أقل، دون أن تمنعك هذه الرغبة الشديدة من جانبي من اتخاذ أسوأ الإجراءات الاقتصادية طالما أنه آمن، خاصة في هذه المراسلات، من فضلك، قُم بتضمين مخطوط مذكرات[2] حياتي في هذه المراسلات، غير الدقيق للغاية وغير الكامل تمامًا، والذي رأيته بين يدي ابنك الأصغر والذي لم يرغب أبدًا في أن يعيده إليَّ. لقد تنصَّلت من هذه المخطوط تمامًا وأرجوك أن تجعلني أستعيده ثانية. سأرد الآن على التفكير الذي يرد على بالك، بلا شك، بشأن تأخُّري في طلب هذه الأوراق التي أعلن عنها «سامبوك» والتي أتعجل بشدة في طلبها منك اليوم.

كنت أنتظر... لقد اندفعت نحو ظروف لم تسمح لي بأي إلهاء من هذا القبيل. لقد حانت اللحظة، وكنت على وشك أن أكتب إليك عندما وصلت رسالتك الودود إلى مدام كينيه.

لذلك دعنا نتحدث عنها. لقد فات الأوان، نظرًا لأنها، ولتتفهم ذلك

---

(1) في القانون الإقطاعي، يعد الجحر أو كتاب الجحر سجلاً يتم فيه تسجيل مدى ودخل الأرض وحدود وحقوق واحدة أو أكثر من الإقطاعيات التي تنتمي إلى السيد. ثم نتحدث عن الجحور الجماعية وهي الوثائق التي سبقت السجلات العقارية (المعممة خلال العصر النابليوني في فرنسا).

(2) لم يتم العثور على هذه المخطوطة، التي احتفظ بها شارل أو فرانسوا جوفريدي، على ما يبدو.

جيدًا، السبب الأول لذلك. مدام كينيه تكتب إليك في نفس الوقت لتشكرك على الاهتمام الدقيق جدًّا الذي شملتها به مؤخرًا. ولك أيضًا كل امتناني، أتوسل إليك، وكذلك أضيف إليه المزيد من الدعوات المتحمسة أن تضع في هذا الأمر كل الفطنة وكل الحماسة التي يمكن أن تكون لديك، من أجل الحفاظ على الأقل لهذه الصديقة الصادقة والغالية على الحقوق العادلة التي لها في ممتلكاتي. لذلك أتوقع منك هذا المعروف ولن أتحدث عنه بعد الآن، لأن قلبك هو من تحدثت إليه الآن، وأنه عندما تكون ذاكرتك في روحك، لا يمكنك أن تنسى شيئًا. علاوة على ذلك، لدي طلب آخر لك حول هذا الموضوع.

من المؤكد أنك لم تطَّلع على مطالب مدام دو ساد المفرطة دون مفاجأة. أتذكر ملاحظة مثيرة للاهتمام بشكل ملحوظ منك حول هذه المطالب السخيفة، والتي رفضتها دون رد؛ لقد كان من سوء حظي أن أضعت هذه الورقة، وأجد نفسي في هذه اللحظة في ظروف حياتي أنني في حاجة ماسة إليها. هل ستتمكَّن من إعادتها إلي؟ يا له من التزام إلزمك به تجاهي! حاول أن تسدي إليَّ هذه الخدمة، أناشدك؛ أنا عشية إتمام صفقة مع أولادي بموجبها أعطي كل شيء مقابل معاش... وهم يغالون في مطالبات والدتهم إلى ما لا نهاية، فأنا في حاجة ماسة إلى المستند الذي يمكن أن يزودني بوسائل هزيمتهم. سينتج عن عملية البيع لمدام «روفير»[1] قضية كبيرة بين السيدة دو ساد العنيدة وهذه السيدة المحترمة؛ قضية لا يتم فيها الحديث عن أي شيء أقل من مصادرة ممتلكاتي التي نجحت في الحصول عليها من أموال «روفير». هل يمكن ذلك؟ كلمة واحدة حول هذا

(1) تعارض السيدة دو ساد، الدائن الرئيسي للماركيز، على بيع قلعة لا كوست لعائلة روفير.

من فضلك. الآن تهيأ للإجابة عن بعض الأسئلة، فالأسئلة الأولى تهمّني بشكل مدهش والأخرى بلا شك أقل، ولكن مع ذلك يكفيني حتى معرفة أفضل السُبل للإجابة عنها.

كيف حال كل عائلتك؟ هل كان لديك أشياء ممتعة في أسرتك، ووظائف مرموقة لأولادك، وحفلات زفاف لبناتك؟

كيف هي السيدة جوفريدي الطيبة والصادقة؟ وأنت محاميَّ العزيز، شريك حياتي ورفيق طفولتي كيف حالك؟

ما قلت، هذا هو الأكثر إثارة للاهتمام. دعنا ننتقل إلى الباقي. بعض التفاصيل عن «لا كوست»، عن أولئك الذين أحببتهم، عن عائلة «بوليه»[1] وما إلى ذلك. هل صحيح أن مدام روفير تحتفظ بالقلعة لنفسها؟ في أي حالة هذه القلعة؟ وحديقتي المسكينة، هل ما زلت تتعرَّف على شيء مني؟ والداي في «أبت» كيف حالهما؟ ربما الآن ترغب في الحصول على كلمة مني؟ طيب! أنا لست سعيدًا، لكني بخير. هذا كل ما يمكنني قوله للصداقة التي أتمنى أن تظل تسألني.

لك مدى الحياة.

دو ساد

لا تعزو إلى الكسل أي تأخير في ردودنا، فهذا التأخير يرجع فقط إلى الوقت الطويل الذي تستغرقه وصول رسالتك إلي، ونظرًا إلى كثرة تغيير محل إقامتي لمدة خمس سنوات وإقامتي في الريف لمدة ثلاث سنوات.

---

(1) عائلة من قرية لا كوست، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بدو ساد، حيث كان لدى أحفادها صورة لماركيز دو ساد التي لم يتم العثور عليها.

عنواننا هو: منزل السيد «كولمييه»، عمدة الإقليم وعضو وسام جوقة الشرف، شارنتون، سان موريس، مقاطعة نهر السين.

دو ساد

في صيف عام 1808، علم دو ساد برغبة ابنه في الزواج من ابنة عم بعيدة القرابة، على الفور انطلق جنون العظمة المعتاد وأقنع نفسه بأن ابنه وأصهاره المستقبليين يريدون التخلص منه بحبسه وبالتواطؤ مع السلطات في قلعة بعيدة، ومن ثم يمتنع عن الموافقة. منزعجًا، سوف يتجاهل ذلك كلود أرمان.

(شارنتون، 22 يوليو 1808)

إلى السيد فينو[1]

[...] وفقًا للإيضاحات، يا سيدي، التي قدمها لي ابني للتو فيما يتعلق بإجراءات رفع الحجز التي يبتزوني بها بسبب الاعتراض الذي قدمته بين يديك فيما يخص قبولي زواج ابني الأكبر[2] أعتقد أنه من واجبي أن أطلب منك عدم إصدار أي وثيقة تتعلق بهذه القضية حتى أكشف المؤامرة والتهديدات التي تم ممارستها عليَّ للحصول على موافقتي والاحتفاظ بكل هذه المستندات كوديعة حتى إشعار آخر مني. ولن أفعل بالطبع إلا بعد مراجعة كل قواعد الحيطة والحذر. أرجو أن تتذكر أن هذه الوديعة مقدسة بالنسبة إليَّ ولكم.

[...]

دو ساد

ستظل الحاجة إلى المال تطارد دو ساد لبقية حياته. بعد أن ورث ديون والده، وعاش بالدين وفقد التمتُّع بممتلكاته، كما كان يجب على الماركيز أيضًا سداد مهر زوجته السابقة.

بعد أن نخرته الديون، سوف يضايق كتاب العدل من أجل بيع الفتات من ميراثه.

---

(1) كاتب العدل في شارنتون، المودع لديه وصية دو ساد.

(2) خطأ من دو ساد؛ إنه ابنه الأصغر.

[شارنتون، 22 أكتوبر 1809]

إلى فرانسوا ريبير

لقد مضى وقت طويل منذ أن كتبت لك عزيزي السيد «ريبير» بيْد أنني كنت أود أن أعرف أخبارك وأخبار كلِّ من يخصك وهو ما اضطررت إلى معرفته من قبل الآخرين لأنك لم تعد تكتب لي. ومع ذلك، لطالما كنت أعتقد أنك لن ترفض أن تسدي إليَّ خدمة إذا سنحت الفرصة، وأنا تملؤني هذه الثقة أتقدم لك بالمسألة الآتية. أجدني في حاجة ماسة إلى أربعمائة جنيه، أتوسل إليك أن تفعل كل ما بوسعكم وبشدّة للحصول عليها من أجلي؛ اجعل هذه الحاجة معروفة في «مازان»، حتى يتوجه إليك بثقة كل من يريد شيئًا مني مقابل ثمن هذه الخدمة، وأعدك من جانبي بالموافقة على كل ما ستفعله أو تجعلني أفعله كي تنجح في هذه المهمة.

لقد عبَّرت عن رغبتك في الحصول على قطعة أرض لزيادة، لا أعرف أيًا من ممتلكاتك، فلماذا لا تعقد هذه الصفقة معي؟ أي قطعة أخرى - أو مع أي شخص آخر؟ أخيرًا، ألا يوجد شيء في أرضي يمكنني التنازل عنه أو بيعه؛ بعض الغابات، وبعض الأراضي، وشيء من تجديد الإيجار؟ باختصار، افعلوا كل شيء لتحقيق النجاح، أحثك على القيام بذلك. إذا كنت بحاجة إلى بعض التوقيعات مني لإنجاز هذا العمل، فأرسل لي ما تحتاجه، وسأرسله إليك على الفور وبشكل جيد.

تحييك مدام كينيه، وتشاركني التعبير عن الكثير والكثير مما يهمك في هذا الشأن.

رُدَّ علي في أقرب وقت ممكن، من فضلك على العنوان التالي:

إلى السيد دو ساد، رجل الأدب في شارنتون سان موريس، مقاطعة السين. أعانقك من كل قلبي.

دو ساد

22 [أكتـ]وبر 1809

عندما يتوفر لديك المال، يجب أن ترسله لي عبر مصرفي في أفينيون بناء على طلبي أو على أي مصرفي في باريس كما يحلو لك.

منذ احتجازه في شارنتون، كان ابنه الأصغر هو من يدير شئونه، ويدفع نفقاته، ويحاول سداد ديونه التي لا تعد ولا تحصى ويدفع له راتبًا لطالما اعتبره دو ساد ضعيفًا للغاية. ما من شأنه أن يجلب على كلود أرمان التعِس رسائله الغاضبة للتنديد ببخله الدنيء.

(فبراير 1810)

إلى كلود أرمان دو ساد

[...] كما ترى، يا سيدي، كيف يسير كل شيء بينما تغفو بسلام في حضن غشاء البكارة[1] والثراء. وهل تعتقد أن الكون كله لن يعرف سلوكك؟ آه، تعتقد أنني سأكون غاضبًا جدًّا إذا لم يكن يعلم! باختصار يا سيدي، تعلم أنه لم يعد هناك أي مورد لي. لا شيء من «أرل» بالنسبة للسيد «كولمييه»! لا شيء من «بوس»[2]. لا شيء من «مازان» وهذا بسبب سخافتك في الأعمال وعنادك الجهنمي، أو ربما الأفضل من ذلك بسبب مضايقاتك التي أزعجتني، في مقابل أفعال مونتروي المقيتة! هل كان لك أن تحتضن مثل هذا العار وأن تكون الخادم لجلاد والدك؟ أيمكن أن تكون إنسانًا ممزقًا، يؤنبك أولادك، كما تقطع أعضاؤك؟ على أية حال، للأمراض العظيمة، علاجات رائعة، وسوف ترى قريبًا هذا العلاج الذي سأستخدمه ضدك وضد أمراضك! [....]

دو ساد

---

(1) تم الاحتفال بزواج كلود أرمان من ابنة عمه لويز جابرييل لورو دو ساد في 15 سبتمبر 1808.

(2) منذ خريف عام 1796، امتلك دو ساد مزرعتين في «بوس»، تم الحصول عليهما بالمال من بيع قلعة «لا كوست».

سيحتفظ دو ساد طوال حياته بحنين غير قابل للشفاء إلى حياته في بروفانس. سواء كان في فترة المجون في لا كوست أو في فترة الشباب في «سومان»، فلن يتوقف أبدًا عن استدعاء هذه الأوقات السعيدة، ويأسف دائمًا لأنه لم يتمكّن من إنهاء حياته في مسقط رأسه.

[شارنتون، 3 فبراير 1810]

إلى جوفريدي

رسالة أخرى مني، يا صديقي العزيز والقديم، ولكن بأي صفة لا تزال تتوسَّل بعد كل الأخطاء التي ظننت أنني فعلتها معك ومع ذلك أزعم أنني أؤمن بأن قلبك يبرئني منها في بعض الأحيان.

وإليك ما يتعلق بالأمر:

مدام «كينيه» التي لا تزال تقدِّرك كثيرًا والتي تفتخر دائمًا بالعائد القليل منك، تسألك عما إذا كان بإمكانها استئناف دورها مع مدام دو ساد ليتم الدفع لها، نظرًا لأن السيد «مور»[1] ليس في وضع جيد وقد أخبرني ابني أنه سيقف في المحكمة للحصول على هذه الأموال؛ بما أن السيدة «كينيه» في وضع جيد، ألن يكون لها نفس الحق في الحصول على هذه الأموال؟ يجب أن تكون على دراية بهذا الأمر، وأنه سترفع قضية بشأن ذلك في محكمة مدينتك، لذا أرجو منك أن تطلعنا بشأن هذه النقطة.

أود أيضًا أن تتفضَّل بتقدير ما لم يتم بيعه في «لاكوست»، وإخباري، إذا لم يكن لديَّ الحق فيما تبقى. أتوسل إليك أن تأخذ في الاعتبار دفء صداقتك القديمة معي، من أجل حصصي المالية في كل هذا، لأن السيدة

(1) ابن عم دو ساد وبينهما عدة مشاكل مالية.

روفيري هذه، التي لا تعرف لماذا، مثل غضب عنيف، تأتي لإشعال النار في أعمالي، إنها امرأة فظيعة للغاية؛ هي ومحاموها يصادران الآن أراضيَّ في «بوس»، وأود إما أن أصون نفسي منها أو أرد لها كل ما تفعله بي.

هل تخبرني ببعض الأخبار عن البلدة؟ ماذا حدث لـ قلعة «لاكوست»، هل تعيش هناك، هل تحافظ عليها؟ والأصدقاء القدامى الذين كانوا لي في ذلك المكان مثل «بوليه»، وما إلى ذلك، ماذا حل بهم؟

لكن أكثر ما يثير اهتمامي بلا شك هو عائلتك وأنت، وهذا ما أرجوك أن تعلمني به وتقدمه لي كواحد من الكائنات الذي يهتم بالتأكيد وسيهتم دائمًا بكل شيء يتعلق بك وبها. هل يعمل فرانسوا؟

باختصار، لا تتوقف عن إخباري، أناشدك بشأن التفاصيل التي ستكون دائمًا ذات أهمية كبيرة لي.

تطلب منك السيدة «كينيه» أن تذكرها لدى سيداتك الجميلات، ومن كل قلبي أتمنى لكما كل السعادة العظيمة جدًّا التي ترجع إلى خصالك التي لا تقدر بثمن.

دو ساد

يرجى إرسال ردِّك في مظروف إلى السيد «روا»[1]، رجل الآداب شارع دو لا هارب رقم 29 ضاحية سان جيرمان، في باريس، ببساطة عن طريق أن تضع على رسالتك السيد دو ساد.

---

(1) متقاعد، ولشغفه بالأدب، أصبح كثير التردُّد على دو ساد.

في شارنتون، وفي مواجهة مع المصابين بالأمراض العقلية كل يوم، قرّر دو ساد إنشاء «فرقة مسرحية تتكوَّن أساسًا من المرضى العقليين. وسرعان ما أقام عروضًا عامة، مهرجان شبه احتفالي حيث هرعت إليه كل باريس. وعلى الرغم من دعم مدير الملجأ، الذي يرى في ذلك مزايا كبيرة، فيما يتعلق بحالة النزلاء، سينتهي أمر هذه المحاولة الاستثنائية للعلاج إلى المنع من قبل السلطات.

[مايو 1811]

إلى مدام كوشليه،

وصيفة ملكة هولندا[1]

الاهتمام الذي بدا أنه استحوذ عليك فيما يتعلق بوسائل الترفيه الدرامية للمقيمين في الدار، يجعلني أضع قاعدة وهي أن أهديك تذاكر لكل عروضهم. المتفرجون مثلك، يا سيدتي، يتمتعون بتقدير لاحترامهم لذاتهم حيث يعثرون، لا آمل في شيء غير نيل اعترافك وإرضائك، على كل شيء ما من شأنه أن يشعل خيالهم ويغذِّي قريحتهم.

الاثنين المقبل، 28 من الشهر الجاري، سوف يقدمون مسرحية «روح التناقض» ومسرحية «مارتون» و«فرونتان» ومسرحية «الصغيران سافويار».

أنتظر أوامرك لإرسال أي تذاكر قد ترغبين فيها، وأرجو أن تقدمي تحياتي إلى سيدات بلاط صاحبة الجلالة ملكة هولندا، الأميرة التي بصفاتها النادرة والثمينة تجمع حولها برقة بالغة قلوب جميع الفرنسيين كتحية مقدَّسة من أولئك الذين تحكمهم.

دو ساد

(1) أورتينس دو بوارنيه، زوجة لوي بونابرت وهي من هولندا.

وقعت إميلي دي بيمار، التي أصبحت حماة ابنه، تحت تأثير سحر الماركيز الفوضوي حيث ستزوره في شارنتون. مفتونة بهذه الشخصية الخارجة عن المألوف، ستحاول أن تهديه إلى الإيمان الديني والأخلاق الاجتماعية بجعله يقرأ مؤلف شاب ناجح: شاتوبريان. قراءة من شأنها أن تؤدي إلى واحدة من آخر رسائل دو ساد، حيث لا يزال ساخرًا وغير قابل للاختزال.

(شارنتون، 4 مايو 1811)

إلى السيدة دو بيمار[1]

لا يسعني إلا أن أشكرك بصدق شديد، يا ابنة العم العزيزة، على الهدية الجميلة التي قدَّمتِها لي مؤخرًا. أؤكد لك أنني أُعظمها إلى أقصى حد، وكتاب «عبقرية المسيحية»، الذي جاءني على جناح الفضائل والروح والنعم، لا يمكنه إلا أن ينتج كل التأثيرات الطيبة التي تأملي فيها. ولكن يا لها من تعبيرات تصاحب، يا ابنة عمي العزيزة، هديتك الرائعة التي أهديتِني إياها! ومع ذلك، بكلمات أكثر لطفًا وذكاءً، فإن ما توجهينه إليَّ، يعني حرفيًّا: إنك ستخرج عندما تكون حكيمًا. هل من الجيد، اسمحي لي أن أجرؤ وأسألك، لرجل عجوز تعس يرزح تحت نير صحته المعتلة والسجن، أن يوجَّه إليه مثل ذلك؟ إما أن أكون كما ينبغي أن أكون، أو لن أكون أبدًا. في أول رافد من معضلتي (الحقيقية الوحيدة)، إذا أكون ما يجب أن أكونه، وأنا كذلك، فما الفائدة من جعلي أعاني كل هذه السفترة طويلة؟ وفي الثانية، لماذا أُعذَّب إذا لم يكن هناك ما يُرجى؟ هناك فقط القسوة دون فائدة. ولكن هل يسمح العقل والأخلاق والدين بمثل هذه الوسائل؟ عندما ضحَّى المسيح بنفسه من أجلنا، ألم يكن ذلك ليفتدي

(1) أصبحت قريبة للماركيز بالمصاهرة، بزواجها من جان بابتيست دو ساد ديفيجوير، وكحماة لابنه الأصغر.

خطايانا؟ إذًا لم يكن يريدنا أن نعاني عبثًا، لأنه كان يفقد حياته ليجنِّبنا الجحيم. لماذا يعظني مضطهديَّ بإله لا يقلِّدونه؟ لكن كم من المرات التي يجب فيها أن أشكو بمرارة، عندما أرى أن ما يحفز المخاوف الوهمية التي يتصورها المرء عني لا تستند سوى على افتراءات. بدأوا بجعلونني أعاني بوصفي مؤلفًا لكتاب[1] تبرَّأت منه مائة مرة في جميع أعمالي الأخرى، وفي عشرين مجلة وخمسة استجوابات. إذًا لم يتمكَّنوا من معرفة كيف يُضفون الشرعية على هذا الصارخ حقًّا لمثل هذا الاحتجاز الصارخ، وهو طول يثير الشكوك بارتكاب جرائم أخرى، ويجرِّسني أنا وعائلتي. يقولون، لقد واصلت الكتابة، وكأنَّه تم تجاهل أن الأوراق المأخوذة في «شارنتون» والتي تعد تتمَّة الكتاب المعني لم تكن موجودة منذ عشرين عامًا[2]! ـ أدرت عرض الدار[3] حيث أكون، وكان ذلك العرض بمثابة رعب مجنون. ـ هل كانوا سيتألَّمون، ويسمحون بهذا العرض، ويتردَّدون عليه لمدة ست سنوات إذا كان كذلك؟ هل كان يشفي ما يقرب من خمسين مريضًا إذا بدا هكذا؟ هل كان سيأتي عدة مديرين للسجن ليثنوا علي ويشكروني على العناء، لو وجدوا خلاعة في هذا العرض الترفيهي؟ ـ لكني أغويت العديد من شباب كلا الجنسين... من هم؟ أين هم؟ فليتحدثوا؛ أتحدَّاهم أن يدعموا مثل هذه الفظاعات. دعونا على الأقل نصدق رئيس الدار ـ كما قيل ـ حيث ارتُكبت مثل هذه الجرائم، ولنرَ ما سيكون رده.

---

(1) جوستين أو مصائب الفضيلة.

(2) بدأ في عام 1797 كتابة «يوميات دي فلوربيل»، التي تم الاستيلاء عليها في شارنتون في يونيو 1807. وسيحرق رجال الشرطة معظمها.

(3) العروض المسرحية في مصحة شارنتون انظر الرسالة السابقة.

«ماذا فعلت لأعاني طويلًا ـ مهلًا! للأسف هذا ماذا فعلته؟ ألا يمكنك رؤية ذلك؟ سترين الكثير». حسنًا، يا ابنة عمي العزيزة، فليصبر مضطهديّ؛ تفتح التعاسة واليأس نعشي، أنزل إليه، بالتأكيد لن أعيش سنوات عديدة كالتي مرت منذ أن جعلوا يعذبونني. لقد وصلت بهم البربرية إلى درجة عدم رغبتهم بالسماح لي حتى بلفظ أنفاسي الأخيرة في مصحة أخرى غير مصحة الجنون والصرع والهياج حيث لم يعودوا يخشون أي شيء من رجل استنفدت كليًّا قدراته الأخلاقية والجسدية وهو ما ينبغي أن يهدّئ مخاوفهم تمامًا. ـ وإن أي حماسة لن تجعلني أندفع إذًا إلى دين، بدلًا من أن يُظهر لي فقط الطغاة والتعذيب، لن يقدم لي إلا المعزِّين والفضائل. نعم يا ابنة عمي العزيزة والمحبوبة، هذه أمثلة لازمة للإقناع وليس للعذاب. نحن نكره حتى آراء الذين يسيئون إلينا. بينما نتبنّى ونحترم ونعتز بآراء المحسنين، الكائن الحساس الذي يمسح دموعنا بإحدى يديه باسم إله يقدمه لنا بيده الأخرى، متأكد دائمًا من إقناعه لنا. على ذلك، فمن الجيد دائمًا إقناعنا. إذا كانت ثمة صواعق أو ثعابين تحيط بما يقدمه لنا، فإننا نذهب بعيدًا، وندفع إلى الوراء، ونكره، ونبكي على البشرية. [...]

دو ساد

إلى السيدة الرئيسة مونتروي

(فينسين، نهاية فبراير 1777)

من بين كل وسائل الانتقام والقسوة الممكنة التي يمكن أن تختاري من بينها، فلتقرِّي، يا سيدتي، أنك قد استخدمتِ بالفعل الأبشعَ على الإطلاق. لقد جئت إلى باريس لأشهد زفرات أمي الأخيرة، وليس لدي أي هدف آخر سوى رؤيتها ومعانقتها مرة أخرى إذا كانت لا تزال على قيد الحياة، أو أبكيها لو لم تعد كذلك، وكانت هذه هي اللحظة التي اخترتِها لتجعليني ضحيتك مرة أخرى! واحسرتاه، كنت قد سألتك في رسالتي الأولى عما إذا كنت سأجد فيك أمًّا ثانية أم طاغية، لكنك لم تتركيني في هذا الشك لفترة طويلة، فهل هكذا مسحتُ دموعك عندما فقدتِ أبًا تعتزِّين به؟ ثم ألم تجدي قلبي حساسًا إزاء آلامك بقدر حساسيته إزاء آلامي؟ حتى لو كنت قد جئت إلى باريس لأتحداكِ أو مع بعض المخططات التي كانت ستجعلك ترغبين في إبعادي! ولكن بعد الرعاية التي كانت تطلبها حالة والدتي، كان هدفي الثاني هو فقط جعلك تراجعين وتهدئين، وأن أتفاهم معك، وأن آخذ في الاعتبار فيما يتعلق بقضيتي، جميع الجوانب التي تلائمك وما قد تنصحيني به.

بغضِّ النظر عن رسائلي، لا بدَّ أن أمبليه[1]، إذا كان صادقًا (وهو ما

---

(1) معلم دو ساد السابق.

لا أعتقده)، قد أخبرك بذلك. لكن الصديق الغادر توصَّل إلى تفاهم معك لخداعي، وضياعي، ولقد نجح كلاكما نجاحًا عظيمًا. قيل لي وهم يقتادونني إن هذا لإنهاء قضيتي، وبسبب هذا الأمر، فإن اعتقالي كان ضروريًّا. لكن بحسن النية، هل يمكن أن أنخدع بهذا الكلام؟ وعندما استخدمتي نفس الوسائل في سافوي، هل أنجزتي حتى أدنى نجاح؟ هل أثمر غيابي لمدة عام في كل مرة، من المرتين اللتين خضعت لهما منذ ذلك الحين، أدنى تحسُّن؟ أليس من الواضح تمامًا أنك تودين تدميري كليًّا وليس إعادة تأهيلي؟

أريد أن أؤمن معك للحظة أن الرسالة الملكية التي أمرت بسجني ضرورية لتجنُّب أمور مؤسفة دائمًا، لكن هل يجب أن تكون بهذه القسوة وهذه الوحشية؟ ألم تحقِّق الرسالة التي نفتني من المملكة الغرض نفسه؟ ألم أسلِّم نفسي إلى الشرطة حيث ذهبت في الميعاد بدقة صارمة، وبما أنني كنت قد وضعت نفسي بين يديك ألم أكن سأخضع لكل ما قد تطالبين به؟ عندما كتبت إليكِ من بوردو... حتى ترسلي لي المال للذهاب إلى إسبانيا رفضتِ، لقد كان هذا دليلًا قاطعًا على أن إبعادي لم يكن هو ما تريدينه ولكنَّه اعتقالي، وعلى أية حال، كلما أتذكَّر الظروف، أقتنع أنك لم تفعلي ذلك بنيَّة أخرى. لكنني مخطئ، يا سيدتي: عرِّفني أمبليه بشيء آخر، وهذا هو ما آمل أن يحدث. أخبرني، سيدتي ـ من جانبك بلا شك ـ أن شهادة وفاتي هي الوثيقة الأكثر ضرورة والأكثر ملاءمة للإسراع بإنهاء هذه القضية المُحزِنة. يجب أن تحصلي عليها وأقول لك إنك سوف تحصلين عليها قريبًا جدًّا. لأنني لن أكتب الكثير من الرسائل، بسبب صعوبة كتابتها وبسبب عدم جدواها في أن تكون قريبة منك، سوف تحتوي رسالتي هذه

على مشاعري الأخيرة، كوني مطمئنة. وضعي فظيع. لا يمكن أبدًا ـ كما تعرفين ـ أن يُحاط دمي أو رأسي بسياج محدَّد.

في سجن أقل قسوة من ذلك بكثير ـ كما تعلمين ـ خاطرت بحياتي كي أحرِّر نفسي. انتزعت هذه الوسائل مني هنا، لكن لم يتبقَّ لديَّ إلا أحداها ولن ينتزعها مني أحد بالطبع، وسأستفيد منها. من أعماق قبرها، تناديني أمي البائسة؛ يبدو أنني أراها تفتح لي أحضانها وتلزمني بالعودة إليها مرة أخرى باعتبارها الملجأ الوحيد. إنه لمن دواعي سروري أن أتبعها عن كثَب، وأطلب منك نعمةً أخيرة؛ سيدتي، لتجعليني بالقرب منها. شيء واحد فقط يُعيقني. أوافقك الرأي على أنها نقطة ضعفي، لكن ينبغي أن أعترف لك بذلك... كنت أود أن أرى أولادي. سأكون سعيدًا جدًّا بالذهاب لتقبيلهم بعد رؤيتك. لم تحرمني مصائبي الجديدة من هذه الرغبة ومن المحتمل أن أحملها إلى القبر. أوصيك بهم، سيدتي. أحبِّيهم على الأقل، إذا كنت تكرهين والدهم: فلتربيهم، إن أمكن، على نحوٍ يحفظهم من المصائب التي قادني إليها إهمال تربيتي.

لو عرفوا مصيري المحزن؛ أرواحهم، التي تشكلت وفق روح أمهم الرقيقة، ستلقي بهم على ركبتيك وأيديهم البريئة سوف تعلو بلا شك لتطوِّقك. من حبي لهم ولدت هذه الصورة المعزية، لكنها لن تفعل شيئًا، وأسرع في تدميرها خوفًا من أنها تنتج الكثير من الحنان في اللحظات التي أحتاج فيها فقط إلى الحزم، وداعًا سيدتي.

إلى مدام دو ساد

(فينسين، 18 أبريل 1777)

نحن محقُّون تمامًا في أن نقول، يا صديقتي العزيزة، تلك الأبنية التي شيدتها في حيث أوجد قد بُنيت فقط على الرمال، وأن كل الأفكار التي أشكِّلها هي مجرد أوهام تُدمَّر بمجرد تصوُّرها. من بين ست مجموعات صنعتُها لنفسي ووضعت عليها أملًا في إفراج وشيك، لم يعد يتبقَّى منها، والحمد لله، واحدة، ورسالتك في 14 أبريل جعلتها تختفي كما تبدِّد أشعةُ الشمس ندى الصباح. صحيح أنني وجدت فيها جملة معزية مفادها «يمكنني أن أكون على يقين من أنني لن أكون هنا أكثر من دقيقة واحدة أكثر من الوقت اللازم». لا أعرف أي شيء في العالم مطمئنًا أكثر من هذا التعبير، حتى إذا كان من الضروري أن أبقى هناك ستة أشهر، ستة أشهر، فسأبقى. إنهم ساحرون، في الحقيقة يجب أن أثني إلى حد كبير على أولئك الذين يقودون أسلوبك على التقدُّم الذي يحرزه فنهم العميق لتسميم جراح التعساء. في الحقيقة، من المستحيل بالفعل أن ينجحوا بشكل أفضل. ولكني أحذرك من أنه من الصعب جدًّا على رأسي أن يقاوم بعد الآن الحياة القاسية التي أحياها. لأنني أدرك وأتوقَّع أنه سيكون هناك كل أسباب التوبة لاستخدام معي القسوة المفرطة غير اللائقة وغير الملائمة لوجودي! إنه من أجل خيري، كما يقولون. عبارة إلهية ندرك فيها

جيدًا اللغة العادية للحماقة المنتصرة. أمن أجل خير الرجل أن يعرض المرء للجنون، من أجل خيره تدمَّر صحته، من أجل خيره أن نطعمه دموع اليأس! أعترف أنني لم أكن سعيدًا بعدُ بما يكفي كي أشعر بذلك الخير. أنت مخطئ هكذا يقول لك الأغبياء بجدية: هذا يجعل المرء يفكر. هذا صحيح: إنه كذلك بالفعل؛ لكن هل تعرف الشخص الوحيد الذي جلب لي هذه الوحشية الشائنة؟ إنَّه، محفور جيدًا في روحي، يمكنني أن أهرب بأسرع ما أستطيع إلى بلد لا تشارك فيه أجهزة خدمات المواطن في أي تبديل للخطأ حيث يُعاقب المرء على عدم الحكمة كجريمة، حيث ثمة امرأة، لأن لديها مكيدة وخداعًا، تعثر على سر إخضاع البراءة لأهوائها، أو بالأحرى مصلحتها القوية وخاصة دفن العقد الحقيقية لكل هذا، وبعيدًا عن الجناة والمتواطئين على المضايقات، أن أذهب وأبحث عن بلد حر أخدم فيه بإخلاص الأمير الذي سيمنحني حق اللجوء، أستحقُّ منه ما لم أستطع الحصول عليه في وطني... من العدل والراحة.

هنا، صديقتي العزيزة، تفكيري الوحيد حيث لا أطمح سوى إلى اللحظة السعيدة لوضعه موضع التنفيذ. لقد، كما تقولين، خُدعنا وسِرنا في النفق الخطأ. دون كلمة... أؤكد لك أنني لم أُخدع لمدة دقيقة ويجب أن تتذكَّري تلك اللحظة قبل أن تمتلئ غرفتي بمجموعة من الأوغاد ـ الذين جاءوا دون إظهار أي أمر من الملك، على أية حال، لإيقافي نيابة عن الملك ـ لقد أخبرتك أن لا أثق بهذه الرسالة المطمئنة من والدتك، وأنه بما أنها أظهرت المشاعر، فيجب أن نتأكَّد من أن روحي تتغذَّى على الخداع، لا صديقتي العزيزة، لا، كان من الممكن أن أتفاجأ، لكن أن أنخدع، لن أكون ذلك أبدًا حتى أرى هذه المخلوقة الصريحة والصادقة وهو ما يفترض أنه لن يحدث.

عندما أتيت إلى هنا، أحببت سيزار الذي قال «من الأفضل أن تعرِّض نفسك مرة واحدة في حياتك للمخاطر التي كنت تخشى أن تعيشها بدلًا من العيش في حالة حذر دائمة لتجنُّبها». قاده هذا النظام إلى مجلس الشيوخ حيث كان يعلم جيدًا أن المتآمرين ينتظرونهم. لقد فعلت الشيء نفسه ومثله سأكون دائمًا ببراءتي وصراحتي أكبر من أعدائي بدناءتهم وضغائنهم السرية التي تقودهم. تسألني عن حالي. ولكن فيم يفيد ما أخبرك به؟

إذا فعلت ذلك، فلن تصلك رسالتي. ومع ذلك، ودون أي فرصة، سأرضيك، لا تتخيلي أن أحدًا قد يكون غير عادل بما يكفي لمنعي من الإجابة على ما سُمح لك به أن تسأليني عنه. أنا في برج، مغلق تحت تسعة عشر بابًا حديديًّا، أستقبل ضوء النهار من خلال نافذتين صغيرتين مزخرفتين بحوالي عشرين قضيبًا لكل منها. لدي نحو عشر أو اثنتي عشرة دقيقة خلال النهار، برفقة رجل يحضر لي الطعام. ما تبقى من الوقت الذي أقضيه وحدي وأبكي... هذه حياتي... هذه هي الطريقة التي يؤدَّب بها رجل في هذا البلد. إنه ليس من خلال كنسر كل أواصر المجتمع التي، على العكس من ذلك، يجب أن نجعله أقرب لنعيده إلى الخير الذي عندما تصبه بالمحن ينحرف عنه. بدلًا من المشورة والنصيحة الحميدة، لدي يأس ودموعي. نعم يا صديقتي العزيزة، هذا قدري. فكيف تريدين ألا نقدر الفضيلة وهي تقدم لك بمثل هذه الألوان الإلهية! فيما يتعلق بالطريقة التي أُعامل بها، بلا شك يسيطر عليها الصدق... لكن الكثير من المصائب الصغيرة، والطفولية، لدرجة أنني عندما وصلت، اعتقدت أنني قد تم نقلي إلى جزيرة ليليبوت حيث كان طول الرجال ثماني بوصات فقط وينبغي عليهم أن يتصرفوا بطريقة مناظِرة لأحجامهم. في

البداية جعلني ذلك أضحك، ولم أستطع أبدًا أن أفكر في أن أشخاصًا، علاوة على ذلك، بدوا لي عاقلين يمكن أن يتبنوا مثل هذا الهراء. ثم جعل هذا صبري ينفد. أخيرًا، انتهى بي الأمر بتخيُّل نفسي أنني أبلغ من العمر اثني عشر عامًا فقط ـ وهذا أكثر صدقًا مما لو كنت سأعتقد أن الآخرين من هم كذلك ـ وفكرة العودة إلى الطفولة تخفف قليلًا الأسف الذي قد يشعر به رجل عاقل عندما يرى نفسه على هذا النحو. لكن الشيء الجميل جدًّا والأمر الذي نسيته، هو الطريقة السريعة التي يسيطر بها على المرء هنا حتى أصغر لعبة في علم الفيزياء، للذهاب في الحال لإبلاغ من يهمه الأمر. في البداية كنت ساذجًا، وتوقدت روحي، التي كانت ترشدها فقط رسائلك، في يوم من الأيام على رسالة منك تسعدني. كيف جعلني من تعقبوها أشعر في الحال بحماقتي! منذ تلك اللحظة، عقدت العزم على أن أكون كاذبًا مثل الآخرين، وأؤسس نفسي بطريقة أكثر ذكاء لفك اشتباك مشاعري على وجهي. طيب! يا قلبي، ومع ذلك، هذه فضيلة مكتسبة! أنصحك بالمجيء وإخباري الآن أننا لا نربح شيئًا في السجن!

فيما يتعلق بالمشي والتمرين الذي تنصحيني به، في الحقيقة، فأنت تتحدثين كما لو كنت في منزل رفيق حيث يمكنني أن أفعل ما يحلو لي. عندما نرخي العنان لكلب، سيقضي ساعة في نوع من مقبرة مساحتها نحو أربعين قدمًا مربعة محاطة بجدران تزيد عن الخمسين، وهذه النعمة الساحرة لم تُمنح بعد للمرء بقدر ما يرغب فيها.

تشعرين ـ أو على الأقل يجب أن تشعري الآن ـ بالفعل أنه من خلال المضايقات قد يؤدي الأمر إلى أن يترك للإنسان الحرية التي تُترك

للحيوانات: سيتعيَّن عليه فقط أن يأتي فجأة ليكون بصحة جيدة: أين يكون الشيطان حيث مشاريع من ليس لديهم هدف سوى قتلهم؟

في الخمسة والستين يومًا التي أمضيتها هنا، استنشقت الهواء خمس ساعات في خمس أوقات مختلفة. قارني ذلك بالتمرين الذي تعرفين أنني معتاد على القيام به، وهو أمر ضروري للغاية بالنسبة إليَّ، ثم احكمي على حالتي بعد ذلك! لقد نتج عن هذا صداع مخيف لا يفارقني أبدًا ويمتص الآلام المخيفة للأعصاب والغثيان وتجريدًا تامًّا من النوم، والذي لا يمكن أن يقودني إلا عاجلًا أم آجلًا إلى مرض خطير. ولكن لا يهم شريطة أن تكون الرئيسة سعيدة؛ وأن يقول زوجها السميك حسنًا: «هذا جيد، إنه جيد، ويجعله يفكر»!

وداعًا يا حبيبتي، كوني بخير وأحبيني قليلًا: هذه هي الفكرة الوحيدة التي يمكن أن تخفِّف من كل أمراضك. لم أحصل على أي شيء للتوقيع عليه بعد. لم يكن هناك الأمر يستحق عناء إخباري بهذا الطلب مقدمًا بصوت عالٍ حتى لا أكتشف شيئًا في المستقبل. وإلىٰ جانب ذلك، فإن المقتطف الذي أعطيتني إياه هو فقط لإعطائي مجرَّد لمحة عن أطول ادعاء. لذلك سأطلب الإذن بتعيين محامي كي يتصرف. سيتعين علينا أولًا الحصول على هذا الإذن، ثم تعيين هذا المحامي، ووضعه في صُلب الموضوع، وجعله يتصرف. انظري ماذا يؤخر الأمر، ويا لم من وقت هائل! أضيفي إلى كل هذا الأسلوب المبجَّل الذي يسارعون به لحملي على توقيع الأوراق اللازمة وسترين أن كل هذا يستغرق إلى الأبدية. صحيح أن ما يعزِّيني أنني لن أبقى هنا دقيقة، أكثر من الوقت اللازم!

الوداع مرة أخرى يا صديقتي العزيز. هذه رسالة رائعة قد لا تصلك

لأنها غير مكتوبة بأسلوب ليليبوت، تلك. على أي حال، ستتم رؤيتها دائمًا، ومن يدري ما إذا كنت من بين كل أولئك الذين يجب أن يروها، وأنت الشخص الذي أرسله إليه بشكل مباشر؟

ما تخبريني به عن أولادك يجعلني سعيدًا. أنت لا تشكين بأي سحر سأحتضنهم، رغم أنني لا أستطيع أن أخدع نفسي - بغضِّ النظر عن حناني - لدرجة أنني لا أشعر أنني أعاني الآن من أجلهم.

من خلال إعادة قراءة رسالتي، أرى أنه من الواضح جدًّا أنها لن تقدم لك، دليل قوي جدًّا على الظلم والرعب الذي أصابني، لأنه إذا لم يكن هناك سوى شيء بسيط في كل ما أشعر به، لماذا يخشى أي شخص أن يخبرك أو يجعلك تعرفين ذلك؟ على أية حال، لن أكتب لك مرة أخرى حتى أتلقَّى ردًا إيجابيًّا على هذا، فما الفائدة من الكتابة إذا لم تتسلمي رسائلي؟

إلى السيدة دو ساد

(فينسين 17 فبراير 1779)

أجيب عليكِ بدقتي العادية، يا صديقتي العزيز، لأنه ليس هناك ما هو أسهل بالنسبة إليكِ من عد رسائلي ومعرفة ما إذا كنت قد فقدت أيًا منها: وما عليك سوى عد رسائلك.

بالتأكيد لست عاجزًا عن الكتابة إليكِ، ومتى يكون الأمر كذلك، بالتأكيد، خوفًا من مضايقتك؛ لأنني أعرف مشاعرك تجاهي، سأفعل ذلك بشكل جيد لدرجة أنك لن تلاحظي ذلك. لكن أخبريني، من فضلك، ماذا تعنين عندما تقولي لي دائمًا: إذا كنت لا تستطيع الكتابة إلي، هل لي أن أكتب؟ يمكنك أن تتخيَّلي، بلا شك، أن لديَّ سكرتيرات تحت إمرتي: للأسف، أنا بعيد عن مثل هذه الفخامة؛ عندما بالكاد يكون لديَّ أكثر احتياجاتي الأكثر الضرورية! يظهر رجل، دائمًا في عجلة من أمره، أربع مرات في غرفتي خلال النهار، بما في ذلك واحدة عند الفجر، ليسألني إذا كنت قد نمت جيدًا (كما ترين إنه من أجل دفع الانتباه بعيدًا)؛ في الأوقات الأخرى، ليحضر لي الطعام، وما إلى ذلك. سبع دقائق بالتمام والكمال هي الفاصل الزمني الدقيق الذي يقضيه معي في تلك الزيارات الأربع، في المجمل؛ ثم ينتهي الأمر: إذا أردت، يمكنك أن تموت من الملل والحزن؛ فضلًا عن ذلك، هذا هو الشيء نفسه بالنسبة

إلي. أجيبيني على ذلك، من فضلك، إذا كان لديه سكرتاريا تحت إمرته، لماذا أختزل هنا؟

ولكن، قد تعترضين عليَّ، فأنت لم تخبريني بذلك من قبل... ولكن، حقًّا، كان الناس في الماضي يهتمون بي أكثر من الآن؛ في السابق، كنت أتجوَّل كثيرًا؛ لم أكن أترك أبدًا عندما كنت آكل؛ كنت في غرفة جيدة التدفئة...

والآن، لم يعد أحد بجانبي عندما آكل؛ التنزُّه أقل بكثير مما كان، أعيش ككلب بعيدًا في أكثرِ الغرف رطوبة في دونجون (لأن هذا هو المكان الذي أصاب فيه بالصداع فقط). وللمزيد من المتعة، استحالة إشعال النار هناك؛ لأنك كما ترين، لم أشعل بعد طوال الشتاء؛ ثم تأكدت الآن من أنني لن أشعلها. هكذا أنا يا صديقتي العزيزة. لكن الآن أيضًا، لم أعد بحاجة: تم الحكم في قضيتي. إذا مت، كان ذلك أفضل بكثير؛ وكذلك لو تحرَّرت... وأنا على قناعة تامة بأننا، في الأساس، لن نغضب. وأنت لا تريدين، في مثل هذه الحالة، أن يسأل المرء بأكبر قدر من الإلحاح على الخروج من هنا، أو على الأقل معرفة الوقت الذي يجب أن نخرج فيه؟ يجب أن يكون المرء عدوًّا لنفسه حتى لا يتعامل مع هذه الفكرة الوحيدة، الكائن القريب مني كما أكون، وأولئك الذين يتمسَّكون بي وأولئك الذين يرفضون إرضائي على العزاء الوحيد الذي أطلبه... أنت لا تعرفين ذلك، كما تقولين؟ وإذا كنت لا تعرفين ذلك كيف تخبريني به؟ لا تكرِّري هذه الكذبة علي أستحلفك بالله! لا تكرريها لأنها تجعل دمي يغلي. سأثبت لك بالطريقة الأكثر موثوقية أنك تعرفين ذلك، اعتبارًا من 14 فبراير 1777؛ أنني سأحاكم في 14 يونيو 1778. الآن، إذا كنت

تعرفين جيدًا هذا الجزء الأول من اعتقالي، كيف يمكنك إقناعي بأنك لا تعرفين الجزء الثاني؟ ولكن ماذا أقول؟... واحسرتاه! لم تحرمي نفسك من إخباري به، وأنت بالتأكيد تخبرينني إياه بصوت عالٍ وبصورة صريحة كما أظهرت لي الستة عشر شهرًا برقمك 22. هل هناك شيء واضح في العالم مثل السبت 22 فبراير، ورقم 3، في النهاية؟ وفقًا لذلك، لن يكون يوم إطلاق سراحي 2 فبراير، سيكون 1780 بالتأكيد وهمًا للغاية. ولكن، لئلا يتم هزيمتي بما فيه الكفاية، سوف تكوني لطيفة بما يكفي، وبعد وقت قليل جدًّا، لترسلي لي ثلاثة تفويضات، وهو ما يكفي بالنسبة إليَّ لمدة ثلاث سنوات. وتجددين هذه الإشارة الساحرة مرة أخرى اليوم، واليوم بالطبع، حيث مضت سنتان وما زالت هناك سنة أخرى؛ تعيدين المطالبة بسنة أخرى وتقدمين تفويضًا آخر وتريدينني أن أشك بعد في علامات هذه القوة؟ لا؛ لا، لن أشك ولو للحظة من أنه سيكون لدي سنة أخرى سعيدة أعاني منها. لا داعي لأن تفكري أكثر في هذا الأمر؛ أنا أفهمك، أسبر غورك، لا تذكريني بهذه الذكرى المروعة بعد الآن. ما أجده لا يستحق، ما لن أغفره أبدًا لأولئك الذين يسعون إلى تدمير هذه الفكرة، بدلًا من تقويتها. عندما، منذ البداية، جلستِ معي لفهم تلك السنوات الثلاث بطريقة ماذا لو، عندما قلتها هنا، أجبتيني.

يا لها من فكرة! ثلاث سنوات مستحيلة! بضع سنوات على الأكثر. هذا هو المشين، هذا هو البغيض وهذا ما تسبَّب في كل الحزن، كل وضعي الكارثي. ألم يكن من الإنسانية أكثر أن تتركيني في وهمي لأنه لم يكن مجرد وهم، بل رغبة تضعني كل يوم في حالة الأمل الشكلي الذي لم يولد، إنه يشجعني فقط، على تحمُّل المحنة التي لا بدَّ أن الحزن قد أعطاني

إياها لأراها مدمرة؟ أكرر، هذه السجون بغيضة. كما أنها خالية من الجأر بالصوت والفطرة السليمة ولا تحمل سوى شعار مدينة حمقاء مثل تلك التي للنمور والأسود الآن، حينئذ، مدعومًا أكثر من أي وقت مضى، بفكرة حقيقية للغاية، إنه لا يزال لدي عام لأعاني وأشهد من خلال رسائلي- دائمًا، على بدء جديد لنفس الأغنية مرة أخرى؛ لديهم من الجرأة، من العار أن يكتبوا لي؛ فيما يتعلق باثنتي عشرة عبوة من المربى التي طلبتها في ديسمبر: اثنتي عشرة عبوة من المربى! يا إلهي!

ماذا تريد أن تفعل بها؟ هل ستقيم حفلًا، دون شك؟ على أية حال، لن يكون الأمر سيئًا للغاية إذا بقي أي شيء. هنا في كلمتين أي عمل كان وما زال لجلاديَّ؛ لأن أي اسم يمكن أن أمنحه لمن تلقيت منهم أعنف طعنات؟

بمجرد أن أخبرتِني: ثلاث سنوات، كما توقعت، لماذا تدمرين وهمي؟ لماذا تلمحين لي بإفراج قريب للغاية، في حين أن ذلك لم يكن صحيحًا؟ ولماذا أخيرًا تسعدين بتقديم الأمل لي في جميع الأوقات، ثم تنتزعينه مني في اللحظة التالية؟ إنني أشكو من هذه اللعبة الشائنة؛ وأولئك الذين، من خلال العزف عليها، يشكِّلون أداة لانتقام الآخرين؛ يؤدون دورًا سيئًا للغاية وبصورة جيدة؛ قد أضيف بربريًا جدًّا؛ لأنني ماذا فعلت بهم، هؤلاء الناس؟ بالنسبة إلى الأول، لا شيء: لم أرهم قط في حياتي، وأما بالنسبة إلى الآخر، الصدق والأدب... وأخيرًا؛ كل ما قيل الآن، يمكن أن يشحذ ملامحهم للعام المقبل، إذا كان الوهمي مفيدًا للغاية بأي حال من الأحوال؛ لهذا، أصرح لهم بأنهم سيقولون ويكتبون للشيطان، الذي اعتاد على أكاذيبهم البغيضة، لن أصدق أنني سأخرج قبل يوم 22 فبراير 1780 ولو بلحظة. لن نتحدَّث عن ذلك أكثر من ذلك.

ومع ذلك، فإن جملة في رسالتك يمكن أن تجعلني أرى مصيرًا أكثر رعبًا. ها هي: لا يوجد ما يثبت أن المصطلحات التي أشرت إليها لك بعد تخميني خاطئة. لكن هذه الشروط التي أشرت إليها هي فقط 22 فبراير 1780.

أصرح وأحتجُّ على أنني لم أرَ أو أخمِّن أي إشارة أخرى في رسائلك. ومع ذلك، الجملة التالية التي تضعها: ستخبرني بذلك: لكن لماذا حددتِ في «لا كوست»، كذا وكذا؟ سأخبرك أنهم خدعوني. لكن ما أثار إعجابي في «لا كوست» هو أنه تم إخبارك أنني سأظل بعد ثلاث سنوات من الحكم علي، أو بعد عام ثم أنفى. أنت تقولين الآن أنك آسفة لإخباري بذلك. فذلك لأننا لن نأسف لإخبار شخص ما أن هناك: إنها تدخر له مفاجأة سارة ولا تدين له بعذر لخداعه في تلك المفاجأة. ومع ذلك، فعلتِ بي ذلك. وذلك هو الأسوأ. إنه أسوأ، ما زلت بعيدًا جدًّا عن الاعتقاد بالمغادرة في 22 فبراير 1780! أنت تجبريني كثيرًا على شرح هذه الجملة لنفسي، لأنها لا تزال تثير قلقًا وحزنًا على نحو قاسٍ.

أخبريني، أتوسل إليك، تسألين أحيانًا الأوغاد سيئي السمعة؛ المتسوِّلين البغيضين الذين يحاولون إبقائي على الجمر الساخن حيث يمسكون بي كي يجعلوني أعلم بالمدة، ما الذي يحاولون كسبه من ذلك؟ لقد قلت بالفعل وكتبت ألف مرة مكان الوصول، المكان المفقود، أنه بدلًا من أن يجعلوني في حالة جيدة، فإنهم يؤذونني أكبر إيذاء، وأنه من غير المحتمل أن يتم تنفيذ مسيرتي على هذا النحو، وأنني محروم من الإمكانية والرغبة في إجراء التفكير وبالتالي الاستفادة من الموقف.

أضيف وأوثق اليوم، بعد عامين هذا الوضع الرهيب، الذي أشعر به أكثر بألف مرة مما كنت عليه عند دخولي إلى هنا، وأن مزاجي قد أصبح حادًّا

وشرسًا، ودمي يغلي ألف مرة، ورأسي أسوأ ألف مرة، وهذا باختصار، إنه يجب عليَّ الذهاب للعيش في منشرة للخشب أفضل من هنا، بسبب الاستحالة حيث الحالة التي الدولة استطعت العيش من خلالها مع الرجال! إيه! ما الذي سيكلفني، يا إلهي، أن أقول إن ذلك يؤلمني لو فعل بي؟ واحسرتاه؛ أيها السادة الصيدليون الآن وقد دفع ثمن عقاقيركم وفي كلتا الحالتين، لماذا لا أوافق على وجودهم في المدينة، إذا كان لديهم بعضها؟ لكن، صدقوني، لديهم أشياء أخرى ليفعلوها غير القيادة إلى الجنون وأنتم مقلِّدون ولستم أطباء، أو بالأحرى أوغاد يجب أن يعذَّبوا بالدولاب، ليعلموكم أن تبقوا بريئًا محبوسًا من أجل إرضاء انتقامكم فقط، جشعكم ومصالحكم الشخصية التافهة. وهل سأكون صامتًا يومًا ما؟ فلأباد ألف مرة إذا كان هذا صحيحًا! أخبرتِني أن الآخرين كانوا مغفَّلين، ولم يقولوا شيئًا عن ذلك... إنهم حيوانات، وهم حمقى؛ لو تكلموا، لو كشفوا كل الأهوال، كل العار الذي وقعوا ضحاياه، لكان الملك قد استنير؛ لإنه عادل وما كانوا ليتألَّموا. وينتج من صمتهم بالذات إفلات هؤلاء الأوغاد من العقاب. لكنني سوف أُنور، سأفتح الأعين، حتى لو ذهبت وألقيت بنفسي عند أقدام الملك، لأطلب المنطق والعدالة لكل ما جعلوني أعانيه ظلمًا.

أوه! أنتِ لست بحاجة إلى حثّي على عدم عد أو مقارنة رسائلك! أعطيك كلمة شرف بأنني لن أعاود فعلها بعد الآن. لقد فعلت ذلك، لسوء حظي، لأنني لو فكرت في ذلك سأجنُّ، لكنني أفضل على فعل ذلك مرة أخرى، أن أعذب.

أنت تصمّين آذانك عن رقم 22... السؤال الذي طرحته عليك كان بسيطًا جدًا، لكن لا يمكنك منحي أي ارتياح؛ فلنتوقف عن الحديث عن ذلك.

فقط تذكري أنني لن أنسى أبدًا قساوتك. مهلًا! إذا كانت لديك ذاكرة جيدة، فستتذكرين ما إذا كانت كل هذه المضايقات التي تعرَّضت لها شخصيتي قد نجحت. الفرق بيني في «لا كوست»، بعد الفضائح الروحية التي أتى الناس ليصنعوها هناك، وبيني عندما تركوني هادئًا...

عليكِ أن تري من هذا إذا كان كل هذا جيدًا بالنسبة إليَّ.

لا أريد أن أنقل أي شيء باستثناء ما تخبريني به بنفسك حول ذلك. إذا لم تستطع «ميلي روسيه»[1] أن تقول ما لا تعرفه، فلا تقل شيئًا إذًا: هذه هي إجابتي بالكامل؛ يجب أن تصغي إلي. إذا كانت عبوسًا، فهي سيئة للغاية بالنسبة إليها؛ وتظهر لي بوضوح ما يكون عليه أصدقاء العصر، وما إلى ذلك.

هل يمكننا معرفة من تزوج «ميلي ديفري»؟ «ميلي دو لونيه»[2]، كما تقولين، غير متزوجة ولن تذهبي إلى حفل زفافها. إذًا هي ستتزوَّج لأنك لن تحضري حفل زفافها؟ وبالتالي، فإن «ماريه»[3] لم يكذب عليَّ كما تزعمين. لكن، على سبيل المثال، ما كذب عليَّ بشأنه هو عندما أخبرني أنني سأبقى هنا ستة أشهر فقط. وفي هذه النقطة أجده نذلًا كريهًا، لأنه كان يعلم جيدًا أن هذا لم يكن صحيحًا وأنه لا يليق أن نقول أقل من: إنه يُعد بالنسبة لرجل أفظع لحظات اليأس عندما يرى أمله محبطًا. ـ أنا لا أرد على بطاقة بيضاء. إنها إشارة. لقد كرَّر تأثيره. فلنتوقف عن الحديث عن ذلك. أليس لديك مال من بروفانس؟ فلتحضريه، إذا كنت بحاجة إليه؛ لكني لن أوقع أي شيء.

---

(1) ميلي: اختصار رشيق لآنسة.

(2) أخت زوجة دو ساد وعشيقته في عام 1772.

(3) مفتش شرطة.

كل عزائي هنا بترارك. قرأته بلذة، بشغف لا يمكن مقارنته بأي شيء.

لكن اعتبرته مثل مدام دو سيفيني في رسائلها التي كتبتها إلى ابنتها: قرأتها بلطفٍ خوفًا من قراءتها. يا لها من عمل صنع بجودة هائلة! تدير «لوري» رأسها نحوي؛ أنا لست مثل طفل. قرأتها طوال اليوم، وأحلم بها في الليل. أستمع إلى نداء الحلم الذي تلقيته منها أمس، بينما كان الكون كله يستمتع.

كان نحو منتصف الليل. كنت قد نمت لتوي، ذكرياتها في يدي. فجأة، ظهرت لي.

لقد رأيتها! لم يغير رعب القبر تألُّق سحرها، وكانت عيناها لا تزالان تتوهَّجان كما كان الحال عندما احتفل بهما بترارك. يلفها بالكامل قماش أسود، وشعرها الأشقر الجميل يتموج فوقها. بدا أن الحب، ليجعلها جميلة مرة أخرى، أراد أن يخفِّف من كل الجهاز الكئيب الذي قدمت نفسها فيه لعيني، «لماذا تئنُّ على الأرض؟ كانت قد قالت لي. تعال وانضم إليَّ. لا مزيد من الأمراض، لا مزيد من الأحزان، لا مزيد من المتاعب، في الفضاء الشاسع الذي أسكن فيه. تحلَّ بالشجاعة لتتبعني». بهذه الكلمات سجدت عند قدميها، وقلت لها: «يا أمي!...» وخنقت الانتحابات صوتي. مدت يدها إليَّ فغطيتها بدموعي. لقد سكبتها أيضًا. «لقد أحببت، أضافت، أن أتطلع إلى المستقبل، عندما كنت أعيش في هذا العالم الذي تكرهه؛ لقد ضاعفت ذريتي وصولًا إليك ولم أرَكَ حزينًا إلى هذا الحد. «لذلك، استوعبني اليأس والحنان، ألقيت ذراعي حولها لأطوقها، أو لمتابعتها، ولسقيها بدموعي، ولكن الشبح رحل، بقي ألمي فقط.

O voi che travagliate, ecco il cammino Venite a me il passo altri non serra.

أيها المضطربون ها هي الطريق، تعالوا إليَّ، لن يغلقها الآخرون.

بترارك

مساء الخير يا صديقتي العزيزة أحبك وأقبِّلك من كل قلبي. لذا، أشفق عليك قليلًا، أتوسل إليك، لأني أؤكد لك أنني أكثر تعاسة مما تعتقدين. احكمي على كل ما أعانيه، وحالة روحي بها كل كآبة خيالي.

حتى أنني أحتضنُ الأشخاص الذين يعبسون في وجهي، لأن كل ما أكرهه فيهم هو عيوبهم.

في 17 فبراير، بعد عامين مروعين.

إلى السيد كارتيرون (مارتن كيروس)

(فينسين، أوائل يناير 1780)

إنني أنتهز بشغف كبير، يا سيد كيروس، فرصة هذا التجديد لعام آخر لأتمنّى لك كل السعادة، ولكل من يهمك.

أخيرًا تتقلّص آلامي ومآسيَّ، يا سيد كيروس، بسبب اللطف والحماية الكبيرة من السيدة الرئيسة «مونتروي»، آمل يا سيد «كيروس» أن أتمنى لك ذلك عينيًّا، بعد الغد في غضون خمس سنوات.

فليحيَ الحساب، يا سيد كيروس! إذا كان نجمي الكارثي قد ربط مصيري بعائلة أخرى، فقد كان لدي البعض منها طوال حياتي، لأنه كما تعلم، سيد كيروس، أنه في فرنسا، لا يزدري المرء العاهرات دون عقاب. يمكن للمرء أن يتحدَّث بشكل سيئ عن الحكومة، عن الملك، عن الدين: كل هذا لا شيء. لكن عاهرة، يا سيد كيروس، اللعنة! عاهرة، يجب أن تكون حريصًا على عدم الإساءة إليها، لأنه، في الوقت الحالي، أمثال «سارتين»[1]، موبيو، مونتروي، وغيرهم من أتباع بيوت الدعارة، يأتون إليك بشكل عسكري لدعم العاهرة ويحبسون بجرأة رجلًا نبيلًا اثني عشر أو خمسة عشر عامًا من أجل عاهرة.

---

(1) القائد العام للشرطة.

لذلك لا يوجد شيء أجمل من الشرطة الفرنسية. إذا كان لديك أخت أو ابنة أخت أو ابنة، يا سيد كيروس، فانصحها بأن تكون عاهرة؛ أتحدَّاها أن تجد وظيفة أفضل. وبالفعل، أين يمكن للفتاة أن تكون أفضل من حالة حيث، إلى جانب الرفاهية والتراخي والسكر المستمر للفجور، لا يزال بإمكانها أن تجد نفس القدر من الدعم والثقة والحماية مثل أشرف البرجوازيين؟ هذا ما يسمَّى بتشجيع الأخلاق يا صديقي؛ وهذا يسمَّى اشمئزاز الفتيات الشريفات من الفاسق. يا اللّٰه! يا له من شعور! أوه! يا سيد كيروس، كم نعيش روح هذا العصر! بالنسبة إليَّ، وأعدك بشرفي، يا سيد كيروس، لكن إذا لم تجعلني السماء في حالة تمكنِّني من إعطاء الخبز لابنتي، أقسم لك على كل أكثر الأشياء قداسة في العالم أي سأجعلها عاهرة في الحال.

آمل، يا سيد كيروس، أن تسمح لي بلطف أن أقدِّم لك هدايا السنة الجديدة عملًا جديدًا صغيرًا، يختاره صعاليك سيدتك العزيزة ويستحق ذوقها.

بالتأكيد، اعتقدت أنك قد تكون مهتمًّا بقراءة هذا الكتاب الصغير، وأقطع علاقتي به لصالحك. إنه مجهول الاسم، الكتَّاب العظماء، كما تعلم، يحاولون التستُّر. ولكن نظرًا لأننا نحب نحن الهواة أن نخمن الأقنعة، أعتقد أنني حصلت على هذا بشكل صحيح، وإذا لم يوجد فاتح أقفال في زاوية من شارعك، فهو على الأقل بالطبع من «ألبارا». لا يمكن أن يكون لهذا الطفل الجدير أب آخر غير أحد هذين الرجلين الكبيرين: «الهول»[1] أو «الباسوش»[2]، لا توجد أرضية وسط. التشابه الشديد بين

---

(1) غرفة كبيرة مفتوحة إلى حدٍّ ما على نطاق واسع للخارج ومخصصة للتجارة.

(2) كانت الباسوش هي رابطة الكتبة القانونيين لنظام محاكم باريس تحت الحكم الملكي

هذين الحدَّين هو سبب خطئي: من السهل جدًّا أن ننسب إلى الأول ما يأتي من الآخر، ويمكن أن يكون المرء مخطئًا تمامًا. إنها مثل لوحات «كاراتشي» و«جيد»؛ يرتقي هذان الأستاذان اللامعان بالتساوي في السامي بحيث يمكن للمرء أحيانًا الخلط بين فرشتيهما! اللعنة! السيد كيروس، يسعدني التحدث معك عن الفنون الجميلة. لوحات لويجي بالمييري، ألباني، السوليمانية، دومينيكان، برامانتي، الحروب، مايكل أنجلو، بيرنيني، تيتيان، بول فينيزي، لانفرانك، إسبانيا، لوك جارك، كالابرو، وما إلى ذلك، كل هؤلاء الناس أغبياء بالنسبة إليك كما العاهرات بالنسبة لسارتين والمدعين العموميين في باريه. لكن هنا، عندما أريد التحدث عن كل شيء، لا يُفهم ما أعنيه. لا يوجد سوى الملازم «شارل»[1]، وهو رجل متعلِّم تعليمًا رفيعًا وسوف يخبرك عندما تريد أنه في القرن الثاني عشر كان حصنه محاصرًا بنيران المدفع. لكن ليس لدينا سعادة الدردشة معه كثيرًا كما نرغب... إنه مثل مولي يلعب فقط في الأيام الكبيرة.

لقد قمت بإثراء الكتاب المرفق ببعض الملاحظات التي ستوضح النص الذي أتمنَّى ألا يغضبك، يا سيد كيروس، وهذه الهدية الصغيرة من جانبي أشعر معها بالفخر لأنك ستحتفظ بها طوال حياتك. أضفت أغنية صغيرة قديمة بعض الشيء وقصيرة بعض الشيء، ولكن لن يكون الأمر أقل إبهارًا مع أصدقائك، يا سيد «كيروس»، عندما تأتي لتناول يخنة أو أرنب في فينسين، في الحصن، أو في الطابية.

الفرنسي في فترة ما قبل الثورة، حيث تم تجنيد ممثلين قانونيين. لقد كانت مؤسسة قديمة لا تتضح جذورها. الكلمة نفسها مستمدة من البازيليكا اللاتينية، وهي نوع البناء الذي كانت تمارس فيه التجارة القانونية في العصور الوسطى.

(1) شارل دو روجمون حاكم قلعة فينسين.

بالمناسبة، سيد كيروس، من فضلك قل لي إذا كنت متماشيًا مع العصر، إذا كان لديك أموال للمغامرات الغرامية، وشعر مستعار، وبأوهام برأسك. لديَّ رغبة خاصة في رؤيتك وقد تعودت هذا الذوق، ومن ثم يجب أن تكون مهتمًا جدًّا. في اليوم الآخر كنت أرغب في تزويد مديري بهذه الأوهام. كان ذلك الرجل هو السيد القائد «شارل»، الذي كان يلعب ذلك اليوم (ذات يوم)؛ حسنًا، سيد كيروس، لن تعرف كم كنت أبدو مثل الديوث، بمجرد أن وضعت هذه اللبدة على جبهتي. أوه هذا! أين تكمن هذه الهيئة سيد كيروس (لأنها كان موجودة)؟ في القبعة؟ على جبهتي؟ هل داخل الملازم «شارل»؟ هذا سؤال أتركه لك لتقرِّره.

سيكون لديَّ ارتباط صادق تجاهك، سيد كيروس، إذا ما زودتني، وسأكون ممتنًا لك، بنموذج ورقيّ صغير لقبعة مرحاض صديقك، السيد «ألباريه». لدي نزوة امرأة بدينة لرؤية عينة من هذا التاج. أحصل على عنوان صانع قبعاته، أرجوك، لأن أول شيء سأفعله عندما أخرج

سوف أقوم بتصفيف شعري هناك.

وكيف هي الملذات سيد كيروس؟

من، باخوس أم الحب،

ينتصر اليوم؟

ماذا!... للاحتفال بهما بالتناوب

هل تريد الحصول على المجد؟

أعتقد أنك قادر جدًّا على ذلك، وأن نبيذ مورسو، وشابليس، وهيرميتاج،

وكوتيروتي، ولا هيرتي، وروماني، وتوكاي، وبافوس، وإكسيريس، ومونتيبولسيانو، وباليرن، وبري، يدغدغ أعضاءك بشكل مثير للشهوة، نحو الخواصر الملتهبة للعذارى الشابات بامفالي، أورور، أديلايد، روزيت، زيلمير، فلور، فاتيما، بوبون، هياسينت، أنجيليك، أوغسطين وفاطمة. رائع يا سيد كيروس! صدقني، هكذا يجب أن تمضي الحياة؛ وعندما أوجد منشئ الطبيعة كرومًا من جانب وعاهرات ومن جانب آخر، تأكد من أنه كان عن قصد أن نتمتع بها. بالنسبة إليَّ، السيد كيروس، لديَّ أيضًا متعي الصغيرة، وإذا لم تكن مفعمة بالحيوية مثل متعك، فهي ليست أقل حساسية. أدق الحذاء من الأمام ومن الخلف، ليهتف لي عند الطاولة (وهذا بنعمة عظيمة) رجل يأخذ، بانتظام ودون أي مبالغة، عشرة أكياس من التبغ، ويعطس ست مرات، ويتمخَّط اثنتي عشر مرة ويبصق البلغم من الحلق على الأقل أربع عشرة مرة، وكل هذا في نصف ساعة.

هل تعتقد أنه ليس نظيفًا ومُسلٍّ للغاية، خاصةً عندما أكون تحت الريح؟... صحيح أنه لإلهائي هناك يأتي إليَّ كل أسبوعين جنديٌّ كبير غير صالح للخدمة، والذي يحضر إليَّ مذكرة للبدء من جديد وفي كل عام، يأتي الملازم «شارل» ليشير بإشارات وقحة. «هيا يا سيد كيروس، صدق أن هذه الملذات تساوي ملذاتك: إن ملذاتك تلوثك من خلال كل الرذائل؛ بينما تقودني ملذاتي كل الفضائل، ـ اسأل، اسأل السيدة الرئيسة مونتروي إذا كان هناك في العالم وسيلة أفضل من السجون لجلب الفضيلة. أعلم جيدًا أن هناك حيوانات ـ مثلك، يا سيد كيروس (أستميحك عذرًا) الذين يقولون ويصرون على أنه يمكن للمرء أن يجرب السجن مرة واحدة، وأنه إذا لم ينجح ذلك، فمن الخطير للغاية القيام بذلك جديد. لكن هذه

الملاحظة تنم عن بلادة ذهن يا سيد كيروس، إليك الطريقة التي يجب أن التفكير بها: السجن هو العلاج الوحيد الذي نعرفه في فرنسا: وفقًا لذلك، لا يمكن للسجن إلا أن يكون جيدًا؛ وحيث إن السجن جيد فلابد من استخدامه في جميع الأحوال ـ لكنه لم ينجح لا في الأولى ولا في الثانية؛ ولا الثالثة...

ـ طيب! سيرد عليك، هذا سبب لاستخدامه أربع مرات؛ ليس السجن هو الخطأ، لأن علينا فقط، لا أن نبرهن، بل أن نقر أنه كان جيدًا: لذلك فهو الشخص، وبالتالي يجب إعادته إلى هناك. الفصد مفيد للحمى. لا نعرف شيئًا أفضل في فرنسا؛ لذلك، إراقة الدماء لها السيادة. لكن يا سيد كيروس، على سبيل المثال؛ من سيكون لديه أعصاب دقيقة أو شح في الدم، لا يناسبه الفصد: سيكون من الضروري محاولة العثور على شيء آخر ـ الأمر لا على الإطلاق! سوف يجيب طبيبك. الفصد ممتاز للحمَّى، لقد أقرناه يا سيد كيروس للحمى: لذلك يجب أن يُفصد. وإليكم ما نسميه الاستدلال القوي... لذلك، الناس أكثر عقلانية منك، يا سيد كيروس، الذي تتسم بالغلظة (أعتذر لك) يقولون: وثنيين! ملحدين! نجسين!

هل يمكنك الخلط بين أمراض الجسد وأمراض الروح؟ ألا تشعر أنه لا علاقة بين الروح والجسد؟ والدليل على ذلك، هو أنه بالنسبة إليك، أيها الفاسق، الثمِل، روحك للشيطان، بينما جسدك في قبو القديس يوستاش! لذلك هناك فرق كبير جدًّا بين الروح والجسد: لذلك لا يمكننا إقرار أي توافق بين طريقة تنفيذ علاجات الأول وطريقة تنفيذ علاجات الآخر، بالإضافة إلى أنني، أنا الطبيب، أكسب من خلال جعلك تنزف: يعود عليَّ الكثير من وخزات المشرط؛ لذلك يجب أن تُفصد. وأنا، يا سارتين،

أستفيد من وضعك بالسجن: يعود إلى الكثير مقابل كل سجين؛ لذلك يجب أن تُسجن، ـ ماذا لديك لتقول إزاء هذا المنطق، يا سيد كيروس؟ هيا، صدقني، اخرس، ولا تنزعج من المجيء إلى هنا لتقديم اعتراضاتك المبتذلة هنا: السجن هو أجمل مؤسسة في النظام الملكي.

إذا لم أكن قد أبقيت زوج ابنتي في السجن، فستخبرك الرئيسة مونتروي، هل كان بإمكاني أن أزاوج 5، 3 و8؟ هل يمكنني تأطير 23 و9؟ ترتيب الأمور بحيث في المرة الأولى التي تزور فيها ابنتي زوجها، وفي المرة الأخيرة التي تزورها، والزيارة التي ستذهب فيها للبحث عنه، سيكون أكثر من ثمانين رقمًا متماثلًا؟ إيه! يا أخرق، ستستمر الرئيسة في إخبارك، هل كان بإمكاني أن أفعل ذلك إذا كنت قد سعيت إلى سعادة زوج ابنتي أو علاج رأسه أو عودته إلى الفضيلة؟ وألا تعضد تحالفات الأرقام كل الإجراءات الغبية التي تنصحني بها؟ السعادة، الفضائل، علاجات الرأس، نرى هذا كل يوم. لكن فيما يتعلق بتأطيرات الأرقام والعلاقات والتشابهات؛ أنا و«ألباريه» المفضل لدي فقط القادران على القيام بهذه الأشياء. إزاءهذا التفكير العميق، يا سيد كيروس، سوف تسقط ذراعيك، وسيبتسم فوك الكبير حتى أذنيك، سوف يقترب حاجبك الأيمن من حاجبك الأيسر، سينتفخ أنفك، وتتعرَّق جبهتك، وتتخبَّط ركبتاك في بعضهما بعضًا وسوف تصرخ بحماستك: آه! لطالما قلت إن هذه الكلبة لديها ذكاء أكثر مني، وابن عمي «ألباريه» أيضًا! «تعال يا سيد كيروس، اسعل، تمخَّط، ابصق، اضرط وغنِّ لي: مارجو صنعت سجنًا عسكريًا.

رسالتي الطويلة إلى السيدة دو ساد

(فينسين، 20 فبراير 1781)

أعتقد، في الحقيقة، يا صديقتي العزيزة، أنك كنت تنوين أن تغرسي فيَّ نفس الاحترام لآلهتك الصغيرة الذي تشبعتِ به بعمق إزاءهم. ولأنك ستتعقبين بعد كل هذه النتائج، فستطلبين مني أن أفعل الشيء نفسه! هذا ***، هذا ***، هذا ***، هذا *** و*** إن الآلهة بالنسبة إليَّ كما هي بالنسبة إليكِ! إذا كنتِ للأسف قد دسستِ ذلك في رأسك، فلتزيليه، أتوسَّل إليك. المصيبة لن تحط من قدري أبدًا؛

لم آخذ أبدًا قلب عبد في الأغلال،

(Les Arsacides) الفرثيات[1]

ولن آخذه أبدًا. ولو فرضت، هذه الأغلال المؤسفة، نعم، ولو فرضت عليَّ حتى القبر، ستجديني دائمًا كما أنا. أنا تعس لأنني تلقَّيت من السماء روحًا راسخة لم تعرف أبدًا كيف تنحني ولن تنحنيَ أبدًا. لست خائفًا على الإطلاق من إغضاب أي شخصٍ مهما كان. تعطيني الكثير من الأدلة على أن وقتي محدود للدرجة التي تجعلني أشك في ذلك. إذن فليس لأحد أن يزيده أو ينقصه. بالإضافة إلى ذلك، لن يكون الأمر كذلك، فلن أعتمد

(1) تراجيديا من ستة فصول كتبت في عام 1772 بقلم بيرو دي بوسول.

على كل هؤلاء الأشخاص: سأعتمدُ على الملك، وهو الكائن الوحيد في المملكة الذي أحترمه، هو وأمراء الدم. أسفلهم، أرى كل شيء بوضوح، في المجمل، كل شيء متساوٍ بشكل مذهل، بحيث إن أسعد شيء، في ظل هذه الظروف، هو أنني لا أسعى إلى التدقيق، لأن التفوق في ذلك الوقت إلى جانبي، لن ينتج عن ذلك سوى مزيد من الصرامة إزاء ازدرائي العميق.

تدركين أنه لا يمكن تخيُّل الرغبة في معاملتي كما يحدث وما زلت أُطالَب بألا أشتكي من ذلك؛ لأنه أخيرًا، دعينا نفكر للحظة: عندما يجب أن يكون الاحتجاز طويلًا كما هو الأمر في حالتي، أليس من العار حقًّا الرغبة في زيادة الرعب بكل ما أحببت والدتك أن تخترعه لتعذِّبني هنا؟ إيه! أليس كافيًا أن تحرم من كل ما يجعل الحياة حلوة وممتعة، أليس كافيًا حتى ألا تتنفس هواء السماء، وأن ترى على الدوام كل رغباتك محطمة على أربعة جدران والأيام التي تمر تشبه تلك التي تنتظرنا ونحن في القبر؟ هذا العذاب الرهيب لا يكفي، وفقًا لهذه المخلوقة المروعة: يجب أن تجعله يزداد سوءًا عن أي عمل يمكن تخيله لمضاعفة كل الرعب. لكنك ستقرِّين بأن ليس هناك سوى وحش يمكنه الانتقام حتى ذلك... لكن هذا هو خيالك، ستقولين لي؛ نحن لا نفعل ذلك، هذه هي الأوهام التي تشكِّلها حالتك. أوهام؟ حسنًا، أخرج من دفتر تدوين أفكاري، حيث يوجد اليوم 56 دليلًا لهم طبيعة ما سأذكره منها، سآخذ منها واحدًا فقط، وسترين ما إذا كان الغضب المسموم هو الذي أملى كل المناورات التي تقوم بها هذه المرأة الشريرة البغيضة، أم إذا كان من الممكن أن نطلق عليها أوهامًا.

يجب ألا نشك للحظة واحدة في أن بعض الأسباب التي تجعل السجين يتخيل فترة قصيرة جدًّا، وأن أدنى الخطوات التي يبدو له أنها تدعم رأيًا

أقرب له يقبض عليها باشتياق لا يُصدق: إنه تاريخ الطبيعة، هذا ليس خطأ؛ لذلك لا يجب أن نعاقبه، يجب أن نشفق عليه فقط، لذلك من القسوة الواضحة التحريض، وأن نتنج، ونقوم بخطوات ترمي به إلى الخطأ، يجب أن نتوخّى أكبر قدر من الحذر للقيام بالعكس، وعلى الإنسانية (إذا كان هناك أي شيء منها هنا) أن تملي في جميع الأوقات من أعماق القلوب بعدم [تهييج] أقوى مشاعر التعاسة إذًا؛ لأنه من الواضح أخيرًا أنه فقط من الأمل المخيِّب تأتي جميع حالات الانتحار. لذلك لا ينبغي دعم هذا الأمل عندما قد لا يحدث، ومن الواضح أن من يفعل ذلك وحش. الأمل هو الجزء الأكثر حساسية من روح الرجل البائس، من يمنحه إياه ليذبل فهو يقلِّد جلادي الجحيم الذين يقال إنهم سوف يجدِّدون الجرح بعد الجرح باستمرار وسوف يلتصقون بقوة أكبر بالجزء الممزق بالفعل أكثر من الأجزاء الأخرى.

ومع ذلك، هذا ما كانت تفعله والدتك معي منذ أربع سنوات: عدد كبير من الآمال من شهر لآخر. بالاستماع إلى هؤلاء الأشخاص، وفحص إفاداتك، ورسائلك؛ إلخ، أنا هنا دائمًا في المساء؛ ثم، عندما يأتي هذا المساء، فجأة طعنة جيدة من خنجر ونكتة سخيفة طويلة. يبدو بالضبط أن هذه المرأة الشريرة تتسلَّى برغبتها في جعلي أقوم بعمل قِلاع من الورق المقوَّى، لتستمتع بإسقاطها بمجرد أن يتم ذلك، بعيدًا عن كل المخاطر الموجودة في هذا من أجل الأمل، وبالاحتمال الكبير جدًّا لتحويله، مع التأكد من جعله زائفًا لبقية الحياة. هناك، سوف تعترفين بذلك لي، الخطر الأكبر للغاية يتمثَّل في إفراطات اليأس الأخيرة؛ وليس لدي أي سبب للشك للحظة واحدة الآن في أن هذا هو هدفها الوحيد، ولأنها لم

تتمكَّن من قتلي، تركتني خمس سنوات في الوضع الرهيب الذي كنت فيه قبل السجن، لم يكن بإمكانها أن تتخيل العمل خمس سنوات أخرى بطريقة أكثر أمانًا. من بين العديد من الأدلة التي أخبرتك بها للتو هي هذه التسلية البربرية الصغيرة التي تمارسها معي ليعلو الأمل ثم يهبط، سأذكر منها واحدًا أحدث لإقناعك بها، منذ حوالي ستة أشهر كنت قد أرسلتِ لي ستارة لغرفتي. على الرغم من أنني رجوتهم كثيرًا ليعلقوها، لم يريدوا أبدًا. فماذا أستنتج من هذا؟ الأمر لا يتعلق بالألم. إذًا هذا هو الأمل الكبير. ستترك الأمر هكذا حتى اللحظة التي أتخيل فيها أنني قادر على بناء قلعة، وعندئذ، وتأتي لتأخذ وضعيتها، وها هي القلعة على الأرض. هذه هي تسلية السيدة الرئيسة «دو مونتروي»، هذه هي مهنتها اللطيفة لمدة أربع سنوات، مع تابعيها الذين تدفع لهم لخدمتها في هذه الملاطفات والذين يسخرون منها (على الأقل هذا ما أكَّده لي ماريه، الغيور بلا شك لعدم كونه من بينهم) بمجرد استلام هداياها أو مالها. إليكم 56 مناورة من هذا النوع محسوبة جيدًا، دون ما ينتظرني؛ لا يعني أن لدي 56 رأيًا مختلفًا حول إطلاق سراحي، لا سمح اللّٰه! لذلك كنت سأقضي حياتي في العد؛ وهو بعيد كل البعد عن القيام بذلك (لديك دليل على وجود عمليات أكثر جدية)، لكنني لاحظت ذلك بعناية ورأيت أنه من المحتمل هناك، بدلًا من القلعة الرابعة في إسبانيا ـ حيث أكون ـ والتي من دون شك، مهما كانت المسافة بعيدة، ستقع مثل الثلاثة الآخرين، بدلًا من أربعة، أقول، لقد تعاونت في الرغبة في أن أبني، بلا شك بالفعل 56. أسأل عما إذا كان هذا هو سلوك امرأة حكيمة، امرأة ذكية وامرأة، أخيرًا فقط من خلال الروابط التي تجمعني بها، يجب أن تخفِّف عذابي بدلًا من زيادته. لكنك أخبرتِني

أنها تشعر بالإهانة. في البداية أنكرت ذلك. لقد تعرَّضتْ للإهانة فقط لأنها أرادت ذلك، ولا يجب أن تلوم سوى عبقريتها، أي شيء يمكن أن تعتبره إهانة شخصية موجَّهة إليها. لكن لنفترض أن ذلك كان قد حدث في الواقع: هل يجب أن تنتقم؟ هل يجب على المرأة التقية، التي تتطلَّع ظاهريًا إلى الوفاء بالجزء الطقسي الكامل من دينها جيدًا، أن تحتقر العقائد الأولى والأكثر أهمية من أية عقائد؟

ومع ذلك، فلنمنحها الانتقام أيضًا، أريده: حسنًا! بمثل هذا السجن الطويل، ومثل هذا السجن الصعب، ألم تنتقم منه بما فيه الكفاية؟ هل تحتاج إلى زيادة؟ أوه! لستِ هناك، كما تضيفين. كان كل هذا ضروريًا. هذا ما يجعلنا نفوز. ـ نفوز! هناك، بحسن نية، بافتراض أنني سأخرج غدًا، هل تجرؤين على القول إنني فزت، دون خوف من أن أتهمك بوقاحة غاضبة؟ الفوز! ضع شخصًا ما في السجن لمدة أربع أو خمس سنوات بسبب لعبة فتيات يلعبها ثمانون مثلهن كل يوم في باريس! ثم تعالي وأخبريه أنه سعيد للغاية بأنه يقضي خمس سنوات في السجن وأننا إذا كنا قد أزعجناه كما فعلنا، فذلك من أجل الفوز! لا، أنا أتخلَّى عن هذه الفكرة، لأنها تثير غضبي كثيرًا، وأنا متأكد من أنك لن تتحلَّي أبدًا بالشجاعة لتقنعيني بها.

دعينا نرجع بخطواتنا للحظة ونتناول كلمة لعبة الفتيات البسيطة التي أراها من هنا تخيف أولئك الذين يشعرون بالأسف لأنهم لا يستطيعون إقناعي بكل الافتراءات التي يقرُّونها ضدي. تتقلص كل مغامراتي إلى ثلاثة. أنا لا أتحدَّث عن الأولى: إنها تخص كليًّا السيدة الرئيسة مونتروي، تلك، وإذا كان ينبغي معاقبة أي شخص على ذلك، فلتكن هي؛ لكن في فرنسا من يملك عائدًا مقداره مائة ألف فرنك في السنة لا يعاقَب ويوضع

تحته ضحايا صغارٌ يمكن تكريسهم لشرِّه، هؤلاء الوحوش الذين يكسبون عيشهم من دماء البؤساء.

نسألهم عن ضحاياهم الصغار، يتخلون عنهم، ويتبرؤون منهم. لهذا أنا في السجن. المغامرة الثانية هي مغامرة مرسيليا: أعتقد أنه من غير المجدي الحديث عنها أيضًا. أعتقد أنه لوحظ جيدًا أنه لم يكن هناك سوى التحرُّر وأن كل ما حكم علي به هو إدراجي كمجرم لاسترضاء انتقام أعدائي بروفانس وجشع المستشار الذي كان يريد تحمُّلي مسئولية ابنه، لقد كان اختراعًا خالصًا. إذًا، هذه المغامرة، أعتقد أنها قد دُمِّرت بالفعل بسبب احتجاز فينسين ونفي مرسيليا.

فلننتقل إلى الثالثة. أرجو العفو منك مقدمًا عن المفردات التي سأضطر لاستخدامها؛ سأخفِّفها قدر المستطاع عن طريق اختصارها. علاوة على ذلك، بين الزوج والزوجة، يمكننا، عندما تتطلب الحالة ذلك، أن نعبر عن أنفسنا بحرية أكبر قليلًا من التعبير عن أنفسنا مع الغرباء أو الأصدقاء البسطاء. أستميحك أيضًا العفو عن الاعتراف، لكنني أفضل أن تفكِّري في أنني فاسق وليس مجرمًا. ها [هو] خطئي بوضوح ودون أن أخفي ذرة منه.

عندما رأيت نفسي أقضي وقتًا وحيدًا في قصر منعزل للغاية، دائمًا تقريبًا بدونك، ولدي عيب بسيط (يجب الاعتراف به) وهو حبي للنساء أكثر من اللازم، توجَّهت في ليون إلى ق...[1] وهي حاملة للقب تمامًا. فقلت لها: أريد أن أصطحب ثلاث أو أربع خادمات إلى منزلي. أريدهن شابات وجميلات. قدمتهن إليَّ من هذا القبيل. هذه الـق، التي كانت نانون، لأن

---

(1) تعهد في الرسالة بالاختصار فكتب حرف m اختصارًا لكلمة maquerelle قوادة.

هذه النانون كانت ق... في ليون حاملة للقب ـ سأثبت ذلك عند الضرورة ـ جهزت لي هؤلاء الفتيات وأعطتني إياهن. واصطحبتهن، واستخدمتهن. بعد ستة أشهر، يأتي آباء ليطلبوا هؤلاء الفتيات مرة أخرى، ويؤكدون أنهن أولادهن. أرجعتهن. وفجأة وجدت قضية اختطاف واغتصاب ضدي! لكن هذا هو أعظم المظالم. القاعدة في ذلك، ها هي، حصلت عليها من السيد «سارتين»؛ لقد كان لطيفًا بما يكفي ليشرح لي الأمر بنفسه يومًا ما، يمكنه تذكر ذلك:

يحظر صراحة في فرنسا على أي «ق» أن تقدِّم بنات عذراوات، وإذا كانت الفتاة التي قدِّمت لك عذراء وهي تشكو، فليس للرجل أن يلومه أحد، إنها الـ ق، التي ينبغي أن تعاقب بصرامة على الفور. لكن الرجل حتى لو طلب ذلك، فليس هو من يعاقب؛ إنه يفعل ما يفعله كل الرجال. وهناك ضربة أخرى، فإن الـ ق هي التي قدمتها له والتي تعرف جيدًا أنه ممنوع صراحةً القيام بذلك.

لذلك، في هذا الإقرار الأول الذي صدر ضدي، في ليون، عن الاختطاف والاغتصاب، لم يكن هناك أي شيء مشروع؛ أنا لست مذنبًا بأي شيء. إنها ق التي توجهت إليها التي يجب أن تعاقب، وليس أنا. لكن لم يكن هناك شيء يمكن كسبه من ق، وكان الآباء يأملون في ابتزاز المال مني. لننتقل. لقد خُضت في الأصل مغامرة في «أركوي» كانت فيها امرأة، كذابة ومخادعة، من أجل كسب المال (الذي دفعته بحماقة)، انتشر في جميع أنحاء باريس أنني كنت أقوم ببعض التجارب وأن حديقة منزلي كانت عبارة عن مقبرة دفنت فيها الجثث التي استُخدمت في تجاربي. كان هذا الرأي مواتيًا للغاية. لقد أفاد في غضب أعدائي بالفعل حيث يثرثرون

بها في كل مكان فيما يتعلق بأي شيء قد يحدث لي. وبالتالي، في قضية مرسيليا، كانت أيضًا تجربة أردت أن أجريها، وفي هذه التجربة، بلا شك، كانت تجربة أخرى حول الفتيات اللاتي لن يظهرن مرة أخرى. لكن بينما لم يعاودن الظهور جميعًا في مدينة «ليون»، فقد عاودن الظهور جميعًا في العالم. دعونا ندرس الأمر. هؤلاء الفتيات من ليون كنَّ خمسة من حيث العدد، كما نعلم. واحدة، خشية الشعور بالوحدة حيث كانت محتجزة (ليس لأجري تجارب عليها، ولكن لأن الحشمة تتطلَّب مني القيام بذلك) تهرب وتذهب إلى عمي. نحن نعرف مصيرها. بقيت إحداهن معي في الخدمة علنًا وماتت هناك موتًا جميلًا، على مرأى ومسمع من المقاطعة بأكملها، وكانت معروفة جيدًا في القرية وتلقَى رعاية جيدة من مدير الصحة العامة.

وهذه أيضًا عُرف مصيرها. تم تسليم اثنتين إلى آبائهما وأمهاتهما. ها هو مصيرهما مرة أخرى معروف. أخيرًا، الخامسة، التي تهدد بصوت عالٍ بالهروب مثل رفيقتها والثرثرة إذا ظلت محتجزة في حالة عزلة هكذا ولم يعد لها أبوان يتصلان بها مرة أخرى، سلَّمتها إلى فلاح في لا كوست - الذي سأستشهد به عند الضرورة وتعرفينه جيدًا - لتعاد إلى الخدمة في مرسيليا مع أحد والدي هذا الفلاح، وبما أن كل الأدلة في متناول اليد، فأنا أعترف أنني سأجعل من نفسي ساحرًا كبيرًا لإظهارها حسب الحاجة. لذلك اصطحبت إلى هناك حيث أقامت، وتركت، وهي بمثابة شهادة جيدة أحضرت إليَّ، مستلقية هناك حيث أعرف جيدًا والتي ستظهر أيضًا عند الحاجة. لقد عرفت منذ ذلك الحين أن هذه المخلوقة قد تركت هذا

المنزل وأصبحت ع[1]. إليك بوضوح وجود خمس فتيات من ليون، وحتى أتمكَّن من تحدي أكثر الفقهاء القانونيين مهارة، أو بالأحرى أكثر الفقهاء القانونيين خداعًا، أن يثبت لي أي شيء عكس ذلك.

فلنتابع ثلاث فتيات أخريات، من الفئة العمرية والحالة اللتين لا يطلبهن فيهن والداهما مرة أخرى؛ عشن، إما قبل، أو بعد، أيضًا بضعة أسابيع، في قلعة لا كوست. دعينا نحكِ قصتهن، وليكن هذا اعترافًا عامًّا، لأن نيتي وأريد، إذا كان ذلك ممكنًا، تدمير هذه القصة بشكل موثوق، وكذلك تدمير أدنى شك في كل الفظائع التي أحبوا اختراعها ضدي والتي حثت مدام «دو مونتروي» على معاملتي كما تفعل، ومن خلال التسهيلات الشديدة التي أتاحت تصديق كل شيء، وبالأسلحة التي وفَّرتها لانتقامها.

أولى هؤلاء الفتيات الثلاث كانت تدعى «دو بلان»: كانت راقصة في مسرح «كوميدي مارسيليا». عاشت في القصر علانية وبدون تخفٍّ، تحت لقب مدبِّرة المنزل؛ كما تركته علانية. بعد أكثر من عام، وجدتها مرة أخرى في مسرح «كوميدي بوردو»، وما زالت موجودة في بلدة ريفية صغيرة أسماها لي «ليون» خلال رحلتي إلى «إيكس». لذلك لا تقلقي بشأن ذلك. والثانية جاءت من «مونبلييه». كان اسمها «روزيت». ظلت مختبئة لمدة شهرين في القلعة. لقد شعرت بالملل في نهاية هذه المدة، وأعلنت بأنها تريد المغادرة، واتفقنا معًا على أنها ستكتب إلى رجل تعرفه في مونبلييه، وأن هذا الرجل كان يعمل نجارًا، وأعتقد أنه مضيفها في بلدة مونبلييه المذكورة، سيأتي ويأخذها بنفسه عند أسفل جدران القلعة.

---

(1) عاهرة.

شُرح الوقت والمكان واليوم والموعد وكل شيء. في الوقت المحدد وصل الرجل. وسلمت الفتاة بنفسي ليد الرجل المذكور. المدعوة «ماري» (إحدى فتيات مدينة ليون التي بقيت في خدمتي) وهي تحمل طردها الذي سُلِّم أيضًا للرجل، الذي أحضر بغلًا، وضع فوقه الفتاة والطرد، واستلم مني ستة لويسات توسلت إليَّ الفتاة لأعطيها له ـ المال الذي ربحته في منزلي ـ وذهب الجميع. حدث هذا في يونيو 1775. في أكتوبر 1776، كنت، كما تعلمين، أمضيت أسبوعين في مونبلييه وأعدت الفتاة الثالثة التي سنتحدث عنها.

من المؤكد أن المدعوة «روزيت» كانت موجودة في مونبلييه في ذلك الوقت، لدرجة أنني رأيتها هناك، رأوها هناك على أي حال، أو، بصراحة، بالمعنى الكامل للكلمة؛ وكانت هي التي رتبت اللقاء مع هذه الثالثة، التي تدعى «أديلايد»، لتأتي وتفعل كما فعلت، وأكدت ذلك أمام امرأتين أو ثلاث، اللاتي ربما لن يصبن جميعًا بالارتباك وأنا أتحدث، وأكدت لها، كما يقال، أن ذلك سيكون مناسبًا فقط، في العزلة القريبة، للإشادة بجميع أساليبي. فقط بناءً على التزكية، التي كنت مدينًا بها للأخريات اللاتي، وهن لا يعرفنني، ما كن ليأتين بدون ذلك بالطبع.

وهكذا تصل «أديلايد» وتبقى حتى الفضيحة الثالثة لمدام دو مونتروي، عندما أعادها مدير مكتب البريد في «كورتيزون» بشكل موثوق للغاية. هنا مرة أخرى هو مصير هذه الثالثة الواضح جيدًا.

عاشت فتاتان أو ثلاث فتيات أخريات، كطاهيات وخادمات مطبخ، من بينهن من أُحضرن من باريس، في مناسبات مختلفة، في أثناء غيابي، في قلعة لا كوست؛ لكنهن أقمن هناك قليلًا جدًّا وبكثير من المصداقية،

مجيئهن وذاهبهن سيان، لدرجة أنني لا أعتقد أنه من الضروري التحدُّث عنهن. من هذا العدد كانت أيضًا ابنة أخت هذه الـ ق. «نانون» التي تحدثنا عنه للتو والتي أشرنا إليها في الدير. لقد سحبتها مدام دو مونتروي؛ حتى تعرف ما حل بها. هذا هو كل شيء. هذا هو اعترافي العام، وكما سأدلي به أمام الله لو كنت على وشك الموت.

لكن بمَ نخلص من كل هذا؟ إن السيد دو ساد، المتهم بلا شك بالفظائع ولذلك ظلَّ محتجَزًا لفترة طويلة في السجن، لديه كل ما يبرِّر الخوف منه ولأنه سيظهر قريبًا، ولأنه قد عانى بالفعل من ضعف ما حيك ضده، من افتراءات خبيثة للحكومة، ليس مذنبًا بالمحاكمات أو التجارب أو جرائم القتل في هذه القصة الأخيرة أكثر مما هو عليه في جميع القصص الأخرى، أن السيد دو ساد فعل كل ما يفعله الكون. لقد قابل فتيات، أو جميعهن فاسدات بالفعل، أو قدمتهن الـ ق، وبعد ذلك لم يعد الإغراء يعنيه، ومع ذلك يُعاقب دو ساد ويعاني كما لو كان مذنبًا بارتكاب أحلك الجرائم.

دعونا الآن نرَ الأدلة التي نقابله بها: 1 ـ اعترافات الـ ق. المذنبة: لكن الأسباب الشخصية التي كان عليها أن تدافع بها عن نفسها لم تكن قوية بما يكفي لإعطاء انطباع بأنها، قدر استطاعتها، قد قدَّمت الشخص الذي تعتقد أنه متواطئ معها؟ 2 ـ عدم وجود البنات: سأسلِّم رأسي وأفقده بلا ندم إذا ثبت ذلك علي.

3 ـ عظام الموتى التي عُثر عليها في حديقة: أحضرتها إحدى الفتيات التي تدعى «دو بلان»؛ إنها على قيد الحياة، يمكن أن نحقِّق معها: لقد صُنعت خدعة سواء جيدة أو سيئة (أقدمها لك) لتزيين المكتب؛ لقد وظفوا بشكل أصلي في هذا وإيداعهم في هذه الحديقة عندما انتهت

الخدعة، أو بالأحرى الابتذال. دعونا نحسب ونقارن ما وجد مع المجموعة التي حصلت عليها من يد «دو بلان» فيما يتعلق بالعدد والنوع التي أحضرتهما بنفسها من مرسيليا: سنرى ما إذا كنا قد وجدنا واحدًا منهم. ومع ذلك، فإن كل هذه التحققات والمواجهات ضرورية في قصة من هذا النوع: هل تحملنا عناء التحقّق من واحدة فقط؟ لا! في الحقيقة لم تكن هذه هي الحقيقة التي كنا نرغب فيها: الحقيقة هي أن أودع السجن، وها أنا ذا. لكنَّني قد أخرج منه يومًا ما، ومن خلال الخروج، قد يحقق لي ما يكفي من العدالة لأتخيَّل أنني سأكون قادرًا على الدفاع عن نفسي وإدانة أولئك الذين يعاملونني بهذه الطريقة؛ أو على الأقل إذا لم أستطع فعل ذلك بسبب أموالهم وحمايتهم، على الأقل، كما أقول، أغطيهم علنًا بالخجل والعار والارتباك.

فلنقتفِ الأثر. لا أريد أن أترك شيئًا وراءنا، فما الذي سيُضاف إلى كلّ هذه الأدلة؟ شهادة الطفل؟ لكن هذا الطفل كان خادمًا، فلا يمكن تصديقه كطفلٍ وخادم. إلى جانب ذلك، هناك منفعة أخرى واضحة هنا: كان هذا الطفل يعتمد على أمٍّ جشعة للغاية، كانت تعتقد أنه من خلال جعله يتحدث عن آلاف الأشياء المرعبة، فإنها ستحصل على راتب سنوي مؤمَّن عليه؛ كانت تعرف بأمر المائة لويسة من «أركوي». لكن، ربما يعترضون علي، كيف تعرف أن شهادة هذا الطفل قد تكون ضدك؟ إذًا لقد رأى، ومن ثم يعرف، لذلك تخشى اعترافه؟ ها هنا كنت أنتظرك، وهذا بالضبط ما ينمِّي عقدة العار الكاملة. بادئ ذي بدء، من يجب أن يخشاه، مع العلم أنه سيعود لسؤاله مرة أخرى بنفس الطريقة ومن قبل أشخاص من نفس النوع مثل أولئك الذين استقلوا القطار بالفعل إلى ليون؟ السبب الأول بالنسبة إليَّ

هو الخوف بعنف من أنه سيختلق القصص، على غرار هؤلاء ومن خلال نفس الآراء.

لكن هذا ليس كل شيء، وهنا ما كنت أعرفه والذي قيل لي في رحلتي إلى بروفانس، من قبل شخص بدا فظًّا للغاية لدرجة أنه لا يمكن الاشتباه في اختلاقه. أعدك بشرفي بعدم المساومة عليه وبالتأكيد لن أسميه. لكنني أقول لها أيضًا، إن هذا السر لن يدوم إلى الأبد. إذا مات عند خروجي، لم أعد ملتزمًا، وسأسميه؛ إذا كان موجودًا [يمكنني] أن أستجيب تقريبًا للتحرر من السرية، وعندها ستعرفين من هو. سأضع كلماته على لسانه لأجعلهم يشعرون بتحسن: «لديك كل ما تخشاه ـ قال لي ـ يا سيدي، حتى قضية إيكس الخاصة بك التي انتهت. الطفل الذي يعمل لديك كسكرتير عام 1775، عند مغادرة القلعة، كان قد أودع مع والدته في المنازل، في إيكس، صار تحت تصرُّف النائب العام، وهناك، يمكنني أيضًا أن أؤكد لك بشكل إيجابي كما لو كنت قد سمعت ذلك، لقد جعلنا لكليهما لسانًا. السيد دي كاستيلون خوفًا، حيث قضيتك التي انتهت، من أن تهاجم ابن عمه، السيد «دو ميند»، الذي اتخذ هذا الإجراء الجائر ضدك في مارسيليا، مطمئنًا قليلًا من كل ما قيل له حول ذلك في باريس، لم يكن قادرًا على تخمين أو معرفة نواياك ونجد أن السيد «دو ميند» قد قال إنه سيضيع إذا هاجمته مُكيلًا له الاتهامات، كان سعيدًا جدًّا بأن يحتاط منك؛ وأملينا قطعة من الرعب على الأم والطفل، وأعطيناهما المال، وقالوا وكتبوا ما نريد. ثم، إم. دو كاستيلون، ليعطي نفسه روحَ رجل، بعيدًا عن البحث عن الجروح والصدمات، طلب منك فقط التأجيل، وأبلغ حماتك، وقد عملا معًا على ترحيل الأم والطفل إلى باريس، وكلاهما حصل على أجرٍ جيد،

يملأهما الأمل في المستقبل وكلاهما مندهش للغاية، ومن المحتمل أنهما دعما نفس الأشياء في باريس التي غُرست في «إيكس». هذا ما قيل لي، أعدك بشرفي، والتي قالها شخص على دراية بالتأكيد. أي شيء يمكن أن يحدث، أعترض على الحصول على إذن منه لتسميته يومًا ما، وسترى ما إذا كنت سألزم نفسي بذلك.

لذلك هناك من هو ضدي، في مثل هذه القضية الجوهرية، الـق... في خدمتي وطفل، وأيضًا في خدمتي ق... لها مصلحة أكبر وهي تبرئة ساحتها على حسابي وأن ينتصر طفل بشكل واضح بسبب أعظم أعدائي. تأمل بسيط هنا، متحررًا من كل تأكيداتي، أتوسَّل إليك: ألم يكن لديك أدلة، أوضح من اليوم، حيث يعمل الناس بشكل رائع على تدميري، في «إيكس»؛ عندما يراد ذلك؟ بما أن لديك أدلة أكثر وضوحًا على ذلك من اليوم السابق، في الحالة الأولى في مدينة «إيكس» هذه، فلماذا تريدين رفض تلك التي قد تكون موجودة في الثانية؟

ستوافقين على أن هذا الافتراض قويٌّ جدًّا وفي صالحي. أخبريني، هل ستذهبين طواعية إلى الغابة حيث سُرق كيس نقودك أول مرة؟ وإذا سرقتِ مرة ثانية، ألن يكون مسموحًا لك أن تصدقي أن هؤلاء هم نفس اللصوص؟ كان هذا وحده كافيًا بالنسبة إلي، لو كنت مكان مدام مونتروي؛ لرفضت أي تنديدات ضد زوج ابنتي القادم من تلك المدينة.

فلنكمل. لا يزال هناك شيء متبقٍّ، وأريد حل كل شيء. لقد عُثر ضدي على ثلاثة أشياء أو قد يُعثر عليها في محفظتي. دعونا نفسر الثلاثة.

كانت إحداها عبارة عن وصفة لإنقاذ امرأة حامل من خطيئتها حيث

تريد التخلُّص من ثمرتها. إنه لخطأ مني ومن الحماقة، بلا شك، أن أحتفظ بمثل هذا الشيء، وأنا موافق. أنا بالتأكيد لم أستخدمه مطلقًا، ولم أحتفظ به بنية استخدامه على الإطلاق. لقد أتيحت لي الفرصة لأرى في حياتي اثنين أو ثلاث نساء أو فتيات - لا أستطيع التفسير - لديهن أسبابٌ قوية لإخفاء نتيجة سلوكهم السيئ مع عشاقهن [و] كنَّ مجبرات على ارتكاب مثل هذه الجريمة. لقد اعترفن بذلك لي وأخبرنني، في الوقت نفسه، عن الوسائل الخطيرة جدًّا التي يستخدمها فنانون معهن حيث بدا لي أنهن يخاطرن بحياتهن. سمعت بهذه الطريقة في إيطاليا، التي وجدوها في محفظتي، ووجدتها لطيفة للغاية وبدون أي خطر، مما دفعني الفضول إلى نسخها. أعتقد أنه في نظر أي رجل عاقل، لا يوجد في ذلك فضيحة، ولا يوجد فتى مذبح لا يعرف أن نبات العرعر السام له نفس التأثير.

الورقة الثانية كانت نتيجة نقاش مع دكتور روما الصغير. ادعى أن القدماء سمموا شفرات الأسلحة بالطريقة التي أملاها عليَّ. بينما أيدت العكس، وأكدت له أنني اعتقدت أنني قد قرأت في مكان ما عملية مختلفة تمامًا. كان الأمر يتعلَّق بالأسلحة السامة القديمة التي رأيناها معًا في ترسانة قلعة «سان أنج». نظرًا لأنني أردت أن أكتب ملاحظة بحثية حول هذا في وصفي لروما، فقد قمت بتدوين رأيه، واعدًا إياه بإرسال رأيي بمجرد أن أجده، ثم في بحثي، أتخذ قرارًا بشأن أيهما أرجح. لقد وجدت هذا الرأي المخالف لرأيه، وهذا في أحد الكتب التي أرسلتِها إلي، المجلد الرابع من تاريخ الكلتيين. كان من عشب يسمى لينفيوم، ووفقًا لما ذكره بليني وأولو جيل، فهو عشب الخربق؛ حيث دعك به القدماء شفرات الأسلحة التي أرادوا تسميمها. لذلك اتخذت قراري على هذا الرأي، معترضًا على الرأي

الذي طرحه علي. وهذه هي مادة ما وجد في هذا الصدد. هل ما زال هناك أدنى خطيئة؟

لكن ها نحن في الأهم: مداولات كاملة تتعلق بأمور مشابهة جدًّا لتلك التي اتُّهمت بها. نعم، هذا دليل رهيب، لكن يمكننا القول إن هذه هي قصة قداس العقعق؛ أنت تعرفين ذلك، لا شك؟

حسنًا، وغير هذا، قداس كالا، والعديد من القدسات الأخرى المشابهة، تعلمين بها، أيها الشخص الذي يحبس بخفة، أنه لا يجب عليك أبدًا الحكم من خلال المظاهر ومعاقبة الأشخاص دون سماعهم، في بلدٍ يؤمن خاصة بقوانينه وحكومته الاستثناء من المضايقات والاستقصاءات التعسفية؛ أنه لا يوجد، باختصار، مواطن واحد يحق لك حبسه دون سماعه، أو على الأقل، بعد ذلك، ينتقم بأي شكل من الأشكال يستطيعه، طالما أنه يعاقبك على ذلك. نعم، مهما كنت، فلتشعر جيدًا بهذه الفكرة، واستمع إلى ما يجب أن أقوله حول هذا المستند المهم جدًّا.

هذا المستند هو اعتراف بأخطاء رجل تعس، مثلي، كان يطلب اللجوء إلى إيطاليا. لم يكن يفكر في العودة. ويرى أنه على استعداد لعبور جبال الألب مرة أخرى؛ أعطاني استشارته بيده، متوسلًا إليَّ أن أظهرها في فرنسا وأرسل له الجواب. لقد وعدته. بعد يومين، جاء ليطلب مني أن أعيد إليه الورقة بخطه التي، كما قال، أصبحت حجة ضده؛ أراد نسخها، لكنه لم يجد أي شخص يكتبها بالفرنسية هناك. لقد قمت بنسخ كل شيء بيدي، فقط فكرت في متعة الالتزام له وعدم التفكير في المصير الذي قد يكون لهذه الورقة.

ها هي حقيقة أخرى وأعد بشرفي إنني سأعطيها ببراهين أكثر موثوقية عند الضرورة.

إذًا ها هي كل أخطائي المزعومة، هذا ما أعترض به عليها وما سأثبته، أقسم، بالبراهين والوسائل التي تثبت صحة هذه الأدلة ما سيجعل من المستحيل تمامًا رفض هذه الأدلة لوضوحها. لذلك فأنا مذنب فقط بسبب التحرر البسيط والمحض، وكما يمارسه جميع الرجال، أكثر أو أقل بسبب مزاجهم أو ميلهم نحوه أكثر أو أقل مما قد تلقوه من الطبيعة. كل له أخطاؤه. لا ينبغي مقارنة أي شيء: ربما لن يستفيد جلاديَّ من المقارنة.

كل شخص لديه أخطاؤه ـ دعونا لا نقارن أي شيء، قد لا يفوز جلاديَّ بالمقارنة. نعم أنا فاسق، أعترف بذلك، لقد تخيلت كل شيء يمكن أن تتخيليه في هذا النوع، لكنني بالتأكيد لم أفعل كل شيء تخيلتِه ولن أفعله بالتأكيد أبدًا. أنا فاسق، لكنني لست مجرمًا ولا قاتلًا، وبما أنني مجبر على وضع اعتذاري بجانب الدفاع عن نفسي، فسأقول: ربما يكون من المحتمل جدًّا أن أولئك الذين يدينونني ظلمًا، هم مثلي، لم يستطيعوا موازنة عيوبهم، من خلال أعمال صالحة ذات قيمة كتلك التي يمكنني أن أقابلها بأخطائي.

أنا فاسق، لكن هناك ثلاث عائلات مقيمة في منطقتك عاشت خمس سنوات من إحساني، وقد أنقذتهم من آخر درجات الفقر المدقع. أنا فاسق، لكنني أنقذت جنديًّا فارًّا من الموت، تخلَّى عنه كل فوجه وقائده. أنا فاسق لكن في نظر كل عائلتك، في «إيفري»، أنقذت، مخاطرًا بحياتي، طفلًا كان سيُسحق تحت عجلات عربة تجرها الخيول وذلك عندما اندفعت إليه بنفسي. أنا فاسق، لكنني لم أُعرِّض صحة زوجتي للتهلكة. ليس لديَّ كل

أشكال التحرر الأخرى التي غالبًا ما تكون مهلكة لثروات الأولاد: هل دمرتهم بالمقامرة أو بالنفقات الأخرى التي كان من الممكن أن تحرمهم أو حتى تضر بميراثهم في يوم من الأيام؟ هل أسأت إدارة الممتلكات الخاصة بي عندما كان ذلك متاحًا لي؟ باختصار، هل صدر مني في شبابي ما ينمُّ عن قلب قادر على السواد الذي نفترض أنه عليه اليوم؟ ألم أحب دائمًا كل ما يجب أن أحبه وكل ما يجب أن يكون عزيزًا علي، ألم أحب والدي؟ (للأسف، ما زلت أبكيه كل يوم) هل تصرفت بشكل سيئ مع والدتي؟ ألم يكن ذلك عندما أتيت لأتبصر زفراتها الأخيرة وأعطيها آخر علامة على تعلقي بها، سحبتني رسالتك إلى هذا السجن الرهيب حيث تركتِني أعاني منذ أربع سنوات؟ باختصار، لقد خضعت للاختبار منذ طفولتي الأولى. لديك شخصان بجوارك ممن تتبعوها، «أمبليه» والسيدة «سان جيرمان». من طفولتي تلك إلى شبابي، والذي ربما يكون قد عاينه الماركيز «دو بويان» حيث قضيته تحت عينيه، نذهب إلى عمر الزواج، والذي نراه، نستشير، ونستفسر عما إذا كنت قدمت أدلة على الضراوة التي يفترض أن أكونها وما إذا كانت بعض الأفعال السيئة بمثابة إعلانات للجرائم التي يُزعم أنني أرتكبها: يجب أن يكون هناك؛ كما تعلمين، درجات للجريمة. كيف أفترض إذًا أنني، منذ طفولتي وشبابي البريئين وصلت تمامًا إلى ذروة الرعب الخطير: لا، أنت لا تصدقين ذلك. وأنت يا من تستبدين بي بقسوة شديدة اليوم، فأنت لا تصدقين ذلك أيضًا: انتقامك قد أغوى عقلك، لكنك استسلمتِ له بشكل أعمى، لكن قلبك يعرف قلبي، ويحكم عليه بشكل أفضل، وهو يعرف جيدًا أنه بريء.

سأستمتع بسحر رؤيتك توافقين عليه يومًا ما، لكن الاعتراف لن

يخلصني من عذابي، ولن أعاني أقل مما أعاني... باختصار، أريد أن أغتسل من ذنوبي، وسأكون كذلك في أي وقت أخرج من هنا، إذا كنت قاتلًا، فسوف أكون قد مكثت بما فيه الكفاية، وإذا لم أكن ـ فسوف أكون قد عوقبت على نحو مُجحف وسيكون من حقي أن أسأل عن السبب.

هذه رسالة طويلة جدًّا، أليس كذلك؟ لكنها حتمية بالنسبة إلي، ولقد وعدت نفسي بالثورة على سنوات المعاناة الأربع التي مررت بها، لكنها انقضت؛ ها هي ذي، إنها مكتوبة وكأنها مقال الموت، حتى إذا فاجأني ذلك دون أن أنال عزاء أن أضمك بين ذراعيَّ مرة أخرى، يمكنني أن أحيلك، وأنا أحتضر، إلى المشاعر التي أعربت عنها في هذه الرسالة، وكأنها المشاعر الأخيرة التي يتوجَّه بها قلب غيور لينتزع على الأقل تقديرك في القبر. سوف تغفرين اضطرابها، فهي ليست معمَّقة ولا روحية، يجب أن تري فيها الطبيعة والحقيقة فقط. سأمحو بعض الأسماء التي وضعت في البداية، من أجل أن تصل إليك وأرجو أن تسلَّم إليك. لا أطلب منك أن تردي علي بالتفصيل ولكن فقط أن تخبريني أنك تلقيت رسالتي الطويلة، هذا هو الاسم الذي أطلقه عليها ـ نعم هذا هو الاسم الذي سوف أطلقه عليها ـ وعندما أحيلك إلى المشاعر التي تحتويها، حينئذ ستعيدين قراءتها. هل تسمعيني يا صديقتي العزيزة؟ سوف تقرئينها مرة أخرى وسترين أن من يحبك إلى التابوت أراد أن يوقعها بدمه.

دو ساد.

الـ 20 فبراير.

[رسالة مرفقة]

لا أكتب في كثير من الأحيان رسائل طويلة مثل هذه الرسالة، وليس ضروريًّا أيضًا للدفاع عن نفسي؛ وهذا بالتأكيد لن يحدث لي مرة أخرى. وبالتالي، فإنني أتوسل إلى أولئك الذين ستمرِّرها أيديهم أن يكونوا صالحين بما يكفي ليحملوها بدقة إلى زوجتي. آمل أن يفعلوا ذلك وأنهم لن يسمحوا لي بالاعتقاد بأنهم يحجبون الرسائل ذات الأهمية مثل هذا الرسالة، باختصار، الرسائل، التي أدافع عن نفسي؛ لأنهم إذا أوقفوها ومنعوها من السير في مسارها، فسيوافقون على أنه سيكون مخولًا لي بالشكوى يومًا ما بشكل أصيل حول هذه العملية والكشف عنها، مع إظهار ما لهم من مصلحة واضحة، بلا شك، في اعتقالي، لأنهم عارضوا كل الوسائل التي كان عليَّ أن أدافع بها عن نفسي سعيًا إلى تقصيره.

إلى مدام دو ساد

(فينسين، 21 مايو 1781)

لا يوجد شيء ممتع مثل تدبيرك الصغير تمامًا، لكنك تكشفين فيه عن الكثير من الشر: هذا كل ما أجده فيه. بدون ذلك، سيكون لذيذًا. فلنفحصه. أنت (أو من معك) أردتِ أن تصنعي تدبيرًا من شأنه أن يلين أو يضع حدًّا لأحزاني؛ لكنك لست متأكدة من نتيجة هذا التدبير. يمكن أن يكون جيدًا، ويمكن أن يكون سيئًا: حسنًا، لماذا تخبريني عن ذلك؟ كان عليك أن تتركيني كما كنت، فلتنطلق تدابيرك. ـ هل أُنجز التدبير الخاص بك؟ لقد أحطتيني علمًا بالعملية وكذلك النجاح. هل فشلت؟ فأنا ما زلت كما كنت. إليكِ الأمر، إذا كان كل ما تقولين إنك فعلته صحيحًا، وهو ما تمليه الفطرة السليمة وفي مثل هذه الحالة، هذا بالتأكيد ما كنت ستفعلينه. المناورات التي تتعارض مع هذا تكشف بشكل إيجابي عن الخداع والمداورة وأن كل هذا مجرد شحم لطيف وجيد وهو ما خمَّنته لحسن الحظ من أول مرة. أرسلت إليكِ هذا في 3 أو 4 أبريل، ولم يتغير الأمر كثيرًا منذ ذلك الحين. ومع ذلك، كانت زيارة السيد «نوار» لإحداث هذا التأثير. هو قاضٍ لديك أسباب للاعتقاد بأنه محترم ويأتي ليخبرك: مصائبك انتهت، كفرت عن أخطائك، يبدو أنه يجب تصديق كلامه. لقد خدعني.

حسنا ماذا عنه؟ لقد حط من قدر نفسه أكثر مني، لأنه من المخادع إلى الوغد الاختلاف كبير جدًّا وبالتأكيد ليس لصالح المخادع.

ومع ذلك، هناك شيء ثابت للغاية في كل هذا يمكن تلخيصه. القضاة وأولياء الأمور ورجال الأعمال والأصدقاء والخادمون أو القائد (الأمر نفسه)، يوافقون جميعًا في النهاية على التحدُّث بنفس اللهجة؛ لا يوجد سوى وتر واحد للآلة؛ لقد لمسه الجميع على قدم المساواة. البعض (من بين أولئك الذين يسلط عليهم الضوء أتحدث)، مثل أصحاب المراكز الكبيرة الأوغاد والآخرون بمزيد من الفن، لكن الانسجام في كل شيء؛ الاتفاق هو نفسه: يجب أن نكذب عليه ونكذب عليه بأبشع وجه. ها هي النتيجة؛ لا تزال رسالة الكونت «دو لا تور» مفاجأة بالنسبة إلى القائد «مبولان»: نية الرئيسة مونتروي، التي حصلت من الوزير على إدارة كل ما يتعلق بـ«ساد»، هو أن نغشه من الصباح إلى المساء؛ نتيجة لذلك، ستواصل إخباره أن قضيته ستنتهي. لذلك من الواضح، وفق هذه التدابير القاتلة، أن خطة عقابي كانت ولا تزال لخداعي والسخرية مني لمدة عشر أو اثني عشر عامًا؛ إلى حدٍّ ما. الآن، جوابي على هذا هو أنه لا يكون ولا يمكن إلا أن يكون منافقًا، مخادعًا ووغد سيئ السمعة مثل السيد دو س.[1] الذي كان بإمكانه أن ينصح بهذا الرعب، أن هناك نذلًا واحدًا فقط مثله، قادر على التدمير إما بالسجن أو بطريقة أخرى أكثر من مائتي شخص بريء (وسأثبت ذلك يومًا ما)، من يمكن أن تأتي منه هذه النصيحة.

لم يكتف الوحش البغيض بضياعي منذ ميوعة صباي؛ لا يزال يريد أن يرى نهاية حياتي تشبه البداية وأن يتمكن حتى النهاية من تهنئة نفسه على أنه كان الجلاد، وهو الذي يستحق عذاب داميان[2]، لأنه، من خلال

(1) القائد العام للشرطة السيد سارتين.

(2) روبير فرانسوا داميان هو مواطن فرنسي حاول اغتيال لويس الخامس عشر، لكن قبض عليه وعذب عذابًا شديدًا ثم أعدم.

فعلته المعروفة جدًّا، فكر في الإطاحة بالدولة كلها، وأخيرًا، الذي دمرت حياته بالتعذيب بآلة الدولاب، معترف ببراءته، واعترف بأنه لا يمكن أن يكون مذنبًا، ومات وهو يقول: إنني أذكر عار المقرر الخاص بي في محكمة اللّٰه الذي سيحكم علي، ـ كلمات رائعة، ولو كنت مكان الملك، كنت سأقوم بنقشها على عربتي، إذا أخذ في خياله أن يمكنه أن يفعل ويميز نفسه عن أسلافه الذين كانوا سعداء جدًّا لكسب بضعة بنسات من خلال ضرب التعساء في سجون محاكم التفتيش بمدريد. ها هو اللوطي الذي أتعامل معه، الشخصية البغيضة التي لجأنا إليها التي كانت والدتك البغيضة أكثر سعادة باللجوء إليها لأنها كانت تعلم جيدًا أنه كان عدوي، وأنه قدم أدلة كافية على ذلك وأنه لن يعطيه سوى النصائح التي قد تتملق انتقامه.

أي عقاب لا يصحح أبدًا، يحمل من يقاسيه على التمرد، هو عار لا مبرر له يجعل أولئك الذين يفرضونه مذنبين في أعين البشرية والصالحين والعقل، ألف مرة أكثر من ذلك الذي ألحق به. هذه البديهية واضحة لدرجة لا يمكن دحضها. الآن، ماذا يمكنك أن تأملي؟ وكيف تجرؤين على الافتخار بنفسك للوصول إلى كل ما فعلتِه؛ دون أن تجعليني أفقد طابعي ومزاجي تمامًا وتجعليني مخادعًا وخبيثًا وخسيسًا مثلكم جميعًا؟ لأنه بعد كل شيء، سواء كانت المقارنة خاطئة أم لا، ستعترفين دائمًا بصحتها: ولكن ما يُفعل معي هو يقينًا ما يُفعل مع الكلاب لجعلها أكثر شراسة. أوه! سوف نُعيدك دائمًا بشكل جيد، متى نريد! كل ما علينا فعله هو التحدث معك عن الخروج، وهذا ما أردنا أن نراه بإرسالنا السيد» لو نوار»[1] إليك.

(1) القائد العام للشرطة خليفة سارتان.

لقد كنت لطيفًا كالخروف، لأنه أتى ليجمل لك الواقع. ـ هذا هو نظامك، أليس كذلك؟ حسنًا، ثق به! هذا كل ما يمكنني إخبارك به.

باختصار، هناك أمثلة على أخطائي، وليس هناك أحد في الكون تعرَّض لهذا النوع من التنكيد الذي استخدمتِه. إنه أمر جائر وغير قانوني من جميع النواحي، ولا يمكن أن يأمر به الملك أو محكمة ذات سيادة، وبالتالي سيترك لي كل الحق إما في التماس الانتقام، أو القيام به بنفسي، على غرارك، إذا أنكروا علي ذلك.

لست بحاجة إلى طلب مقابلة السيد «لو نوار». ما زلت أقدِّره بما يكفي كي لا أرهق ضميره بظلم آخر نحوي. في يوم من الأيام سوف يشكرني على ذلك. أما أنت فالأمر مختلف. لدي رغبة كبيرة في رؤيتك. منذ أن ذكرت ذلك، لا بدَّ أن لديك آلاف المرات للقبول أو الرفض. لذلك أحذرك من أنه إذا لم أرك قبل عطلة عيد العنصرة، سأكون مقتنعًا تمامًا أن هذه كلها مزحة، وأنني سأخرج، وسأقوم بترتيباتي وفقًا لذلك. لذا، انظري ماذا تريدين أن تجعليني أؤمن به حول هذا. تعالي أو سأرحل. واضح. السيد «لو نوار «لم يُغير ولم يتغير شيء ومنذ عشر سنوات، رُتب كل شيء، وأُحكم، والأيام أقرَّته، والأكاذيب حُددت، والنكات عُرفت، وكل هذا زاد قليلًا منذ ذلك الحين، بينما يشيخ وحش أمك العجوز ويتخلى عنها الجميع (من لم يكسب منها الكثير) وترى نفسها تنزل إلى القبر. يبدو أنها مثل الأفعى تريد أن تفرغ كل سمومها قبل أن تقضي. هيا، فلتسرعي، على الأقل، أيتها المخلوقة البغيضة، ينبغي أن تسممينا بكل ما يمكن أن يبقى من السم في أحشائك القبيحة. فلتسرع وتنهِ أنفاسها وتُحوّل روحها القبيحة إلى طين.

اعتقالي، كما تقولين، له أسوأ تأثير في بروفانس. آه! أنا مقتنع تمامًا

بذلك. لا تحتاجي لإخباري بذلك، إلا إذا كان ذلك لتسكبي بعض المسكن في دمي بهذا اللطف. حسنًا، بما أن الأمر كذلك، فكيف يمكن أن تضيِّع والدتك والد أحفادها بسعادة؟ وكيف يتوقع، ذلك الكائن، ألا أسميه وحشًا لا يليق بهذا اليوم؟

من ستقنعين الآن في بروفانس أن نفي مرسيليا لم يكن نفيًا من المقاطعة؟ لقد اتخذت الوسائل، نعم الوسائل لمنع أهل بروفانس من التحدث! أوه! ستكونين لطيفة إذا وجدت أيًا منهم: بالنسبة إلي، أقسم لك إن الأمر سيان فيما يتعلق بي؛ سريرتي هي نفسها دائمًا ولم تتغيَّر أبدًا مرة واحدة في الخارج، وسأكون عما قريب في مأمن من تفكير رفاقي المواطنين، لأنني سأكون بعيدًا عنهم قريبًا.

ليس لدي ما أضيفه إلى ما قلته لك عن الآنسة «روسيه». طالما جعلتني أمكث ثلاث سنوات، يمكنها أن تجعلني أمكث ثلاث سنوات أخرى، إذا كانت هذه هي فترتي، كما يبدو أن زيارة السيد «لو نوار» تثبت ذلك، الذي تعود أن يشير لي بالمناصفة عند رحيله. إنه يجعلني أصدق أنني هنا منذ قرون، وهذا لا يليق به؛ هذا كل ما يمكنني أن أقوله له. لا تأتي وتخبريني: لكن هذا خطأك إذا لم تخرج، فقد عرضنا عليك «مونتيليمار»، عليك فقط أن تذهب إليها... كانت «مونتيليمار» الخاصة بك مجرد حكاية؛ لم يكن لها أدنى أساس قط. ولإثبات ذلك لك، هو أنني أقبلها وأذهب، برفقة أو بدون، دون أدنى شرط. دعينا نرَ الآن ما ستقولينه عن ذلك، وما إذا كانت مجرد حكاية أم لا. بالنسبة إلى ما أقوله لك، ليس من أجل تحسسك، ولا من أجل رؤية ما سيكون عليه: إنها حقيقة ثابتة أنني أطلب منك مرة أخرى مونتيليمار، وأنني أفضل الذهاب إلى هناك، مهما كان الأمر سيئًا، على

البقاء في هذا المنزل البغيض هنا؛ حيث دفعني الحقراء والأشرار والأنذال إلى مثل هذا الشطط.

بما أنني أطرح هذا الموضوع، فسأقدم لك ثلاثة أمثلة طازجة. في ذلك اليوم، كنت أرغب في تناول القليل من لحم الضأن، وهو لحم الضأن الذي يقدم في هذا الموسم حتى على موائد الإسكافي. اضطررت لشرائه من نقودي! إيه! كيف ترين الشح؟ بالأمس، عندما سمعت صراخًا على البازلاء ولم يكن لدي ميزة رؤية بعضها، وطلبها؛ لقد أرسل لي الكثير من البازلاء المجفَّفة من العام الماضي، والتي أكلتها مؤخرًا وبنهم لأنني كنت أشتهيها كثيرًا. لقد أصبت بعسر الهضم حتى الموت مرتين خلال أربع وعشرين ساعة، بينما لو أعطوني الطازجة سهلة الهضم، فلن يفيدوني سوى الخير. هل يريدون شيئًا آخر أقوى؟ لقد مرت ثلاث سنوات منذ أن أُجبرت على شرب مياه الصهريج الراكدة التي تنبعث منها رائحة الشيطان، بينما توجد مياه بئر جارية ممتازة لدى السيد «روجمون»: ولكن هل يكلفهم شيئًا، هذا الماء، وأن إمداد السجين به سيقلل بضعة «إيكو» في السنة، من الأموال التي يسرقها هذا المتسول منهم. أخيرًا، هل تعتقدين أن خمس أو ست رسائل، الكثير من المحادثات، لا يمكنها أبدًا أن تُفهم هذا المخادع المميز المنطق التالي؟ الوجبات في المنزل العادي هي خمسة أطباق في اليوم، بما في ذلك الحساء، وخمسة أطباق لا يأكلها الشيطان، ودائمًا ما تكون بغيضة، بحيث يتبقى المزيد من الموظفين الذين يتعامل معهم الطباخ. أنا، أخبرتهم عن هذه الأطباق الخمسة، إنني أطلب منها اثنين فقط، لكن أرجو أن يكون هذان النوعان جيدين، وخصص لهما كل الأموال التي تخصصها للخمسة. هذا عادل، يبدو لي. إذا كانت

عائلتي تدفع ستة جنيهات في اليوم مقابل طعامي، فيمكنني أن أطالب بأن تذهب تلك الجنيهات الستة، مطروحًا منها الغسيل، إلى طبقين، لأنني آخذ طبقين فقط. إذا اعترضت على ذلك أيها القائد فهناك شيئان معًا: أو تزودني بطبقين فقط بنفس سوء الأطباق الخمسة. أنت تسرق مني الثلاثة التي لا آخذها، أو تتسامح مع طباخك الذي يتعاون مع الموظفين لسرقتهم مني؛ لا يوجد حل وسط في ذلك. حسنًا، هذا هو المنطق الذي لم يرد أن يفهمه السيد «روجمون». الطبقان سيئان مثل الخمسة، وتشهد على ذلك البازلاء حيث اعتقدت للتو إنني سأموت. أتوسل إليك أن تقدمي شكاوى قوية جدًّا حول هذا الأمر إلى السيد «لو نوار» من جانبي، إلا إذا لم تري أني على صواب في هذا الشأن.

سأكتب له بنفسي رسالة ستجعل هذا التعس الصغير المضحك «روجمون» يحمرَّ خجلًا، إذا بقي لديه أي حياء. يقينًا ستحددين لـ السيد «لو نوار» ألا أشرب نبيذًا، ولا أستخدم شمعة، وأقل من نصف كمية الأثاث عن الآخرين، لا غسيل، إلخ. أفهم ـ ولديَّ الحق في المطالبة ـ أنه عند شطب غسيل ثيابي حصرًا، لا يوجد ربح للسجان الخاص بي، استخدمت كل الأموال التي تنفق على طعامي في الطبقين الوحيدين اللذين أتناولهما، ومن ثم على الأقل، فليجعلهما صالحين للأكل. لأنه، مرة أخرى، هذا الجنين المجهض، هذا اللقيط الصغير، هذا الشرير القبيح، هذا الربع إنجليزي، هذا السيئ السمعة، يجب أن يعرف أخيرًا أنه ليس كل ذلك لإلقاء النكات لطلب القيام بها.

صحيح أن المضحك الصغير سيقول بلا شك: لكنك تجعلنا نلقي النكات؛ يجب أن تدفع لنا ثمنها جيدًا. لدي شيئان للإجابة على ذلك،

أولًا، إن الأمر متروك للرئيسة لدفع ثمن المقال لأنها هي التي تجعلهم يفعلون ذلك، وثانيًا أنصحها بدفع ثمنها بسيطًا، لأنها صُنعت بشكل سيئ. الأول، عندما يكون لديه مقلب ليفعله، يبدأ بالتحول إلى الجانب الآخر، لا يجرؤ على التحديق في وجهي وهو يلقيها، والآخر (هذا هو المفضل) عندما يأتي لإعطائي الحقنة الصغيرة التي قدمها له قائده في الصباح، دائمًا ما يعطي رفاقه دفعة كبيرة بمرفقه لإظهار أنه سيكذب، ويكذب بأمر، وبالتالي، يجب أن نتحدث مثله. الحمقى! يريدون أن يفرضوه عليَّ، أنا! واهتمت الرئيسة المسكينة بالأمر بنفسها على أمل النجاح في ذلك! ـ أوه! «روجمون» مختلف، إنه أكثر حساسية، وأفضل لعبًا. هو الوحيد، في الحقيقة، من القوات الذي يساوي ما لا يقل عن عشرين صولة في الأداء، ويمكن أن يصل إلى ثلاثين، وهي الأيام التي يأتي فيها يحفزه الطعام تقريبًا، حيث يغلف لسانه كريات الطعام التي تتدفق مرة أخرى في حلقه، وينطق بشكل سيئ: إيه لا، ماذا أقول! أنت لا تنصفني. تعتقد أن الكلمات تقال لتفهم، ليس على الإطلاق: يجب ألا تصدق كلمة مما يشرفني أن أقوله لك، لأن الكلمات ليس لها معنى. أوه لا، أقول... ثم يأخذه الفواق، ويبقى هناك. أعترف أنه يجب أن أكون صبورًا وأن أتذكر وضعي، لا أن أطرد ذلك الشخص المضحك من غرفتي بركلات في المعدة. لكن سأقوم بالأمر، أعده بذلك.

على أي حال، أخيرًا، سيسمح لي أن أختم ببديهية تمليها الفطرة السليمة: إنها لا تخص الرذيلة، ولا أكثر أنواع الرعب التي تتميز بها الرذيلة هو الرغبة في الإصلاح وليس معاقبة الرذيلة؛ إن عملها الوحيد هو الفضيلة وأنقى فضيلة.

إنها لا تخص الرئيسة مونتروي، ابنة العم وابنة الأخت والقريبة والابنة بالمعمودية وعرابة كل إفلاس قبيح في «كاديكس» وباريس، ولا الرئيسة مونتروي، ابنة أخت المارق الذي طرد من الخدمة من قبل السيد «دو شوازول» بسبب سرقته وإصابته بارتجاج في المخ، ولا الرئيسة مونتروي التي لديها في عائلة زوجها جد شنق في ميدان «دو جريف»، ولا الرئيسة مونتروي التي منحت زوجها سبعة أو ثمانية من الأوغاد والذي جعل جميع بناته قوادات؛ ولا الرغبة في التضييق على العيوب المزاجية أو عقابها أو قمعها فالمرء لا يتحكَّم فيها والتي لم تظلم أحدًا أبدًا، ولا الدون سارتين، الذي وجد ذات صباح جميل في باريس دون معرفة من أين أتى أو من أين وصل، تقريبًا مثل تلك الفطريات السامة التي بمجرد أن نجدها حتى تفقس فجأة في زاوية خشب، ولا الدون سارتين نوس الذي اكتشفنا، في النهاية، أنه من الجانب الأيسر للقس باري توركويمادا. ومن يهودية أغراها المذكور في سجون محكمة مدريد التي كان يديرها، ولا الدون س. نوس الذي لم تتضخم ثروته في فرنسا سوى بالتضحية برجال مثل آكلي لحوم البشر، الذي، لكونه من يتحكم في التماسات الاسترحام، عذب الرجل البائس الذي تكلمت عنه، فقط لأنه المجد بالنسبة إليه هو أن نرى أنه لم يكن مخطئًا وأنه غير قادر على الحكم بشكل سيئ، ولا الدون سارتين نوس الذي، في منصب أعلى قليلًا، اخترع مضايقات وأشكال استبداد بغيضة على ملذات الجمهور من أجل تقديم قوائم فاسقة يمكن أن تسخن العشاء الصغير «بارك أو سير»[1]، الذي، من أجل التودد لكل الحزب

(1) كان اسم Parc – aux – Cerfs في فرنسا عمومًا هو الاسم الذي أطلق على عمليات التطهير التي قدمت مجالات صيد للأرستقراطية الفرنسية قبل الثورة الفرنسية. اشتهر

الحاكم، دمر أكثر من مائتي شخص بريء، إما بالتعذيب أو في السجون، وهذه الحسابات قام بها أولئك الذين خدموا عارهم، ولا الدون سارتين نوس، أخيرًا، أكثر المخادعين سياسيًا وأكثر الأوغاد حقارة على الإطلاق أضاء السماء وربما الأول، منذ أن تم التسامح مع الإساءات، حيث كان يحلم بالمتاجرة مع السجناء، ـ لا، لا ولا مثل هذه المحاكاة المخيفة لجريمة عدم الرغبة في فرض رقابة، أو التراجع، أو الإساءة للأخطاء التي كانت تمثل له أعز المسرات في الوقت الذي كان يسرق فيه من الملك خمسمائة ألف فرنك سنويًا غير المليون التي أنفقت لتقديم تفاصيل فاسقة إلى البلاط الذي، في ذلك الوقت، لم يسرق فقط دون عقاب، بل حتى أساء إلى منصبه بالعار، لإجباره مخلوقات تعيسة على الرذائل التي يريد أن يسيء إليها اليوم! ـ وأنا أصبحت منهم.

باختصار، لا يخص للقيط الصغير «روجمون»، ولا إعدام الرذيلة المجسدة، ولا المعتوه في حذائه وملبسه الذي، من ناحية، جعل زوجته داعرة للحصول على سجناء، ومن ناحية أخرى، يجعلهم يتضورون جوعًا. للحصول على المزيد من الإيكوات والوسائل ليدفع لداعمي فجوره سيئي السمعة، ولا شخص مضحك، أخيرًا، دون تقلبات الثروة والمتعة التي يحصل عليها لخفض أولئك الذين يجب أن يكونوا رفيعي المقام وأن يرفع الذين خُلقوا للزحف فقط، وبخلاف ذلك، ربما سيكون سعيدًا جدًا لأنه سيكون صبي مطبخ إذا بقينا في المكانة التي ولدتنا فيها السماء؛ ليس للمتسول في هذا المكان أن يريد أن يضع نفسه في منصب رقيب على

الاسم في التاريخ بمنطقة تقع في أراضي قصر فرساي ومنزل يمتلكه لويس الخامس عشر، حيث تم إيواء عشيقته السرية، حيث نُقلت من هناك إلى القصر لزيارة الملك.

الرذائل، ونفس الرذائل التي لديه أبشع درجة من الرذائل، لأنه مرة أخرى، يصبح المرء أكثر حقارة وأكثر سخافة عندما يريد أن يُعنِّف الآخرين وما لديه أكثر ألف مرة، وأنه ليس على الكسيحين أن يسخروا من الأعرج، ولا على الأعمى أن يريد قيادة الأعور، فليكن، وأنا أحييكم.

إلى ماري دوروتيه دي روسيه

(فينسين، مايو 1782.)

إلى الآنسة دي روسيه

حيث وضعها الله

آنستي

كنت على وشك الاستفادة من مراسلة سيادتكم وبالتأكيد كنتِ ستسعدين بالأشياء التي... ولا سيما حيث... مهلًا! لا أقول... كنتِ قد تأثرتِ حقًّا، عندما فجأة ـ بينما كنت أضع يدي على القلم ـ بدأت آلة الكاريون[1] الملعونة، الأداة الوحيدة لسوء الحظ التي أسمعها هنا، في صنع ضجة جهنمية. كيف يأخذ السجين دائمًا كل شيء على محمل شخصي، ويتخيل أن كل ما نقوم به يخصه، وأن كل ما نقوله هو عن قصد ـ ألم أدخل في ذهني أن هذا الكاريون اللعين كان يتحدث معي ويخبرني ـ ولكن بشكل واضح جدًّا:

أنا أشفق عليك ـ أشفق عليك

لم يعد هناك غايات لك

---

(1) آلة كنسية.

عليك أن تغني هذه المقاطع على أنغام الكاريون، أو فلترمها في النار، لأنها ليست مصنوعة للقراءة (ملاحظة ساد).

فقط غبار ـ غبار فقط

نهضت يتملَّكني الغضب على نحو شديد، وأردت أن أذهب لأصرع عازف الكاريون، وعندما رأيت أن باب الانتقام لم يُفتح بعد. حينئذ، جلست ـ التقطت قلمي ـ اعتقدت أنه يجب عليَّ الرد على هذا الوغد في ذهنه وبنفس النغمة حيث لم يكن من الممكن بالنسبة إلي فعل خلاف ذلك:

وقلت

للذة، للمتعة

ينبغي أن تستسلمي

يا روحي، يا روحي

أيها الراهب الكابوشي، أيها الراهب الكابوشي

فلتصافح على الأقل يدًا تلوح

لكن هنا ـ يا له من قلق

على كل خير أحمد الله

إلهي، إلهي

إذًا تعال ـ تعال إذًا

فلترح بقلبك.

ألمي، ألمي

زوجتي، زوجتي

تجعلني بلا رحمة

تنتالوس، تنتالوس[1]

آه يا له من مصير! آه يا له مصير

يا إلهي هذا كثير للغاية

أنا أموت، أموت

نبات العنبريس، يموت دون رعاية

فلتأت للحصول على بعضها على الأقل

البذرة ـ البذرة

يا له من شهيد ـ يا له من شهيد

أستطيع أن أرى بوضوح أنه عليك أن تعاني

دون توقف، دون توقف

هنا توقفت، لقد حسبت، لقد رأيت تسعة تتوقف حياتهم وجميعهم يبدون موتى ـ يحيا الإله، صديقي، صرخت بالتوقف عند 9 وموتى، بحق المسيح، لديك دهاء مثل رئيسة؛ وأقل عجرفة إلى حدٍّ ما، إلا عندما تخرج هذه من مقابلة السيد «دو جوردان»؛ أضع هذه التحفة الفنية على الفور نظيفة، وسأنقلها إليكِ، حتى تتمكني من رؤيتها يا آنستي، وهكذا أتشكَّل، وهكذا أسيطر على العقل.

فلتخبريني يا آنستي، أرسلي لي قليلًا، من فضلك، قليلًا من البازلاء

(1) ملك في الأساطير اليونانية حكمت عليه الآلهة بالعطش والجوع مع وجوده قريبًا من الماء والفواكه التي ظلت بعيدة عن متناوله.

الجيدة من بروفانس ـ هذا العام، ليس من الممكن بالنسبة إلي أن آكل منها، لقد جعل الدون «سيباستيان كيبوسكوا» البازلاء بمثابة مقلب ـ وبناء عليه يجب أن الاستغناء عنها، أو آكل تلك التي يستخدمها أصحاب الحظائر ـ العام الماضي إنها حبات الكرز التي كانت إشارات؛ لكنه لم يربح منها شيئًا لأن الأمر كان يعتمد علي، لقد قدم طلبًا إلى الرئيسة للحصول على إذن لتحقيق ربح إضافي هذا العام ـ أوه لم يُترك المتسول لك شيئًا منها ـ عندما نشكو من ذلك، يقول إنه من التفاهة الحديث عن ذلك ـ أتوسل إليكِ إذا قابلتِ في بروفانس أحد هؤلاء الأشخاص الذين التزم بدفع معاش سنوي لهم، والذي يطلب المال أو يبتزه أجيبيهم ـ إنه من التفاهة إذًا. وداعًا أيها الملاك الجميل، فلتفكري بي أحيانًا، عندما تكونين على السرير، وفخذاك مفتوحين، ويدك اليمنى مشغولة بـ... البحث عن البهجة، تذكَّري أنه في هذه الحالة يجب أن يتصرف الآخر أيضًا، دون ذلك، لن نحصل سوى على نصف اللذة. يجب أن يكون أحدهما. هكذا، والآخر مثل الرئيسة يضع الفخاخ الخسيسة.

إلى السيدة دو ساد

(فينسين، أغسطس 1782)

إن قيمتك، سيدتي الماركيزة، وكل مزاحك التافه، غير المضحك تمامًا، بالنسبة إلى مشروعي، لن يفرضا علي بأي حال من الأحوال: هذا ما يشرفني أن أجيبك عليه. ليس الأمر بالنسبة إلى فكرة كما هو الحال مع عمل العقل. يمكن أن يخطئ المرء بسهولة عندما يكون هناك واحد فقط كحكم في عمل من هذا النوع؛ بالنسبة إلى الفكرة، هذا صعب للغاية، إلا إذا اختبرت الأمر؛ من المستحيل ألا تعرف ما إذا كانت الفكرة جميلة أم أنها ليست كذلك. لكني أؤكد للعالم كله أن فكرة مشروعي جميلة: لا تخافي من أن تسمعيني أبدًا أقول الكثير عن أحد أعمالي. أعرف ما يكفي عن الهندسة المعمارية وقد درست إلى حدٍّ ما كل جماليات هذا الفن في إيطاليا، حيث قضيت وقتي فقط مع أهل هذه المهنة، لأقرر ما إذا كانت فكرتي جميلة أم لا، وأكرر عليك أن فكرتي رائعة، وممتازة لدرجة أنها تفوق كل تنفيذ؛ لن يكون هناك أي دولة، ولا أي مملكة في أوروبا غنية بما يكفي لتنفيذها؛ وبالتالي، فإما أن المصمم الخاص بك لم يقل ما طلبتِ منه أن يقوله، أو أنه من الغباء أن يطلب أن يكون مستخدمًا لتنفيذ عملية يجب أن يدرك استحالة تنفيذها. لذلك فهو مجرد وهم جميل - لكنني أحبه وأريد أن أزين به مكتبي يومًا ما. إليك ملحقًا صغيرًا ستقدمينه له وسيصبح ضروريًا للتنفيذ الدقيق لرسمه. هذا يكفي!

بحزم، لن أرد على الثرثرة المرهقة للآنسة «روسيه». كيف يمكنها استخدام عقلها لقول مثل هذه الحماقات؟ أتصوَّر، بل أجد أنه من المضحك للغاية، أن يسيء الناس استخدام عقولهم في أشياء لاذعة (لهذا السبب لم تذهلني أبدًا رواية le Portier des Chartreux)، لكنني لا أتصور أنهم يستخدمونه للحديث عن الأطباق الفخارية، والغرف الفاسدة، والجدري وأدوات المطبخ وكل الهراء الآخر حيث استغرقت الخطة بالتأكيد ستة أسابيع حتى تقوم الرئيسة مونتروي بنقلها إلى «روسيه» المسكينة، التي تبعد عبقريتها مائة فرسخ عن هنا. وهكذا، ستدفن رسالتها الإلهية رقم 223 في طي النسيان تمامًا. سأحط من قدر نفسي بكل هذه التفاصيل المنحطة عندما أكون هناك: حتى ذلك الحين لا أريد حتى التفكير في الأمر. تذكَّري أنني لا أريد أن يدفع لها كثرثارة: لا أفهم كيف انبثقت لها هذه الفكرة وكيف تمكَّنت من دعمها للحظة. هل تستطيعين دحض ذلك لي بضربات سيف قاصمة؟

من بين جميع الكتب التي أرسلتِها إليَّ، لا يمكن أن يستخدم من بينها كتابين لقراءة ثانية. وهذه هي الكتب التي أحتاجها. فلتملئي لي الكتالوج المرفق؛ أجدِّد لك بالغ توسلاتي. لا يمكن قراءة الإلياذة إلا في البداية، ولم تكتب الحكايات الإيطالية لتُقرأ؛ إنها كتب تسلسل زمني يجب وضعها على طاولتك عند العمل، لكن لا يمكنك قراءتها أكثر من قراءة القاموس. لذا املئي قائمتي، أتوسل إليك. هذه ملاحظة صغيرة لـ «أمبليه»، أطلب منك إرسالها إليه؛ وعندما تعود المخطوطة إليك، ستقومين بإجراء التصحيحات الصغيرة التي تحتوي عليها هذه الملاحظة. نظرًا لأن تاريخ «ميدتشي» لم ينتهِ بعد، فلا يجب أن نقطع العلاقة بالطبيب، بل على العكس

نحافظ عليها. ـ إيه! هناك، كصديق، ألن يكون من الأفضل بكثير السماح لي بالذهاب وأن يغلق علي مكتبه في فلورنسا، لتأليف هذه القصة، والتي من المؤكد أنها كانت ستمنحني قدرًا كبيرًا من الشرف يومًا ما، من أن ترسل هنا لكشف القيء الأحمق للرئيسة مونتروي؟ سأعقد معك ومع تابعيك رهانًا فريدًا للغاية: لقد تكلَّفتِ مائة ألف فرنك من النفقات العرضية لمدة ست سنوات لتجعليني مائة ألف مرة أسوأ مما كنت عليه وتضرين بشرف وسمعة أطفالي بأكثر من مائة درجة. هل ستعترفين لي بأنك تدفعين ثمنًا باهظًا من أجل متعة فعل الشر السخيف والفخاخ الخسيسة؟

في السابق أخذني الطبيب إلى السجن. أنا وخادم في منزله، أسكننا وأطعمنا، مقابل 800 جنيه، وهذا جيد جدًّا؛ أضيفي إلى ذلك 1200 لرعايتي، إلخ. ونحسب الآن منذ عشر سنوات ما كنا سنكسبه. كنت سأخرج من هناك مع مائة ألف فرنك إضافي في جيبي، وهو عمل جيد لأقدِّمه للجمهور والرأس مؤثَّث بشكل جيد. خذي الجانب الآخر من العملة، وانظري الآن ما نتيجة ما تفعلينه. لكن هل كان يجب الصمت والانغلاق؟ لقد كان الأمر سهلًا للغاية: هناك سفير فرنسي في فلورنسا أفضل قليلًا من السيد «روجمون». أوافق على أنه بالتأكيد لم يلعب الدور نفسه (لا نجد دائمًا جنودًا خسيسين بما يكفي لتنفيذ ذلك)، لكن باربانتان، الذي كان يتمتع بالذكاء وابن عمي، كان سيحتجزني، كان سيجد في جيبه خطابَ توصية باعتقالي، في خال أردت مغادرة فلورنسا، والذي كان سيعيدني في غضون ثمانية أيام إلى برج «فينسين»؛ كان سيكون مسئولًا عن مراسلات الخطابات والمال وما إلى ذلك. أتخذت اسمًا أجنبيًّا. وفي نظر كل هذه القوات من الأوغاد الذين يريدون أن أكون محبوسًا، فليقل

لهم إنني كنت عند الدوق الأكبر، وكانوا مؤهلين جدًا لتصديق ذلك بمجرد أن لم يعودوا يرونني ولا يصل إلى أسماعهم شيء عني. ـ هذه هي الطريقة التي يتصرَّف بها المرء عندما يكون ذكيًا، وكما تفعلون عندما يكون المرء غبيًا محضًا ويفضِّل حماية جميع الناس المرؤوسين على رفاهية والديه وسعادتهما.

هل تريدين رسالة لأولادي؟ ها هي ذي. لا تحتاجين لفترة طويلة لتجعليني أفعل كل ما تريدين. إن قلبي ورغبتي في إرضائك هما ما يمليان عليَّ ذلك وليس بأي حال من الأحوال أي مصلحة، لأنني لا أريد أيَّ رد على الإطلاق. أفضل ألف مرة عدم الكتابة من أن أتلقَّى جملًا مدرسية غبية ثقيلة، كلها مسمومة بالسم الصفراوي الأسود لجلادي الحقير. تذكَّري، لا أريد ردًا؛ فلتفعلي ذلك إذا أردتِ، لكن لا ترسليه إلي.

هذه الرسالة تعبير عن مشاعري لأولادي. سوف يحصلون عليها، وسوف يعيدون قراءتها، وسوف يتذكرونها... هل تعتقدين الآن أنني سأكون عدوًا بما يكفي لهم ولنفسي بتقويض المبادئ من أي وقت مضى؟ كانوا سيحتقرونني إذا فعلت ذلك، وسيكونون على حقٍّ تمامًا. أرجو أن يذكرك هذا برسالة صغيرة منطقية هذا الشتاء وتقنعك إلى أي مدى سأكون بعيدًا باستمرار من منحهم مبادئ سيئة. أوه، لا! هذا لن يدخل في أفكاري أبدًا: بين قتلهم أو إفساد قلوبهم، لن أتردَّد لحظة وأعتقد أن الأول أهون الشرَّين تقريبًا، لا تعتقدي أن هذا من تأثير السجن، على الأقل، بالأحرى سيكون تأثيره العكس، لأنه لم يترك عليَّ تأثيرًا سيئًا. طوال حياتي كنت أفكر هكذا، وأنت تعرفين ذلك جيدًا. لأنقل لكم مهنتي الإيمانية هنا، فقط أنتظر الرضا عن كل ما يهمك ويهمهم؛ فقط سعادتكم أنتم الأربعة ستكون

عملي ورضائي الدائم. لقد سمعتِني أتحدَّث هكذا طوال الوقت. وهذه خطتي عندما تنتهي مآسيَّ. لكن ما يهمني أنا شخصيًا، لا أعدك بشيء. الغباء قديم جدًّا. صدِّقيني، تخلي عن تعليمه. لم تفز جولي بأي شيء من السيد «دو فوليمار»، ومع ذلك كانت جولي محبوبة للغاية، فهناك أنظمة معينة مرتبطة جدًّا بالوجود، خاصةً عندما نرضعها مع الحليب بحيث لا يمكن التخلي عنها أبدًا. إنه نفس الشيء مع العادات: عندما تكون مرتبطة بشكل مذهل بطبيعة كائن ما، فإن عشرة آلاف سنة من السجون وخمسمائة رطل من القيود ستمنحها المزيد من القوة، سأدهشك إذا أخبرتك أن كل هذه الأشياء وإعادة تذكرها دائمًا [هي] كل ما أستدعيه لنجدتي عندما أصاب بالذهول بسبب وضعي. الأخلاق لا تعتمد علينا، بل تعتمد على بنائنا، وعلى تنظيمنا. ما يعتمد علينا، هو عدم نشر سمِّنا في الخارج، وأن ما يحيط بنا، لا يجب يعاني منه فقط، ولكن لا يمكن حتى أن يلاحظه. سلوك سليم مع أولاده ومع زوجته حتى يستحيل عليها، حتى في مواجهة مصيرها مع مصير نساء أخريات، أن تشك في سوء أخلاق زوجها: هذا ما يعتمد علينا؛ وهذا ما يجب على الإنسان الصادق أن يفعله، لأن هذا لا يعني أن يكون المرء نذلًا حتى يكون له التفرد في الملذات. قم بإخفائها في الأماكن العامة، وخاصة عن أطفالك، ودع زوجتك لا يساورها أدنى شك أن واجبك معها يتم بشكل متساوٍ في جميع الأنواع. هذا هو الجوهر وهذا ما أعدك به. الفضائل؛ لا نقلق بشأن ذلك، ولم يعد المرء يتحكم في تبنيه هذه الأشياء ـ هذا الذوق أو ذاك، فالمرء لا يتحكم في أن يصبح مستقيمًا عندما يولد معوجًا، ليس أكثر من أن يتبنى نظام هذا الرأي أو ذاك، في الواقع، وألا تكون بنيًّا عندما تكون قد وُلدت أصهبَ. هذه هي فلسفتي

الأبدية، ولن أتخلَّى عنها أبدًا ـ ومع ذلك، في عام 1777، كنت لا أزال صغيرًا جدًّا؛ ذروة المحنة التي وجدت فيها نفسي، من الممكن أن تكون هيأتني للعمل الشاق؛ لم تكن روحي تيبَّست بعد، لأنك حرصتِ منذ ذلك الحين على جعلها غير قابلة للوصول إلى المشاعر الطيبة. كان من الممكن أن تؤدي أي خطة مختلفة تمامًا عن خطتك إلى إنجاز أشياء رائعة؛ لكنك لما تريدي ذلك. أشكرك على ذلك؛ الأفضل لي تمامًا أن أبعد فخاخك فقط من رأسي، بدلًا من الاضطرار إلى إبعاد عدد لا نهائي من الأشياء والتفاصيل، وهي لذيذة جدًّا في رأيي، والتي تعرف جيدًا كيف تخفِّف من مصاعبي عندما أسمح لخيالي بالشرود. لقد نصحوك بشكل سيئ للغاية، يمكن القول؛ لكن بضمير مرتاح، أفضل أن يحدث ذلك بهذه الطريقة.

ستقولين أشياء كثيرة لجوفريدي، لكنني لن أكتب له أكثر من القديسة؛ ـ له ربما، هذا الخريف، في الأمسيات الطويلة والحزينة للغاية، سوف أخطئ في رأسي لأقول بعض الحماقات، دون ذلك لا شيء. إذا أخبرتني بالتأثير الذي ستحدثه رسالتي على أطفالي، وما قالوه لك عنها، فسوف تسعدينني، لكن الرد سيكون كافيًا ليوم رأس السنة الجديدة.

[تذييل] حاولي الحصولي على نفيسة التاريخ الطبيعي؛ أجدِّد توسلاتي لك. عندما لا تمدحي ميولي الصادقة، فهذا سبب إضافي لأسلم نفسي للآخرين. وهنا كما هي الحال دائمًا، تخدمني الروح الزائفة اللعينة لكل من يحيط بك على كلا المستويين دون أن أرغب في ذلك، وتطفح على مقياس الشر، لعدم وجود سعادة تميز كل مقاييس الخير.

إلى الرئيسة مونتروي

(2 سبتمبر 1783)

أنا لا أزعجك كثيرًا، سيدتي، ويجب أن تصدقي أنه عندما أفعل ذلك، فيجب أن أكون بحاجة ماسة للغاية للتحدث معك. من بين كل الضربات التي وجهتِها لي منذ وجودي هنا، لم يكن أي منها أكثر حساسية بالنسبة إلي من تلك التي مزقتِ بها قلبي للتو. سيدتي، أنت على استعداد لتقنعيني بأن زوجتي تلحق العار بشرفها. هل من الممكن، يا اللّٰه العظيم، أن تكون أمًّا، أو تتسامح مع مثل هذا العار، أو تعمل على إقناع زوج ابنتها بذلك! سياستك مروعة، لكن يمكن تخمينها يا سيدتي. تريدين مني الانفصال عن زوجتي، وبمجرد خروجي من هنا، لن أستعيدها. كم أسأت فهم مشاعري تجاهها إذا كنت ستصدقين أنه لا يوجد شيء في العالم يمكن أن ينتج مثل هذا التأثير بداخلي! سترينني خنجرًا في اليد محاولًا تمزيق قلبي، وأنني سأقف على قدمي، وأقول له: اضرب، إنني أستحق ذلك. لا سيدتي لا شيء، لن يتمكن أي شيء في الكون بأسره من إبعادي عنها، وإنني أعشقها حتى في انتقامها. لدي الكثير لإصلاحه يا اللّٰه العظيم. لدي الكثير لإصلاحه. لا تجعلني أمُت يائسًا دون أن أتمكن من جعلها تنسى كل أخطائي. والحب، والتقدير، والحنان، والامتنان، والاحترام، وكل المشاعر التي يمكن أن تتشكل، وتجتمع في داخلي من أجلها، وباسم الجميع، يجب أن تعترفي،

يا سيدتي، والأمر أكثر من صرخة ضميري، أنك ستعيدينها إليَّ بمجرد خروجي من هنا. هل تعتقدين أن مثل هذا الاحتجاز الطويل لم يجعلني أجري بعض التأملات؟ هل يمكن أن تفترضي أنه لم يستيقظ من الندم؟

فقط أسالك نعمة واحدة، سيدتي، وهو أن أضع نفسي على المحك. لا أريدك مطلقًا أن تأخذي كلامي على محمل الجد. أريد أن أختبر. اجمعينا معًا مرة أخرى، وتحت هذه العيون وفي مثل هذا البلد الذي تريدينه. هناك، اجعليهم يراقبونني من الصباح حتى الليل، لسنوات عديدة كما تريدين، ومع أدنى خطأ فلتنتزع مني، وألا أراها مرة أخرى أبدًا وأن تسلب حريتي وحياتي ثانية ولمرة أخيرة إذا أردتي ذلك، أوافق على كل شيء. هل يمكنني أن أخبرك أفضل يا سيدتي؟ هل يمكنني أفتح قلبي لك بشكل أفضل؟ فلتتكرَّمي وتشفقي قليلًا على حالتي، أتوسَّل إليك! إنه أمر مروع، وأعلم أنني أمنحك انتصارًا من خلال تعهدي لك بذلك، لكني لا أهتم. لقد كدرت للأسف سكينتك كثيرًا، يا سيدتي، لدرجة أنني أشعر بالندم على منحك انتصارات على حسابي. إذا كنت قد وضعتِ نفسك لترينى عند آخر درجة ممكنة من الإذلال واليأس والتعاسة للإنسان، فيمكنك الاستمتاع، سيدتي، استمتعي، لأنك وصلت إلى الهدف، وأنا أتحدَّى أن يكون هناك كائن في عالم كانت الحياة عبئًا عليه أكثر مني. السماء، التي تسمعني، هي شاهد على أنه إذا احتفظت بها، فإن ذلك فقط لمحاولة إعادة الروح الفاضلة والحساسة لابنتك المحببة التي في هذيان حيرتي المخيف، أحمل لها لمسات حساسة للغاية. آه! يا إلهي العظيم، يا له من يأس ويا لها من توبة! كما أن الدين والطبيعة يمنعانك، يا سيدتي، من السعي وراء الانتقام حتى القبر. يمنعانك أيضًا من مقاومة توبتي، ودفع

وسائلي ورغباتي في الإصلاح. أضم إلى هذه الصلاة المتقدة، صلاة ألحّ فيها عليك، يا سيدتي، ألا تطلقيني من السجن إذا كنت لا ترغبين في لم شملي بزوجتي. لا تلقي بي في هاوية جديدة من المصائب، أتوسل إليكِ؛ لا تخرجيني من السجن لتعيديني إليه في اليوم التالي. هذا ما سيحدث، أحذرك يا سيدتي. لن أرى نفسي حرًّا أبدًا للحظة دون أن أطير بين ذراعيها. إذا كان عليك أن تدفنيها في أحشاء الأرض، فسأذهب وأمزقها وألحق بها. بمجرد أن أصير حرًّا، سأطير إلى السيد «لو نوار» وأطلب منه زوجتي مرة أخرى. أركض إلى الوزير إذا ما رفضني وطردني، من كل مكان، ألقي بنفسي عند قدمي الملك، وأسأله مرة أخرى ما أعطتني السماء، وما لا يستطيع الرجال أن يسلبوني إياه. سيقطعون محاولاتي، وسيعيدونني إلى السجن، إيه؛ حسن! أحبه أكثر، نعم، أحبه ألف مرة؛ أكثر من العيش بحرية وبدونها. ضميري أكثر هدوءًا، على الأقل، وأنا مقيد بالسلاسل، إنه مطمئن من استحالة إرضائي لها. وهو حر، لا شيء سيوقف تحركاته، وينبغي إما أن أعود إليها أو أن أفقد حياتي. لذلك لا تغرقيني مرة أخرى في مصائب جديدة، أتوسل إليك يا سيدتي، ولا تخرجيني من هنا سوى لألتقيها، أو لا تخرجيني أبدًا، إذا لم يكن علي أن أكون كذلك، تكرمي علي بالسماح لي برؤيتها في أسرع وقت ممكن؛ وحدها، أتوسل إليك. لديّ أشياء مثيرة للاهتمام وخاصة جدًّا ينبغي أن أقولها لها، لا ينبغي أن يعرف الآخرون عن شئوني، بغضِّ النظر عن مدى ثقتنا بهم. فلتسمحي لي سيدتي وأنا أنهي هذه الرسالة ـ وأقسم أن تكون هي آخر رسالة أكتبها إلى أي شخص، مهما استمرت محنتي ـ اسمحي لي، أقول، أن ألقي بنفسي أسفل قدميك لأطلب صفحك عن كل ما كان من الممكن أن ينتزعني

من مصيري المرعب. لا تري في ذلك سوى يأس الرأس الضائع، وفي هذا فقط مشاعر قلبي الحقيقية. أتوقع شيئًا من موافقتك، أتوسل إليه دون خجل، ويجب أن أحمر خجلًا معك، سيدتي، فقط من أجل أخطائي. احترامي لك، يا سيدتي، خادمك المتواضع والمطيع للغاية.

دو ساد

إلى مدام دو ساد

(فينسين، 19 سبتمبر 1783)[1]

هذا الصباح تلقيت رسالة طويلة منك لم أنته منها حتى الآن. لذا لا تكتبي رسائل طويلة، من فضلك: هل تعتقدين أنه ليس لدي أي شيء آخر أفعله سوى قراءة تكراراتك المملة؟ يجب أن يكون لديك الكثير من الوقت لتضيعيه في كتابة رسائل بهذا الحجم، والأمر بالنسبة إلي أيضًا للإجابة عليها، ولا بدَّ أنك توافقيني على ذلك. لكن مع ذلك، بما أن موضوع هذه الرسالة له أهمية عظيمة، أطلب منك قراءته برأس رصين ورباطة جأش قوية.

لقد وجدت للتو ثلاث إشارات لأعظم جمال، من المستحيل بالنسبة إلي أن أخفيها عنك. إنها سامية جدًّا لدرجة أنني مقتنع أنك ستصفقين، بقراءتها، رغمًا عنك، وذلك لعبقريتي وثراء معارفي. يمكن للمرء أن يقول عن زمرتك ما قاله بيرون عن الأكاديمية: الموجودون هنا أربعون يتمتعون بعقل أربعة. تابعوك هم نفس الشيء: هناك ستة لديك لهم عقل اثنين. حسنًا، مع كل عبقريتك، وعلى الرغم من أنك كنتِ تعملين فقط على العمل الرائع لمدة اثني عشر عامًا، فسوف أراهنك اثنين ضد واحد[2]، إذا أردتِ، أن إشاراتي الثلاث أفضل من كل ما قمت به.

---

(1) إشارة في المقدمة لهذه الرسالة.

(2) إيه! الضعف مقابل واحد: جميل، ذلك. هل ترغبين في العثور عليه؟ (ملاحظة من ساد).

انتظري، أنا مخطئ، يوجد منها، أقسم؛ أربعة. طيب! إنها ثلاثة.. أو أربعة، وأنت تعلمين أن الثلاثة الأربعة لها قوة عظيمة.

أول إشارة اخترعتها بنفسي، كريستوف دو ساد:

أول قطع أو تمزق يجب أن تبلغيني به، سيكون من الضروري قطع رق... كاديه دو لا بازوش (ألباريه) وإرسالها إليَّ في صندوق. سأفتح الصندوق، سأصرخ، سأقول: أوه؛ يا إلهي! ما هذا؟ ـ سيجيب جاك، المغرور، الذي سيكون هناك في الخلف: لا شيء يا سيدي؛ ألا ترى إنه 19؟

ـ لا! أقول... ـ بدون غرور، هل لديك أي شيء يستحق هذا؟

الإشارة الثانية: الشخص نفسه:

عندما تريد الإشارة لـ 2، المضاعفة، المكررة، الثانية بنفسك، يجب أن تدفع مرتين ـ إلخ، إليك كيفية القيام بذلك: يجب أن يكون هناك مخلوق جميل في غرفتي (بغضِّ النظر عن الجنس؛ لدي القليل من روح عائلتك، وأنا، لا أنظر إليها عن كثب؛ وإلى جانب ذلك، كلب مسعور، وما إلى ذلك)، لذلك سوف أقوم بوضع مخلوق جميل في غرفتي في وضعية كاليبيج فارنيسيان[1] ـ هناك، لتقديمه جميلاً. لا أكره هذا الجزء؛ على ما أعتقد، مثل الرئيس، أجد أنه وفير أكثر من البقية، وبالتالي، بالنسبة إلى أي شخص يحب الجسد، فهو دائمًا أفضل مما هو أقل وف... عند الدخول، سأقول للمغرور، أو للمنتفخ: ما هذا العار؟ (للشكل فقط).

وسيجيب المغرور: سيدي، إنها نسخة مكررة.

---

(1) تمثال ذو مؤخرة جميلة ووفيرة.

الإشارة الثالثة، الشخص نفسه دائمًا.

عندما تريد أن تنشئ جسرًا كبيرًا، مثل هذا الصيف، مع الرعد والموصل (التأثير الرهيب الذي كاد أن يجعلني أموت من الاضطراب العنيف)، من الضروري إشعال النار في دكان البارود (لقد استدار أيضًا عموديًا نحو المقصورة حيث أنام): سيكون له تأثير رائع.

أوه! ها هو الأجمل أليس كذلك؟

بالنسبة إلى الرابع أخيرًا

عندما تريد أن تصنع 16 لـ 9 (استمع جيدًا)، عليك أن تأخذ جمجمتين (اثنتين، فلتسمع جيدًا؛ كان بإمكاني أن أقول ستًا؛ لكن على الرغم من أنني خدمت في سلاح الفرسان فأنا متواضع: أقول 2) وأثناء وجودي في الحديقة، ستقومين بترتيب ذلك في غرفتي، حتى أجد الزخرفة جاهزة تمامًا عندما أصل إلى المنزل أو ستخبريني عن طردٍ ما وصل من بروفانس، والذي سيحصلون عليه من أجلي: سأفتحه بلهفة... وسيكون الأمر كذلك ـ وسأكون خائفًا للغاية لأنني خجول جدًا بطبيعتي، لقد أثبتُّ ذلك مرتين أو ثلاث مرات في حياتي.

آه، أناس طيبون، أناس طيبون! صدقيني، لا تبتكري، لأنه بابتكارك أشياء مسطحة جدًا، وغبية جدًا ومن السهل تخمينها، لا يستحق الأمر العناء. هناك الكثير من الأشياء الأخرى التي يجب القيام بها إلى جانب الابتكار، وعندما لا يكون لدى المرء روح الابتكار، فمن الأفضل صنع الأحذية أو الأنابيب، بدلًا من الابتكار بسخافة أو بشكل أخرق أو بغباء.

اليوم التاسع عشر، وغادر يوم 22.

بالمناسبة، أرسلي ملابسي. وأقول لمن يحكمون إنها لا تهمني، إنهم يفكرون بشكل سيئ للغاية؛ لأن المدير «روجمون»، الذي يحكم بشكل جيد، قد رأى للتو أن الإصلاحات الكبيرة جدًّا ضرورية لمدفأتي، ويجعلهم يقومون بذلك. لذلك، مرة واحدة في العمر، إذا كان ذلك ممكنًا، فلتتصرفي بشكل جيد، لأنه بغضِّ النظر عن مدى قسوتك، لا يزال عليك محاولة ألا تكوني سيئة للغاية حيث يتجه الجميع إلى اليمين بينما تتجهين إلى اليسار. فلتفعلي مثل السيد المدير «روجمون»؛ إنه رجل يتمتع بحس جيد جدًّا والذي دائمًا ما يعمل بدقة شديدة ـ يجعلك تصوب عندما لا يصوب هو. ـ يوصيك خادمي بشدة حتى لا تنسى الرئيسة أنه، إذا قام بالإشارة بشكلٍ صحيح، فقد وعدت أن تجعل ابنه رقيبًا.

دو ساد

إلى السيدة دو ساد [1]

(فينسين، نهاية نوفمبر 1783)

الحمد لله، إليكِ الرسالة ذات الأسئلة الثلاثة، التي، بكل تأكيد، لم تظهر منذ 9 أشهر طويلة، لقد نفد صبري بخصوصها. أحتاج صندوقي مثل النموذج وليس خلاف ذلك، وأحتاجه في أقرب وقت قدر الإمكان ـ نشرت جميع الكتب التي أريد أن أطلبها منك، ومن المثير للغيظ عدم الرغبة في إرسالها إليَّ، وفي الحقيقة، إنه من الغباء جدًّا والتسطيح للغاية القيام بمضايقات تتعلَّق بالكتب. إنه بلا شك نتيجة كل حماقات مرشديك الأكثر تطرفًا.

فيما يتعلق بالقارورة، لا أفهم ثرثراتك المتكرِّرة فيما يتعلق بها على الإطلاق، فكلُّ التجار يصنعون القوارير كما يُطلب منهم، ولطلب واحدة حسب النسب المرسلة، أفترض على الأكثر العرض ولكن ـ للجنون ـ لم تُطلب بالأحرى كلمة من ابنة عمك «فيليت».

يجب أن تخبري التاجر أنها قارورة ستوضع ـ كدعامة ـ نعم، كصمام ولأغراض صغيرة أخرى استمتعت وأنا أصمِّمها بحماس، ولهذا السبب نريد إرسالها أيضًا، أتوسل إليك، لأن غيابها، فأنا مضطرٌّ لاستخدام شيء آخر يلوث ويمزق ويجرح أردافي، وهذا أمر غير مريح للغاية. إنه من باب الحياء ولكي لا نخيفك اكتفينا بطلب قارورة محيطها 8 ـ 1/ 2، لأنه في

حالة الضرورة، سيتطلب المحيط 9 قياسًا يُجرى على قاعدة مؤخرتي. ـ لكنني قلت لنفسي، تسعة سوف تخيف الناس الذين يخافون من كل شيء؛ يجب عليك تأييد في 8 ـ 1/ 2.

كيف تريدين أن أتذوَّق كتاب دحض نظام الطبيعة[1]، إذا لم ترسلي لي مع الدحض، الكتاب الذي يدحض وهذا الأمر كما لو كنت تريدين مني أن أحكم في قضية دون رؤية وثائق الطرفين. لقد شعرت أن هذا مستحيل، على الرغم من أن النظام هو حقًّا وبلا شك أساس فلسفتي وأنا من أتباعه لدرجة أن أجاهر بذلك إذا اضطررت له، إلا أنه من المستحيل ألا أحصل عليه لمدة سبع سنوات، أستطيع أن أتذكَّره بما يكفي لتذوق الدحض، أنا على استعداد للعمل على الاستسلام إذا كنت مخطئًا لكن فلتوفري لي الوسائل. فلتطلبي من «فيليت» أن تعيره لي 8 أيام فقط، ولا يوجد أي حماقة في ذلك، ستكون ممن حرموني من كتاب جعلت البابا يقرأه، باختصار، كتاب من ذهب، كتاب يجب أن يكون في جميع المكتبات وفي جميع الأذهان، كتاب يضعف ويدمر إلى الأبد أخطر وأبغض الأوهام، الوهم الذي تسبب في معظم الدماء التي أريقت على الأرض والذي يجب أن يتَّحد الكون كله لإسقاطه والقضاء على منبعه، إذا كان لدى الأفراد الذين صنعوا هذا الكون أدنى فكرة عن سعادتهم وهدوئهم. بالنسبة إليَّ، أعترف أنني غير قادر على تصور وجود أشخاص ما زالوا يهتمون بذلك، وأنا مقتنع جدًّا بأن هذا لا يمكن أن يكون بحسن نية. أو هم حمقى، أشخاص يستحيل عليهم أدنى تطبيق للعقل ولا يريدون ـ أو لا يستطيعو أن يكلِّفوا أنفسهم عناء الخوض بعمقٍ في أي شيء. لأنه من المؤكد تمامًا أن الإيمان بالله لا يمكن أن يقف

---

(1) كتاب للبارون هولباخ.

لحظة للتأمل ويجب على المرء ألا يدرس أبدًا أدنى عملية في الطبيعة حتى لا يدرك أنها تعمل بمفردها وبدون أي سبب أول، وأن هذا السبب الأول لا يفسر شيئًا، بل على العكس من ذلك هو نفسه يريد أن يُفسَّر؛ ما هو إلا الجهل المطلق.

حسنًا، هذه رسالة دون أدنى شك ستمدد فترة اعتقالي، أليس كذلك؟ ومع ذلك، يجب أن تخبري هؤلاء الممدِّدون أن تمديدهم ضاع هدرًا، لأنهم يتركونني هنا عشر سنوات، لن يستعيدوا بشكل أفضل، صدقوني ـ أو فلتقتلوني أو تأخذوني كما أنا لأن الشيطان يأخذني إذا تغيرت ـ أنا أخبرتك أن الوحش شاخ في السن ـ لا يوجد أمل ـ أكثر الرجال صدقًا، وأكثرهم صراحة، وأكثرهم رقة، وأكثرهم إحسانًا، والمتيم بأولادي، الذين أود أن أضع نفسي في النار من أجل سعادتهم؛ دافعًا إلى أقصى الحدود عدم الرغبة في إفساد أخلاقهم، أو إفساد عقولهم، أو جعلهم يتبنون أنظمتي بأي شكل من الأشكال، ويعشقون والدي (بالنسبة إليَّ مفهوم) ما قد تبقى من الأصدقاء وفوق كل شيء زوجتي التي أطمح فقط في تحقيق سعادتها؛ والتي معها لديَّ رغبة كبيرة في إصلاح العديد من تناقضات شبابي ـ لأنَّ زوجته في الحقيقة لم توجد من أجل ذلك، إنه حقيقي ما شعرت به وما قلته لها قبل أكثر من 6 أشهر من دخولي إلى هنا؛ يمكنها أن تقول ذلك. هذه هي فضائلي ـ أما بالنسبة إلى رذائلي غضب جامح ـ مفرط في كل شيء، وتعطيل الخيال حول الأخلاق وهو ما لم يكن له مثيل في الحياة، ملحد حتى التعصُّب، باختصار، ها أنا ذا ولتقتلني برصاصةٍ أخرى أو لتأخذني هكذا لأنني لن أتغير.

دو ساد

إلى الأوغاد الحمقى الذين يعذبونني

(فينسين، 1783)

الأوغاد الدنيئون التجار الحقيرون في إيكس، خدام الجلادين المنحطون وسيئو السمعة، فلتبتكروا، إذًا، لتعذيبي، عذاباتٍ ينتج عنها على الأقل بعض النتائج الجيدة. ما الذي يعود عليَّ من الخمود الذي يبقيني فيه بعادك الروحي، إن لم يكن ليجعلني ألعن وأمزِّق القوادة الخسيسة التي تمكنت من أن تبيعني لك بكل هذا الجبن؟ منذ لم أعد أستطيع القراءة أو الكتابة، فهذا هو التعذيب الحادي عشر الذي اخترعته لها. هذا الصباح، متألمًا، رأيت العاهرة، رأيتها تُسلخ حية، تُسحب على الأشواك ثم أُلقيت في وعاء من الخل. وقلت لها:

أيتها المخلوقة الرهيبة، هذا، لأنك قمت ببيع صهرك للجلادين!

هذا، لأنك عملتِ كقوادة لابنتيك! ها أنت قد دمرتي زوج ابنتك ولوَّثتِ سمعته!

هذا، لأنك جعلتِه يكره أطفالًا ستضحين به من أجلهم!

هذا، لأنك جعلتيه يفقد أفضل سنوات حياته، عندما كان عليك إنقاذه بعد الحكم عليه!

هذا، لأنك فضلت عليه أجنة ابنتك البغيضة والدنيئة!

هذا، من أجل كل الشرور التي سحقتِه بها لمدة ثلاثة عشر عامًا، لكي يدفع ثمن حماقاتك!

وزدت من عذابها، وسببتها في ألمها، ونسيت آلامي.

تفلت مني الريشة. يجب أن أعاني، وداعًا، أيها الجلادون، يجب أن ألعنكم.

إلى مدام دو ساد

(فينسين، 1783)

تُحفر الحسنات في قلبي أيضًا قبل الممارسات السيئة على الأقل، كنت بلا شك حساسًا للكياسة التي عاملوني بها، عندما وقعت حادثة عيني، حيث سمحوا للرجل الذي يخدمني، بالبقاء معي كما كان في البدايات وقت تناول طعامي.

لكن بمنحهم لي هذا، كانوا قد نسوا شيئًا أساسيًّا واحدًا:

أن يحدِّدوا لي مدى الأشياء التي يجب أن أتحدَّث عنها وتلك التي يجب أن أمتنع عنها. نظرًا لأن عبقريتي المتواضعة لم تسمح لي برؤية حدود هذه الأمور، كان من الضروري أن يسلِّموني شفرة تتعلَّق بهذا الموضوع. بغض النظر عن الصعوبة التي واجهتها وأن أنبش في رأسي عن أكثر الموضوعات تافهة وسطحية للحديث عنها، ما زلت غير سعيد بما يكفي حيث تجتذبني عمليات الرفض التي، كما قد تعتقدين جيدًا، ستكون باهظة الثمن يا عزيزتي، دون كلمة الشرف التي لقد أعطيتها لأترك الآخرين يعتنون بالانتقام.

لكن على الأقل عليهم أن يأخذوها. أعتقد أنني قد اتُهمت مرتين بالفعل، أحدهما حينما سألت عن أسماء الوالدين بالمعمودية للابن الأكبر لملك فرنسا، والأخرى حينما سألت ما إذا كان الجراح لديه الكثير من

الأشخاص لتناول العشاء في يوم العيد. كما ترين بالفعل، من هذا، أنه من الضروري أن يُرسل لي كتالوجًا صغيرًا من الأشياء التي يمكنني قولها، حتى لا أعرض نفسي بعد الآن لأسئلة بهذه الخطورة!

جوهر الأمر كله، ها هو. بادئ ذي بدء، لقد جعلوني، وقلت ذلك دائمًا، رجل وقح للغاية؛ الدم الغليظ اللاذع لهذا الوقح الشرير يصبح حادًا ويلتهب أكثر لسببين: الأول، الالتزام بالبقاء، أي الالتزام بعمل بشري وصادق، شرطان قاسيان لرجل من هذا النوع؛ السبب الثاني، سبب يأسه، يأتي على وجه التحديد من اللاتأثر بحديثي أو الدم البارد وعدم الاهتمام به. لا أزوِّدهم بأي شيء في التقارير؛ ولا أتقدَّم بأي وشاية، ولا يوجد ما يسمَّى ماء للشرب معي، مما يجعله غاضبًا، وعدم القدرة على التعامل بوقاحة مع الأسئلة الجادة، فهم يوبِّخون البؤس، وكل هذا لا يجعل حياتي حلوة. ثم اشرحي لي ماذا يعني هذا الرجل بكلماته الدائمة: أتريد إخراج الديدان من أنفي؟ لا أفهم ذلك، أولًا وقبل كل شيء، لأنه من الضروري للغاية بالنسبة إلي أن أفعل ذلك، وثانيًا، لأنه يبدو لي أنه من الصعب جدًّا وثقيل جدًّا أن أقول لنفسي: أتريد أن تسحب الديدان من أنفي. إذًا هو لديه ديدان، إذا يخشى أن نسحبها منه؟ وها هو فجأة يعترف، من خلال غباء كلماته، بشيئين لم أكن لديَّ أدنى فكرة عنهما، وأن هناك جانبًا خفيًّا في كل هذا، وأن لديه سر اللغز. كيف ترين الأمر ما إذا كانوا نافذي البصيرة، الأشخاص الذين توظيفنهم؟ ها هم، كلمة بكلمة. من خلال القيام بذلك يُحط من قدرنا، أنا وأمك، هي حيث سلَّمتني إلى سجَّان، وأنا حيث أصبحت درعًا لسخريات السجان، على الأقل، إذا كان لا يزال لديها القليل من المشاعر في روحها الموحِلة، كان ينبغي عليها تمرير تعليمات هؤلاء الساخرين من

خلال الأشخاص الشرفاء الذين، من خلال قولها، كان من الممكن أن ينقلوها بأدب، ولياقة وصدق وهو ما من شأنه أن يوراي مثل هذا العار من أجل شرفِها وشرفي. لكن هذه الفظاظات لا تحدث لهذا الرجل، بالفعل الوقح للغاية، سوى من خلال نذل أكثر وقاحة، يُنسق ذلك اللطف بين هذين الشخصين المضحكين مع انفجارات كبيرة من الضحك، كما يجب أن يكون الأمر دون شك، وهذا أصبح نوعًا من المرح بالنسبة إليهم، فلتري إنه يجب أن يوشَى به على هذا النحو، ولتري كم هو مخلوق بغيض للغاية، وشائن بدرجة كافية، بحيث يضع في مثل هذه الموقف شخصًا ينتمي إليها عن كثب! نادرًا ما أتحدَّث عن كل هذه التفاهات، ولا أتحدث عنها أبدًا دون ندم، ولكن نظرًا لأنه لا يوجد أحد عندما يتصرف هذا الرجل، ويمكنه أن يبيعك كل ما يشاء، فمن الجيد أن أقول لك من وقت لآخر كيف تسير الأمور، بحيث يمكنك الحكم على الأقل إذا كانت تسير كما تريدين.

على سبيل المثال، لقد أعدت ترتيب فراشي اليوم ووجدت أن المفرش الصوف قد سُرق. هل هذه إشارة؟

إذا كان الأمر كذلك، فامنحيه مكافأة، لأنَّه لم يفعل ذلك جيدًا فحسب، بل أكَّد لي أيضًا أنه يجب عدم إعادة ترتيب فراشي أو أنها تكون كذلك. منطق أبدي وساحر!

من الضروري دائمًا مع هؤلاء الأشخاص، إما أن أفعل ذلك دون الشيء المطلوب، أو أن يكون لدي أمرًا عزيزًا جدًّا وسيئًا للغاية: لا يوجد حل وسط. ما كان يطلق عليهم في السابق قطاع الطرق في فرنسا لم يسلبوا الفلاح التعِس مع الإفلات من العقاب ولم يكن لديهم منطق أكثر اتساقًا معه. يمكن القول، هناك تشابه كامل تقريبًا؛ وهذا يسمَّى دار الإصلاح! في

وسط أفظع وأدنى الرذائل يجب على الإنسان التعيس أن يتعلم الاعتزاز بالفضيلة! ومن أجل عدم احترامه لمؤخّرة العاهرة، يجب على الأب أن يخاطر بألا يكون محبوبًا من أطفاله أبدًا، لأنه فُصل عنهم، وانتزع من بين ذراعي زوجته، ورعاية أرضه، وسُرق، ودمِّر، وأهين، وضاع، حتى لا يستطيع قيادة أطفاله في العالم، أو لا يستعيد عافيته هو نفسه، سواء كان درع الصدر أو لعبة لمجموعة من السجانين، أو مرعى ثلاثة أو أربعة أوغاد آخرين، ليضيع وقته وصحته وماله وأن يحبس كالمجنون في قفص حديدي لمدة سبع سنوات! ولماذا كل هذا؟ ما الأسباب التي يمكن أن تحدِث مثل هذه الآثار العظيمة؟ هل خان الدولة؟ هل تآمر كل يوم ضد زوجته، وأطفاله، وملكه؟ على الإطلاق؛ لم يحدث شيء من كل هذا. من سوء حظه أن يقتنع بأنه لا يوجد ما هو أقل احترامًا من العاهرة وأن الطريقة التي تستخدمها بها يجب أن تكون مساوية للطريقة التي تدفع بها سرجك. بالتأكيد هناك أخطاء وأخطاء جسيمة تستحق أن تدمِّر الرجل.

إذا كنَّا سنخبر ملك أكيم، الذي يخدمه سبعمائة من الأوغاد الذين يُجلَدون ثلاث أو أربعمائة جلدة كل يوم لأدنى خطأ، والذي يضع على رؤوسهم السيف الذي يستخدمه في الجيش، أو لإمبراطور جولكوندي، الذي لا يذهب في نزهة إلا على اثنتي عشرة امرأة مهيأة كالأفيال، والذي يقتل اثني عشر من يده في كل مرة يموت فيها أمير من أمراء الدم؛ وأقول، إذا كنا سنخبر هؤلاء السادة أنه يوجد في أوروبا زاوية صغيرة من الأرض يقوم فيها رجل فرنسي برشوة ثلاثة آلاف من الأوغاد كل يوم لمعرفة كيف يمكن لمواطني هذه الزاوية الصغيرة (الأشخاص الذين يقولون إنهم أحرار جدًّا) يعملون على زيادة المادة المنوية؛ وأن هناك أبراجًا محصَّنة جاهزة،

وسقالات جاهزة لهؤلاء الأشخاص الأحرار جدًّا الذين لم يتمكنوا بعد من فهم أن هناك جريمة كبرى في ترك القفل على اليمين بدلًا من اليسار؛ وأن أقل ارتفاع في درجة حرارة الرأس في وقت مثل هذا، عندما تريد الطبيعة أن نفقدها ويريد الرجل الأسود منا الاحتفاظ بها، عوقب بالإعدام أو السجن من اثني عشر إلى خمسة عشر عامًا؛ إذا، كما أقول، كنا ذاهبين لنخبر بذلك الملوك الذين ذكرتهم للتو، ولتعترفي بأن لديهم بدورهم سببًا وجيهًا لإسكات الخطيب مثل المجنون... لكن السبب هو أن هؤلاء الناس ليسوا متحضِّرين، وأنهم لا يتمتَّعون بسعادة أن تضيئهم شعلة المسيحية، وأنهم عبيد، وأننا، على العكس، مسيحيون جدًّا، ومتحضِّرون جدًّا. وأحرار جدًّا.

يا صانع هذه الكرة المستديرة الصغيرة السيئة، أنت، الذي قد يكون وضع عشرة مليارات مثلنا في هذه المساحة الهائلة، بنفخة واحدة، أنت الذي لن تكلفك خسارة هذه العشرة مليارات تنهيدة، كيف يجب أن تستمتع بكل حماقات النمل الصغير الذي أعجبك أن ترش به كرتك، كيف يجب أن تضحك من ملك آكيم الذي يجلد سبعمائة امرأة، وإمبراطور جوكلوند الذي يضعهن في وظيفة الخيول والرجل الفرنسي الذي يريدك أن تحافظ على رأسك عندما تفقد إ...ته مساء الخير زوجتي الصغيرة.

إلى مدام دو ساد

(الباستيل، 8 مارس 1784)

بعد مرور أربعة وثلاثين شهرًا على رفض النقل رسميًا إلى حصن يقع على بوابة أرضي، حيث كانت قد منحت لي الحرية التامة، بعد أن طلبت نعمة السماح لي بأن ينتهي بي الأمر بسلام حيث كنت، مهما كان السوء الذي كنت فيه، بينما كل الوقت تسعد والدتك بالتضحية بي من أجل انتقامها، أربعة وثلاثين شهرًا، كما قلت، بعد هذا الحدث، رأيت نفسي بلا قوة، دون إفهامي أي شيء، دون إخباري بأي شيء، مع كل هذا الغموض، كل هذا الحماس، كل هذا الدفء الذي لا يكاد يغفر له من خلال أول انفعال لقضية أكثر تماسكًا، ومسطَّحة بقدر ما هي سخيفة بعد اثني عشر عامًا من المحنة. وأراني مختطف لأين؟ إلى سجن أكون فيه أسوأ ألف مرة وأكثر حزنًا ألف مرة مما كنت عليه في المكان المؤسف الذي أغادره.

بمثل هذه السوابق، يا سيدتي، ومهما كانت نفس الأحلام البغيضة التي يُسعى إلى التخفيف من حُلكتها الفظيعة، فإن مثل هذه الإجراءات، ستعترفين لي، تدين بذروتها لكل الكراهية التي أكدت عليها لعائلتك الشائنة. وأعتقد أنك ستستخفين بي في المرتبة الأولى إذا لم تتطابق حلقات انتقامي يومًا ما مع كل عوائدها الشرسة.

لا تقلقي، وتأكَّدي من أنه لن يكون لديك أي شيء لتوبِّخيني به، لا أنت ولا الحكومة.

لكنني لن أمتلك الجدارة ولا عناء الابتكار، والبحث بغضب بارد عما يمكن أن يصنع السم الأكثر مرارة الذي يجب استخدامه. سيبدأ كل شيء من داخلي، وأقوي قلبي، وسأدع كل الينابيع تعمل، وتأكدي من أن الأفاعي التي يزفرها سوف تساوي تلك التي ألقيت في وجهي. لكن دعينا ننتقل إلى التفاصيل. في هذه الحالة، إنه الفعل وليس الكلام، وطالما أن ذراعك مقيدة، فالتزم الصمت. هذه هي دروس الباطل التي تلقيتها: سأستفيد منها، نعم، سأستفيد منها، وسأكون في يوم من الأيام مخادعًا مثلك.

منذ عشرين عامًا وأنت تعرفين، يا سيدتي، أنه من المستحيل تمامًا بالنسبة إلي اختيار غرفة بها سخان وقود، ومع ذلك (بفضل كياسة أولئك الذين تدخَّلوا في هذا النقل) في غرفة من هذا النوع أنا محبوس. لقد كنت منزعجًا جدًّا من ذلك هذه الأيام لدرجة أنني توقفت عن إشعال النار، ومهما كان الطقس، فأنا متأكِّد من أنني لن أفعل ذلك.

لحسن الحظِّ إنه الصيف. ولكن إذا كان يجب أن أكون هنا في الشتاء المقبل، فأرجو أن تهتمِّي بالترتيب للحصول على حجرة بمدفأة.

أنت تعلمين أن التريُّض أكثر أهمية بالنسبة إليَّ من الطعام نفسه. ومع ذلك فأنا في غرفة بحجم نصف الغرفة التي كنت أعيش فيها ولا يمكنني الاستدارة فيها، ونادرًا ما أخرج للذهاب لبضع دقائق في فناء ضيق حيث لا يتنفس المرء سوى هواء غرفة الحراسة والمطبخ وفيه أُقاد والإصبع على زناد البندقية، كما لو كنت أرغب في خلع لويس الـ16! أوه، كم نزدري

الأشياء الكبيرة، عندما نولي أهمية كبيرة للأشياء الصغيرة! الدوخة التي أنا عُرضة لها، نزيف الأنف المتكرِّر، الذي يمسك بي عندما لا أستلقي ورأسي مرتفع بشكل غير عادي، أجبرني، كما تعلمين، على الحصول على وسادة كبيرة حقًّا. عندما أردت أن آخذ هذه الوسادة المؤسفة، بدا لي أنني أردتُ إزالة قائمة المتآمرين من الدولة؛ لقد انتزعوها ببربرية من بين يدي، بحجة عدم التسامح مطلقًا مع إجراءات بهذه الخطورة. وبالفعل رأيت بوضوح أن روح ما سري للحكومة أراد بلا شك أن ينام السجين ورأسه منخفضًا، لأنني عندما أردت تقليل آثار هذه الوسادة التي حرمت منها، طلبت بتواضع أربع حشيات هزيلة، اعتبروني مجنونًا. لقد نزل المفوض وتحقق من أنني كنت أستلقي بشكل سيئ للغاية، وصدر الحكم بأنه لم يكن من المعتاد أن أكون غير ذلك. في الحقيقة، أنا أحتجُّ على أنه يجب عليك أن تري هذه الأشياء لتصدقيها، وأنه إذا قيل لنا إنها تحدث في الصين، فسرعان ما يهتف شعبنا الفرنسي الحنون والعطوف: آه! البرابرة!

إلى جانب ذلك، يقولون إن على ترتيب سريري وأن أكنس غرفتي. الأول، أفضل بكثير، لأنه يحدث بشكل سيئ وهذا يرفِّه عني. لكن الثاني للأسف ليس لدي أدنى فكرة عنه. إنه خطأ والديَّ في عدم إدراج هذه الموهبة في تعليمي. هو أنهم لم يكونوا يتوقعون... أشياء كثيرة. إذا كانوا قد توقعوا ذلك، فلن يكون هناك خادم ملهى يجبرني على شيء. في غضون ذلك، يرجى الترتيب لإعطائي بعض الدروس. لو تركوا الرجل الذي يخدمني يمسحها مرة واحدة فقط في الأسبوع لمدة أربع أو خمس سنوات: سأتأمله وسترين بعد ذلك أنني سأفعل مثله تمامًا.

لقد حظيت سبع سنوات في «فينسين» بالسكاكين والمقصات دون أن

ينتج أي إزعاج عن ذلك. لم أتحسَّن منذ تلك السنوات السبع، وأنا أعلم ذلك جيدًا، لكنني لم أتدهور أيضًا. ويمكن أن يكون هذا رمزيًا، وعليه فلقد سُمح لي بالاستخدام الكامل لهاتين الأداتين.

أنا عارٍ، الحمد لله، باختصار، كما خرجت من رحم أمي. لم يكن مسموحًا لي بأخذ أي شيء على الإطلاق: أقسم باستثناء قميص النوم، والقلنسوة، وأصرخ يا سيد «روجمون»، لقد تركت كل شيء، وأرجو أن تحضر لي دون أن تفشل في زيارتك الأولى، قميصين، ومنديلين، ستة مناشف، وثلاثة أزواج من النعال، وأربعة أزواج من الجوارب القطنية، وغطاءين قطنيين للرأس، وعصابتين للرأس، وغطاء أسود من قماش التفتا، ورباطتي عنق من الموسيلين، وبُرنس حمام، وأربع مناشف صغيرة بحجم 5 بوصات مربعة ضرورية من أجل حمام عيني، وبعضًا من الكتب الموجودة في قائمتي القديمة. وكل هذا بشرط أن أتسلم صناديقي وأطقمي من فينسين في غضون أسبوعين، لأنه إذا كنت سأبقى لفترة أطول دون تسلُّمهم، فسيكون من الضروري، من فضلك، أن يضاعف ذلك أو يكون ثلاثة أضعاف، بالنظر للوقت الذي تتوقع أنه لا يزال يتعين علي أن أكون فيه دون أمتعتي.

أتوسل إليك أن تضيفي إلى هذا العناصر التالية التي لا علاقة لها بالصناديق، أي أنني بحاجة إليها دائمًا، سواء كنت سأتسلم أطقمي عاجلًا أم آجلًا (أشياء عاجلة: وسادة الردف الخاصة بي، التي تركتها في فينسين، ونعالي المكسوة بالفراء، ومرتبتيّ ووسادتي).

نصف دزينة من علب المربى؛ نصف دزينة من الشموع؛ بضع حزم الشموع الصغيرة، الحزمة بها خمس عشرة؛ نصف لتر من الكولونيا

وتكون أفضل من الأخيرة عديمة القيمة على الإطلاق؛ نصف لتر من ماء الورد لعيني، حيث ستضعين فيه نصف ثلث الماء، أي على نصف لتر خمسة أضعاف من ماء الورد ومرة ماء الحياة، ومتابعة الكتب المطلوبة منذ فترة طويلة وكذلك أرسلي ما تبقى من المسرحيات الكوميدية الجديدة لملء الكتالوج.

الاستجابة للأشياء التي طلبتها في هذه الرسالة، إذا كان ذلك ممكنًا بالنسبة إليك، يمكنني أن أقول مرة واحدة على الأقل إنك كنت مفيدة لي في أي شيء في اعتقالي وخاصة مرتبتيْ سريري ووسادتي الكبيرة. أتركُ كل شيء آخر للمطَّلع على الرسالة.

إذا أخبرك أطباء العيون أن ماء البحر والمسحوق المعني لا يزالان ضروريين لعيني، والتي هي دائمًا في نفس حالة السوء، ستحضرين لي هذه الأشياء المتبقية في فينسين.

فلتعجلي بشحن أمتعتي، أتوسل إليك، حسنًا! العزيزة عليَّ جدًّا واللطيفة جدًّا وفوق كل شيء زوجتي الصريحة جدًّا، لقد كنت تخدعينني بشكل لطيف عندما وعدتِني، في كل زيارة من زياراتك، بأنك ستكونين من يأتي ويأخذني، وأنني سأخرج حرًّا وأنني سوف أرى أطفالي! هل كان من الممكن أن تكوني أكثر دناءة وأقل غشًّا وكذبًا؟

وأخبريني الآن إذا كنت تعتقدين أنهم يعملون من أجل سعادة حياتك، أولئك الذين يسمحون لك بخداع زوجك بشكلٍ خسيس؟ صديقتي العزيزة، إذا أخبروكِ، إنهم يخدعونك: أخبريهم إنني من يؤكد لك هذا.

منذ عودتي إلى فينسين، بعد كل الفظائع السابقة التي لم أنسها على

الأقل، لكن منذ هذه العودة، لم يعد يتبق لك ولتابعيك سوى طعنتين تطعناني بهما: غيروا سجني واجعلوا ابني يغادر إلى شخص لا أريد أن يكون في خدمته على الإطلاق ومن دون أن أراه. لقد منحتِني كلَّ ذلك. لن أكون جاحدًا، أقسم لك بكل ما أقدس في العالم.

أحييك بتواضع شديد، يا سيدتي، أتوسل إليك أن تنتبهي إلى رسالتي وطلباتي ومهمّاتي، خاصة أنها تدخل في خطة حياتي الجديدة هنا حيث لن أرسل إليك غير قوائم فقط، وهذا يعني أن هذه رسالتي الأولى والأخيرة.

[في الهامش على اليمن:]

[تذييل] أعتقد أنه من الأفضل أن تكافئي الشخص المطَّلع، الذي لا يمكنني إلا أن أشيد بنفسي بخدماته، ولا سيما أنني أشعر بالفرق الشديد الآن، أوصيك به.

إلى مدام دو ساد

(الباستيل، 4 سبتمبر 1784).

المنطق السامي للرئيسة كوردييه.

منذ ستة أشهر، وزوج ابنتي منزعج من مجرد تفاهات: نقتلع عيونه، ونكذب عليه، ونادرًا ما نجعله يستنشق الهواء. كل هذا لا شيء. لا أستمتع، بطني ينتفخ، لم أعد أستطيع الهضم، ليالي عاصفة. مرحبًا، أيها الجلادون! فلتقتربوا، وعذبوا زوج ابنتي بشكل أفضل قليلًا، من فضلكم.

الجلاد،

أو الحارس الشخصي السابق لـ «لوسم»

لكنه، يا سيدتي، يتصرف مثل ملاك. ماذا تريدين منا أن نفعل به بحق الجحيم؟

مدام كوردييه

أيها الوغد! هل أدفع لك من أجل مدحه؟

لا يهمني ما إذا كان يتصرف بشكل صحيح أو خاطئ؛ إذا كنت لا تستطيع أن تعنِّفه على أخطائه، فلتعاقبه على فضائله. هل تتجاهل فن صناعة المشاهد، فن نصب الفخاخ؟ أليس هذا هو سبب رشوتي لك؟ زوج ابنتي نبيل في مشاعره، اجعله وقحًا؛ سوف يلعنك... هناك في غرفته،

وبالتالي لم يعد يتنزه. وبعد ذلك، لا يعود للتفكير في طبقة النبلاء؛ معي وأنا لست أقل من نبيلة! إن زوج ابنتي مسئول عن تدبير شئونه؛ لا يحب أن يرمي نقوده خارج النافذة. اجعله يدفع 28 جنيهًا و17 صولة مقابل قطعة زنة 6 أرطال. سوف تشارك في الربح. سيصرخ، سيقول إنه أجبر على يدفع ثمنًا غاليًا مقابل ما يشتريه: من هذه اللحظة؛ ممنوع الشراء لنعلِّمه ألا يكون مبذرًا. وهكذا ترى جيدًا، أيها الأحمق، أنه لا يمكن لومه على الرذائل، بل معاقبته على الفضائل! وأنني سأنام، وأنني سأتغوط، إلخ.

ومع ذلك، ها هي الأسباب المنطقية المنحطة لأمك البائسة! وإليكِ كيف تديرني هذه الجابية البغيضة لمدة اثني عشر عامًا وتقودني في كل شيء! وأنت تدَّعين أنني لن أنتقم؟ وتتخيلين أن كلمة «حر» ستجعلني أنسى كل شيء؟ فلتعتبريني أجبن وأخس الرجال إذا حدث ذلك.

الهواء والفاكهة، بشكل رئيسي في هذا الموسم، هما غذائيْ حياتي: بين ذبحي أو حرماني منهما، لا يوجد أدنى فرق بالنسبة إليَّ. نحن نتغذَّى هنا بشكل كريه. طالما لدي ما أستعيض به عنهما، لن أقول شيئًا عن ذلك. يجب أن أشتكي من ذلك عندما لا أستطيع العيش. على الرغم من أن مطالبتي لك باحتياجاتي أو التحدُّث إلى حجر هو نفس الشيء، إلا أنني أتوسل إليك لإظهار أنني لا أستطيع العيش دون هذين الشيئين وأن تركز المضايقات على شيء آخر، إذا كان ذلك ممكنًا، لأنها يجب ألا تتعلق بالاحتياجات، وهذان العنصران حقيقيان بالنسبة إليَّ. إذا رأيتِ يخنة اللحم النتنة والكريهة التي تقدَّم هنا، فستفهمين بسهولة حاجة الشخص الذي اعتاد على الطعام الشهي، ليستعيض عنها بشيء آخر من ماله. لم يعد بإمكان المرء ادعاء ذريعة الشكوى المزعومة بأنني سُرقت، لأنني قدمت شهادة على عكس ذلك. لذلك لا يوجد شيء أكثر من الغضب والعصبية لرفض أن أشتري وخاصة عندما تدفعين بالضبط كما أتمنى أن تفعلي – في غضون ذلك، يُرجى إكمال القائمة التالية.

قائمة الطلبات التي ستفصل عن الرسالة، إذا أرادوا، ولكن أطلب من زوجتي إرسالها إليَّ على الفور.

سلة فواكه مكونة من:

خوخ.......................... 12

رحيقاني......................... 12

كمثرى طرية......................... 12

عناقيد عنب......................... 12

نصف ناضجة؛ فالأخضر يمكن الاحتفاظ به ثلاثة أو أربعة أيام؛

برطمانان من المربى.

دزينة من كعكات بورت رويال، بما في ذلك ستة برائحة زهر البرتقال و2 رطل من السكر؛ ثلاث علب شموع.

أتوسل إليها أن تسرعي بشحنها؛ وبالتالي ليس لديها ذريعة نقص المال، فهذه حوالة.

أتوسل إلى الرئيسة «مونتروي» أن تكون جيدة بما يكفي لتصرف لابنتها السيدة «دو ساد» مبلغ مائتي جنيه، تحت حساب متأخرات المهر، التي سأضعها في الاعتبار عند استدعائها الأول. كتبت في باريس في الرابع من سبتمبر ألف وسبعمائة وأربعة وثمانين.

دو ساد

إلى جوفريدي

(باريس، أوائل مايو 1790)

لقد تلقَّيت على الفور رسالتك المؤرخة في الرابع عشر، وكما أرى أنها لا يمكن أن تكون ردًّ على رسالتي، فأنا لست مندهشًا على الإطلاق لأنني لم أجد في الرسالة أحد السندات المالية الذي هو أفضل بكثير من رسائل الحب حيث نحصل به على المال على الفور. يجب ألا تشك في أنني إذا لم أكتب إليك في أثناء اعتقالي، فذلك لأنني سُلِبت الوسائل. لا أسامحك على افتراض سبب آخر لصمتي غير ذلك. لم أكن لأبدأ في العمل، فما الفائدة من ذلك في وضعي هذا؟ لكنني كنت سأطلب معرفة أخبارك، وكنت سأعرِّفك أخباري، من وقت لآخر، كنا سنلقي بالزهور على السلاسل التي كانت تغطيني. لم يريدوا ذلك. الرسالة التي جازفت بها في هذا الاتجاه أعيدت إليَّ فجأة؛ لم أعد أكتب. لذا أكرِّر لك عزيزي المحامي، لا أسامحك لأنك شككت في مشاعري تجاهك. لقد عرفنا بعضنا بعضًا منذ الطفولة، وأنت تعرف ذلك؛ كانت صداقتي بالنسبة إليك هي التي حسمت أمر ثقتي بك؛ بسبب هذه الصداقة وحدها، توسَّلت إليك ذات مرة لتصبح بالفعل القائم على تصريف شئوني؛ فما السبب الذي كان من الممكن أن يغيرني؟ ليس خطأك أنني ألقي عليَّ القبض في «لا كوست»، إنه خطئي؛ اعتقدت أنني كنت آمنًا

للغاية ولم أكن أعرف أي عائلة كريهة كنت أتعامل معها. أجامل نفسي لأنك تفهم بسهولة أنني أتحدَّث هنا فقط عن عائلة «مونتروي»؛ لس لدى أحد أي فكرة عن الإجراءات المريحة والجهنمية وآكلي لحوم البشر التي مارسها هؤلاء الأشخاص ضدي. كنت سأكون آخر الناس على وجه الأرض الذين لم يجرؤوا على المعاملة الهمجية التي كنت ضحية لها؛ باختصار فقدت عينيَّ وصدري. اكتسبت هناك، بسبب قلة التريض، جسدًا هائلًا لدرجة أنني بالكاد أستطيع أن أتحرك؛ ماتت كل مشاعري هناك. لم أعد أميل لأي شيء، لا أحب أي شيء؛ العالم الذي أصابني بالجنون لدرجة أن الندم كان يبدو مملًّا... حزين! هناك أوقات أشعر فيها برغبة في الذهاب إلى منطقة «تراب» ولا أرد على أي رسالة حتى لا أختفي ذات يوم رائع دون أن يعرف أحد ما حدث لي. لم أكن أبدًا في مثل هذه الكراهية للبشر منذ أن جئت بين الرجال. وإذا بدوت غريبًا عليهم عندما أظهر لهم، فقد يكونون متأكدين تمامًا أنهم يحدثون نفس التأثير عليَّ. كنت مشغولًا للغاية في أثناء فترة احتجازي، تخيل يا محاميَّ العزيز أنه كان لدي خمسة عشر مجلدًا لأطبعها؛ عندما أغادر هناك بالكاد يتبقَّى لدي ربع هذه المخطوطات. مدام دو ساد، من خلال إهمال لا يُغتفر، تركت بعضها يضيع، وتسببت في أخذ البعض الآخر، وها هي ثلاثة عشر عامًا أهدرت! ثلاثة أرباع هذه الأعمال بقيت في غرفتي في الباستيل. سأنقل في 4 يوليو إلى «شارنتون»؛ في الرابع عشر، استُولي على الباستيل، وأطيح بمخطوطاتي، ستمائة مجلد، ألفي رطل من الأثاث، صور ثمينة، لقد مُزق كل شيء، حرق، نُقل بعيدًا، ونُهب، دون أن أتمكن من العثور على أي ذرة منه؛ وكل هذا بسبب الإهمال

المطلق لمدام دو ساد. كان لديها عشرة أيام لجمع متعلقاتي؛ لم يكن لديها شك في أن الباستيل، الذي كان قد أتخم خلال هذه الأيام العشرة بالأسلحة والبارود والجنود، غير مستعد سواء للهجوم أو للدفاع. لماذا لم تكن في عجلة من أمرها لإزالة متعلقاتي؟ من أجل مخطوطاتي التي خسرتها ذرفت دموع دماء! يمكن أن نعثر على أسرَّة وطاولات وخزائن ذات أدراج ولكن لا نعثر على أفكار... لا يا صديقي، لا، لن أصور لك أبدًا يأسي على هذه الخسارة، فهو أمر لا يمكن إصلاحه بالنسبة إلي. منذ ذلك الوقت، لم تعد السيدة دو ساد الحساسة والمرهفة تريد رؤيتي. كان سيقول آخر: «إنه أمر مؤسف، يجب أن نمسح دموعه»؛ لم يكن منطق المشاعر هذا هو منطقها. لم أفقد ما يكفي، إنها تريد أن تدمِّرني، وترفع قضية لطلب الطلاق.

سوف تضفي، من خلال هذه العملية التي لا يمكن تصورها، الشرعية على كل الافتراءات التي قُيِّئت ضدي؛ ستغطينا أنا وأبناءها بالمصائب والعار، وكل هذا لتعيش، أو بالأحرى لتعيش حياة خاملة بشكل لذيذ، على حد قولها، في دير، حيث يعزيها أحد المعترفين بلا شك، ويمهد في عينها طريق الجريمة والرعب ووصمة العار حيث سيورطنا جميعًا سلوكُها. عندما تتلقى هذه المرأة النصيحة من ألد أعدائي، سيكون من المستحيل عليهم أن يكونوا أسوأ وأكثر خطورة. يمكنك أن تفهم بسهولة، أيها المحامي العزيز، أنه من خلال المبالغ التي صرفت من قبل من مهر زوجتي (مائة وستين ألف جنيه) والتي يجب أن ترد من ممتلكاتي، فإن هذا الطلاق سيخربني، وهذا هو ما يريده الوحوش. للأسف، أقسم لك!

كنت قد أمنت أن سبعة عشر عامًا من المحنة، ثلاثة عشر عامًا منها مسجونًا في زنازين مروعة، يمكن أن تكفر عن بعض تهور الشباب. كما ترى يا صديقي، كنت مخطئًا. لم ينحسر غضب الإسبان أبدًا، وهذه العائلة البغيضة إسبانية. كما قال فولتير في مسرحية زائير: «أنت تبدو إسبانيًا... هل تعرف كيف تسامح؟».

إلى رينو[1]

(باريس، 19 مايو 1790)

نعم سيدي، لقد تشرَّفت بإخبارك في الماضي أن أفضل ما يمكنك فعله هو ترك الأوغاد عندما يكون لديك سوء حظ كونك محاطًا بهم.

ما كنت قد وضعته في حكمة إذ ذاك، لقد وضعته مؤخرًا موضع التطبيق؛ وأشكرك جزيل الشكر من أعماق قلبي، على الاهتمام الذي يبدو أنه استحوذ عليك، وعلى علامات تلقيتها من الصداقة التي وددت بالفعل أن تحافظ عليها معي.

بالتأكيد، لم يكن ضباط شرطة فالينس أفضل من ضباط الباستيل ورهبان شارنتون، وبمجرد أن انفصلت عن بعضهم دون الكثير من المراسم، كان بإمكاني، كما يبدو لي، أخذ إجازة من الآخرين دون الكثير من الاهتمام.

لكن هل تعرف هذه الحكاية؟ إنها لاذعة بدرجة كافية بالنسبة إلي كي أحكيها لك.

قبل ثمانية أيام من حصار الباستيل، كنت أتوقع تمامًا الطريقة التي ستجري بها الأمور، ولم يهتم الأعزاء «مونتروي» بأني أخاطر بالحصول على حريتي مثل رفاقي. في يوم الحصار، حرصوا على نقلي إلى شارنتون.

---

(1) محامي الماركيز في أيكس.

سيدي، هناك، هؤلاء الأوغاد، هؤلاء الحقيرون عائلة مونتروي الذين أحتقرهم مثل طين الشوارع، كانوا من الخسة بأن تركوني أعيش لمدة تسعة أشهر في وسط مصحة للمجانين والمصابين بالصرع... لم أتمكن من الفهم بعد كيف لم أمت هناك! أخيرًا، في نهاية الأشهر التسعة، جاء أولادي لرؤيتي، قرر أحدهم أن يسأل في يوم، بأي حق وبأي صفة يحتجزونني. لم يجرؤ على ذكر أوامر الملك التي لم نعد نعرفها، ألقى بالأمر على عاتق الأسرة...: أوه، حينئذ، قلت لهذا السجان، هذه الأوامر، يا سيدي، اليوم أسوأ من تلك الصادرة عن الوزارة، لم أعد أعرفها... أطلب منك فتح الباب لي. لم يجرؤ المضحك على المقاومة. الباب مفتوح على مصرعيه وأتمنى له مساء طيبًا.

هذا هو بالفعل المثل، على ما أعتقد، رفقة رائعة كهذه لا يمكن التخلي عنها.

بالمناسبة، الآن يا سيدي، كي أنجز الرد على الصداقة التي تريد أن تبرهن لي عليها.

لا شيء يضاهي الإجراءات المشينة لعائلة مونتروي تجاهي. لقد دعموها في الفترة الماضية، وغضبوا لرؤيتي حرًّا؛ الآن لا يوجد شيء في العالم لم يأتوا به لإثارة اشمئزازي. هل يرونني ثابتًا، راسخًا في مكان ما؟ أرسلوا على الفور مبعوثيهم هناك ليقولوا مئات الأشياء المرعبة ضدي.

أجبروا زوجتي على الانفصال عني. لم تكن ترغب في ذلك. لا يوجد شيء لم يخترعوه، ولا شيء لم يفعلوه لتحقيق ذلك. لقد سعوا إلى العار إلى حد دفع الصحفيين لتمزيقي في صحفهم، باختصار، منذ أن عرفت

هؤلاء الوحوش، هل تريدني أن أخبرك بما أؤمن به الآن يا سيدي العزيز؟ أنا أكثر من مقتنع بأنهم هم الذين أطلقوا شرارة قضيتي في مرسيليا، هم الذين قاموا برشوة الفتيات لجعلهن يلقين الفظائع... التي لم أفكر فيها قط. آه! لا تتخيل أن ما أقوله هنا وهمي للغاية! اليوم، يخبرني بذلك عدد لا يحصى من الناس، دون معرفة ما الطريقة المثلى لأنفصل عن أخت زوجتي التي كنت أعيش معها في ذلك الوقت، كما تعلم؛ لقد اخترعوا هذا العار لكي ينجحوا في ذلك. هذا يكفي! لأن الغضب يسيطر عليَّ لدرجة كبيرة عندما أتحدث عن هؤلاء اللوطيين المتسولين الذين لم أعد أكتب عنهم بمرارة! ستعيقني أعمال أساسية يجب القيام بها هنا، والخوف من أن أُعلَّق في بروفانس على حبل مشنقة الديموقراطيين حتى الربيع المقبل. في هذه الفترة، أي في الأيام الأولى من شهر مارس، أنوي الذهاب إلى بروفانس مع أولادي. هذه هي خططي يا سيدي، تلك التي سأنفذها، إذا سمح لي الله وأعداء النبلاء بالعيش. في هذا الصدد، ومع ذلك، لا تعتبرني رجلًا مجنونًا. أعترض عليك لأنني فقط محايد، وغاضب من خسارة الكثير، بل وأكثر غضبًا من رؤية سيادتي مقيدًا بالسلاسل، ومرتبكًا لأنكم لا تدركون، أيها السادة، في المقاطعات، أنه من المستحيل أن يُفعل الخير ويستمر ما دامت عقوبات الملك يفرضها ثلاثون ألف متسكع مسلح وعشرون قطعة مدفع؛ لكن الندم قليل جدًّا، في أماكن أخرى، على النظام القديم؛ وبكل تأكيد جعلني بائسًا جدًّا حتى إنني بكيته. هذا هو معتقدي، وأنا أفعله دون خوف.

تسألني عن الأخبار. أهمها اليوم هو رفض الجمعية الوطنية السماح للملك بإقحام نفسه في السلام والحرب.

علاوة على ذلك، فإن المقاطعات هي التي توفر لنا كل ما نهتم به أكثر: فالنسيا، ومونتوبان، ومرسيليا هي مسارح الرعب، حيث يؤدي آكلو لحوم البشر دراما إنجليزية يومية تجعل شعرنا يقف... آه! قلت منذ زمن بعيد، بعيدًا عن نفسي، إن هذه الأمة الجميلة الحلوة، التي أكلت أرداف المارشال «أنكر» على الشواية، كانت تنتظر فقط المناسبات لتحمس نفسها، لتظهر أنها دائمًا موضوعة بين القسوة والتعصب، وستعود إلى نغمتها الطبيعية بمجرد أن تسنح لها الفرصة!

لكن هذا يكفي. يجب أن يكون المرء حذرًا في خطاباته، وأن الاستبداد لم ينكسر أبدًا بقدر الحرية. سأنتهي دون مجاملة، إذا كنت لا تمانع. إنها مخلفات قرون العبودية التي نعيشها والتي يجب أن تقوم الحرية بإبعادها؛ افعل نفس الشيء، أتوسل إليك، الطريقة الوحيدة لننتهي بشكل جيد مع الأصدقاء هي أن تؤكد لهم أنك تحبهم وأن قلبي، إذا رغبت في ذلك؛ من سيهتم بالمجاملة نحوك.

دو ساد

إلى جوفريدي

(باريس، نهاية مايو 1790)

لقد مر وقت طويل جدًّا منذ أن لاحظت بعض الخواص في سلوك مدام دو ساد عندما أتت لرؤيتي في الباستيل، مما جعلني أشعر بالقلق والحزن. دفعتني الحاجة إليها إلى إخفاء ذلك، لكن كل شيء فيها كان يزعجني. كان بإمكاني أن أرى بوضوح تحريضات المعترف، ولكي أقول الحقيقة، كان بإمكاني أن أرى أن حريتي ستوجد وقت الانفصال.

في الرابع من يوليو، بمناسبة بعض ما قمت به في الباستيل بسبب ما أصابني من استياء هناك، اشتكى حاكم السجن إلى الوزير. قال إنني أججت، من نافذتي، روح الناس، جمعتهم تحت هذه النافذة، وحذرتهم من الاستعدادات التي تجري في الباستيل، وحثثتهم على القدوم وإسقاط نصب الرعب هذا... كان كل ذلك صحيحًا. نُقلت إلى دير إخوة البر في «شارنتون»، حيث كان هؤلاء الأوغاد من عائلة «مونتروي» من القسوة ليتركوني أعاني لمدة تسعة أشهر في وسط المجانين ومرضى الصرع، الذين خصِّصت لهم فقط هذه الدار. ومع ذلك، فقد مكنني قدر أكبر من الحرية هناك أكثر من أي مكان آخر، أن أكتشف أنني لم أعد محتجزًا إلا بسبب جشع هؤلاء الرهبان وأنه كان عليَّ فقط أن أخبرهم بإصرار أنني أريد أن أخرج حتى يفتحوا الباب أمامي... فعلت أنا وأولادي ذلك. أصبحت

حرًّا، وذلك قبل عقوبة الملك المتعلقة برسالة ملكية، كما قلت في رسالتي إلى السيد « بيروتيه» التي أحيلك إليها في هذا المقال.

لكن دعنا نستأنف. ماذا يكون وقبل كل شيء أتفه من رجل، يعيش في بلدته، محاطًا بمزرعته، ووالديْ زوجته، أن يجد نفسه ينقل من سجن لائق إلى سجن غير لائق للغاية، وذلك دون أن يعلم أحد؟ سوف تعترف لي أن هناك إما سوء نية أو عدم اكتراث. لكن هذا ليس كل شيء. عند مغادرتي الباستيل ليلة 3 ـ 4 يوليو، وفق عادات الاستبداد الوزاري القديمة، لم يُسمح لي بأخذ أي شيء معي. لقد تركت عاريًا مثل يدي وكل متعلقاتي، أي أكثر من مائة لويسة من الأثاث أو الملابس أو المفروشات، ستمائة مجلد، بعضها غالٍ جدًّا، وما لا يمكن إصلاحه، خمسة عشر مجلدًا من أعمالي المكتوبة بخط اليد، جاهز للذهاب إلى الطابعة، كل هذه المتعلقات، أقول، وضعت تحت ختم مفوض الباستيل، وكانت السيدة دو ساد قد تناولت العشاء، في ملابس النوم، واعترفت ونامت. أخيرًا في صباح الرابع عشر من يوليو، تخيلتُ أن الوقت قد حان لفتح هذا الختم، وإرسال متعلقاتي... لي حيث ما زلت عاريًا (لحسن الحظ كان الجو حارًّا) وما زلت أحيا بين المجانين. لسوء الحظ، كان اليوم الذي اختارته للاستيقاظ من سباتها هو نفسه الذي توافد فيه الناس على الباستيل، حيث قتل حاكم السجن وجميع الضباط؛ حيث لم يكن هناك سبيل إلى الدخول، ونُهبت كل متعلقاتي. أسألك، أيها المحامي العزيز، إذا لم يكن هذا السلوك فظيعًا، إذا كانت مدام دو ساد، بعد أن أمضت عشرة أيام في منزلها، هل يمكن أن يغفر لها حيث تركتني للنهب... ونهب مخطوطاتي التي أبكيها طوال الوقت بدموع الدم... الأعمال التي كانت ستحقق لي فوائد ضخمة... التي كانت تعزيني

في عزلتي، وتخفف وحدتي، التي كانت قد تجعلني أقول: «على الأقل، لم أضيع وقتي سدى!» سامحني صديقي الطيب والعزيز إذا لم أضغط على هذا الظرف؛ إنه يمزق قلبي بطريقة قاسية لدرجة أن أفضل شيء يجب أن أفعله هو محاولة نسيان هذه المحنة وعدم الحديث مع أي شخص عنها مرة أخرى. ومع ذلك، وجدت شيئًا ما في المقاطعات التي ألقي فيها أوراق الباستيل، لكن لا شيء مهم... المآسي وليس عملًا واحدًا مهمًّا نوعًا ما. أوه! أتخلَّى عنها، فلأتخلَّ عنها! فقط اللّٰه! إنه أعظم محنة تحفظها لي السماء! ولتخفيف هذا الجرح، هل تعرف ما فعلته السيدة دو ساد الصادقة والحساسة؟ لديها أيضًا الكثير من أعمالي... المخطوطات التي مُررت سرًّا في زياراتها؛ تحرمني منها... وهي تقول، خوفًا من أن تسيء إلي هذه الأعمال (المكتوبة بصرامة شديدة)، في وقت الثورة، سلمتها إلى أناس أحرقوا جزءًا منها! دمي يغلي وأنا أسمع هذه الردود! لكن بما أنني لم أعد قويًّا، يجب أن أرضى بذلك وأسكت.

السيدة السماوية التي لدي ميزة التحدث عنها إليكم لم تقصر لطفها على ذلك، أيها المحامي العزيز. ما إن علمت بخروجي، حتى جعلتني أوقِّع وثيقة طلاق... وهذه المسرحية الشهيرة هي التي أود أن أراك تقرأها. كل الأفعال الشائنة التي قالوها ضدي في الحانات، في غرف الحراسة، التي جمعت فيها الوثائق، في الصحف، تشكل أساس هذه الذكرى الجميلة؛ حيث اخترعت أبشع الفظائع بشكل فاضح... وأبلغ عنها بالوشايات. إنه باختصار، نصب من الفظائع والأكاذيب والهراء، الفظ، والغامض والمكتوب بسطحية وغباء. ولم يتجنب أحد الضربة، كما تقول؟ ولم يتغلب عليها أحد؟ لا أحد يا محاميَّ العزيز! اجتمعت ثلاثة أو

أربعة آراء تنصحني بنسيان نُصُب الوقاحة هذا وعدم الردِّ عليه. لقد اتَّبعت هذه النصائح. سوف تخبرني إذا كنت قد قمت بعمل جيد أو سيئ. سوف أُدان غيابيًّا، مفصولًا عن الأشخاص وعن الممتلكات، ولكن ليس مدمرًا، كما آمل. لا أحد يستطيع لمس ممتلكاتي. لا شك في أنه سيكون من الضروري مواجهة المبالغ المهدَرة على المهر، لكنني آمل ألا يمنعني هذا من امتلاك شيء أعيش عليه، وبفضل رعايتك، ستظل أعمالي في بروفانس دائمًا في حالة جيدة لدرجة أنني لن أضطر إلى طلب الصدقات. كما ترى، أيها المحامي العزيز، كم يدفعني كل هذا إلى أن أوصيك أكثر من أي وقت مضى بالعناية بهذه الأعمال البائسة.

لكن هذا يكفي في هذا المقال؛ لم ينجز أو ينتهِ أي شيء بعد، دعنا ننتظر. كي أنتهي من تصوير وضعي وإعطائك بضع ورود على الأقل بعد الكثير من الأشواك، سأخبرك أنني أقيم مع سيدة ساحرة، كانت هي نفسها غير سعيدة، وتعرف كيف تشفق على أولئك الذين كانوا كذلك. إنها امرأة مليئة بالروح والمواهب ومنفصلة عن زوجها كما أنا منفصل عن زوجتي. تملأني بالصدق. أحيانًا أتلاشى في رفقتها، وأجرؤ على قول ذلك، على الرغم من أنه من المؤكد أنه لا يوجد أي شعور آخر غير الصداقة يدخل في علاقتنا: لا أعيش معها أبدًا دون أن أنسى محنتي. هذا هو الشخص الذي توجه رسائلك إليه. هي زوجة رئيس برلمان جرينوبل وتبلغ من العمر أربعين عامًا. أرفق هذا الظرف الأخير لأجعلك ترى أنه معي، وأنا في الخمسين، مما يجعل بيننا تسعين عامًا، لا يمكن أن يكون هناك خطر. كما أنني أتلقَّى صدقًا كبيرًا من والديَّ. السيدة الكونتيسة دو سومان، رئيسة وصيفات السيدة إليزابيث، أخت الملك؛ السيد والسيدة الكونتيسة

كليرمون تونير (اسم هذا الأخير مشهور في الجمعية الوطنية) يغمرونني بالثناء والصدق. أعدت اكتشاف بعض المعارف وبعض الصديقات. أتلقَّى مجاملات منهم، وأثقفهم، كل هذا من مركز السلام والهدوء والفلسفة الأكثر رصانة... لا مزيد من الملذات النجسة، أيها المحامي العزيز، لم يعد شيء غير متجانس، كل هذا يثير اشمئزازي الآن، بقدر ما أشعل في ذلك النار فيما مضى.

أدرك أن المزاج يفعل الكثير في هذه الأشياء. قوتي الجسدية بالكاد تكفي لكل الآلام التي أرزح تحتها. آلام السعال وآلام في العين والمعدة والرأس؛ آلام الروماتيزم، أخيرًا وما شابه. كل هذا الذي يرهقني لم يعد يتركني، والحمد لله، أفكر في أشياء أخرى، وأجد نفسي أسعد أربعة أضعاف. أشغل عند هذه السيدة التي أخبرتك عنها للتو شقة صغيرة بمائة إيكو في السنة؛ بالكاد أستطيع أن أبتعد عنها، لكن لديَّ على نحو مقبول ومبهج؛ منظر جميل، هواء جيد، ومجتمع رائع. سأنتظر بفارغ الصبر فصل الربيع حيث سأحضر بالتأكيد لأراك وأحضر لك طفليَّ.

بشكل عام، ستجد أطفالي لطيفين للغاية، وصادقي الروح، لكن باردين. لن يذهبوا إلى لا كوست، مثلي، إلى منزل الرجل الفقير، للتعرُّف على مقدراته، وموارده، وعائلته، وبالتالي لن يحظوا بالحب. أرى ذلك بألم، لكن لديهم القليل من برود عائلة مونتروي، وأنا أفضل لهم حيوية عائلة ساد. الفارس يعرف بروفانس بشكل رائع وقد أخبرني الكثير عنك. أوه! كم أنت محق، يا محاميَّ العزيز، عندما تقول إن السيادية الفعلية تكمن في العيش المستقل عن الآخرين! ومع ذلك، فإن المجتمع ضروري، لقد أدركت ذلك في فترة عزلتي الطويلة، ولتتركني كراهيتي البشر قليلًا، أشعر

أنني في حاجة إلى نثر نفسي. لقد جمع اليأس من عدم القدرة على توصيل أفكاري لمدة اثني عشر عامًا كميةً كبيرة في رأسي لدرجة أنني يجب أن أخطب، وما زلت أتحدث إلى نفسي أحيانًا عندما لا يكون هناك أحد. إنه احتياج حقيقي أن أتحدَّث، وشعرت به وبسبب هذا، أرى أن «لا تراب» لم تعد تناسبني تمامًا. بالمناسبة، هي الآن على ساحة المسارح الفرنسية، «لا تراب». بعد أن منحنا الكرادلة في مسرحية «شارل التاسع»، وراهبات في كوميديا «الدير»، الآن نمنح الكونت دو كومانج، وهي دراما من تأليف السيد «دامو»، حيث مكان المسرح في «لا تراب». لا يوجد ممثل آخر غير الرهبان، ولا ديكور آخر غير المقبرة والصلبان. نحن نختنق هناك، لقد أصبحنا إنجليزيين للغاية. ماذا أقول، المتوحشون! أكلو لحوم البشر!

دو ساد

إلى جوفريدي

(باريس، 5 مايو 1793)

يبدو لي أنه عندما يكون لدينا توكيل رسمي كامل وغير محدود مثل التوكيل الذي لديك، عندما نتعهد، بموجب هذا التوكيل الرسمي، بإرسال مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وسبعين فرنكًا كل أربعة أشهر بالضبط، علاوة على ذلك، مبلغ ألفي فرنك لسحب آثار التعهُّد، يبدو لي، كما قلت حينها، أن المجيء للتشاور حول الوسائل ليس سوى ذريعة للتأخير.

ولكن بما أن هذه التأخيرات، لسوء الحظ، تضع خنجرًا في قلبي، مثل، محرومًا من خطاب الاعتماد، ومن الفواتير التي يجب الالتزام بها ومن أي موارد للاقتراض، فمن الضروري، عندما تغفل عني، أن أموت من الجوع تمامًا، لذلك، أقول، لا يمكنني أن أغفر لك أو أضفي الشرعية بأي شكل من الأشكال على هذه التأخيرات المروِّعة، التي دفعتني إلى التسول... نعم، أفهم! أفهم بالضبط! منذ أربعة أيام لم يعد لديَّ أيٌّ من الخدم في المنزل، ولم يعد لدي أي شيء لإطعامهم، وإنني أعيش فقط من خلال الذهاب لتناول العشاء هنا وهناك. في غضون أسبوع، ستسقط ثلاثة سندات على جسدي: أربعمائة لعقد الإيجار ومائتان فواتير خاصة، وسوف يُصادر أثاثي إذا لم أدفع. إنه بالضبط يا صديقي، نعم، بالضبط عند تسلُّم رسالتك، تسلَّمتها في اليوم الخامس وأنا بلا موارد، وحيث تستشيرني ببرود حول كيفية إرسال المال لي، نعم، صدقني، أقسم بشرفي،

صحيح أنني قفزت نحو مسدسي وأنه دون صديق، كنت سأحرق عقلي! وأنت تسألني، أنت يا من كنت في موقع الجريمة، أنت يا من تملك كل القوة، تسألني كيف يجب أن تكون؟. اعفني من الردِّ على هذه الثرثرة؛ لقد آلمتني كثيرًا بالأمس لدرجة أنني أضعه أمام عينيَّ مرة أخرى. لا أستطيع أن أفعل ذلك في أي مكان آخر؛ أحرقت رسالتك على الفور حتى لا أتمكَّن من العودة مرة أخرى إلى نوبات الغضب واليأس التي وضعتَني فيها.

ما أطلبه منك هو المال، ما أريده هو المال، ما أحتاجه هو المال. لديَّ ممتلكات وفيرة تبلغ قيمتها 500 ألف فرنك. بِعْ قطعةً من الأرض فورًا مقابل ثلاثة عشر ألف جنيه أحتاجها حتى مايو المقبل لتجنب الألم القاسي الذي تتمزق به روحي مع كل ربع سنة. إن صحتي، التي تغيَّرت بسبب المحن الطويلة، لم تعد قادرة على تحمُّل مثل هذه الضربات؛ مع استمرار تلقيها، سوف تسد تلك الفتحة، وعلى الأقل لن أضعف. يبدو لي أنه في الأزمة الرهيبة التي تبقيني فيها، عندما تعطيني سلفة تبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وسبعين فرنكًا، فلن تخاطر كثيرًا، وستكون قادرًا تمامًا على السداد لنفسك تباعًا. لكن هذه الخدمة هي خدمة من صديق، والطريقة التي تعاملت بها معي مُفجعة وقاسية، هل لي أن أطالب بها؟

مهلًا! افعل! افعل بحق الله، افعل كل ما تريد، فيما يتعلق بـ «سومان»، مازان، آرل، لا كوست! قطِّعها، التهمها، أجِّرها، بِعها، إلى الجحيم، إلى الشيطان، لكن أرسل لي المال، لأنني يجب أن أحصل عليه على الفور أو أصل إلى آخر الأطراف! أنت مخطئ في القول إنه لا يمكنك تأخذ أي شيء على عاتقك؛ يمنحك توكيلك الرسمي وثقتي الحق في أخذ كل شيء على عاتقك... باستثناء إبقائي منتظرًا.

إلى جوفريدي

(باريس، 3 أغسطس 1793)

لقد تسلَّم الوزير مقتطفًا من الإجراءات والمعلومات المتعلقة بـ «لا كوست»، ونحن نعمل، لكن كل الأمور تسير ببطء شديد. ها هو نفسه متَّهم، مضطر إلى الدفاع عن نفسه، بالكاد يمكننا رؤيته... صحيح أن «لا كوست» كتبت لي خطابًا معتوهًا. ما يجعلني سعيدًا هو أنه كان كذلك لدرجة أنه من المستحيل الردِّ عليه، وأتركه هناك. سأخبرك بخصوص هذا الموضوع أن المعلومات المرسلة إلى الوزير تبرِّئهم بشدة؛ ليس فيها سطر واحد ليس في مصلحتهم؛ وذلك سيضع الوزير في مأزق بشأن من يمكنه الآن أن يعطيني حق اللجوء. شكرًا لك على المتاعب التي واجهتها في محاولة البحث عن السندات التي بها ما هو مستحقٌّ عليَّ. أشعر بمدى بشاعة وصعوبة وخطورة هذا العمل أيضًا، لكن من المهم جدًّا بالنسبة إلي، أتوسل إليك، ألا تتخلَّى عنه. يبدو لي أنك ترى بشكل مرتَبك في المقاطعات ما يتعلَّق بالباستيل. هنا، إنه لشرف عظيم أن أكون هناك؛ نحن نتفاخر به، ونتناقله، وهو يمنحك نوعًا من الاعتبار. وداعًا، أوصيك أن ترسل لي ثلاثة آلاف وعشرين فرنكًا، تسعمائة وعشرين منها فورًا، والباقي بحلول 15 سبتمبر. أنا منهار، مريض، أبصق دمًا؛ أخبرتك أنني كنت رئيس القسم الخاص بي. كانت الاجتماعات صاخبة لدرجة أنني لم أعد أستطيع تحمُّلها! بالأمس،

من بين أمور أخرى، بعد أن اضطررت أن أدافع عن نفسي مرتين، أجبرت على ترك الكرسي لنائب الرئيس. أرادوا مني أن أطرح للتصويت رعبًا، وبغير إنسانية. لم أرغب في ذلك أبدًا. شكرًا لله، أنا ذاهب! وداعًا، فكِّر بي قليلًا؛ أوصيك بأن تهتم بشئوني أكثر من أي وقت مضى وأحتضنك.

خلال فترة رئاستي، أخرجت عائلة «مونتروي» من قائمة التطهير. إذا قلت كلمة ما، كانوا قد تعرضوا للقسوة. لقد صمتُّ؛ هكذا أنتقم لنفسي!

نعم أنا فاسق، أعترف بذلك، لقد تخيلت كل شيء يمكن أن تتخيليه في هذا النوع، لكنني بالتأكيد لم أفعل كل شيء تخيلته ولن أفعله بالتأكيد أبدًا. أنا فاسق، لكنني لست مجرمًا ولا قاتلًا، وبما أنني مجبر على وضع اعتذاري بجانب الدفاع عن نفسي، فسأقول: ربما يكون من المحتمل جدًا أن أولئك الذين يدينونني ظلمًا، هم مثلي، لم يستطيعوا موازنة عيوبهم، من خلال أعمال صالحة ذات قيمة كتلك التي يمكنني أن أقابلها بأخطائي.

أنا فاسق، لكن هناك ثلاث عائلات مقيمة في منطقتك عاشت خمس سنوات من إحساني، وقد أنقذتهم من آخر درجات الفقر المدقع. أنا فاسق، لكنني أنقذت جنديًا فارًا من الموت، تخلَّى عنه كل فوجه وقائده. أنا فاسق لكن في نظر كل عائلتك، في "إيفري"، أنقذت، مخاطرًا بحياتي، طفلًا كان سيُسحق تحت عجلات عربة تجرها الخيول وذلك عندما اندفعت إليه بنفسي. أنا فاسق، لكنني لم أُعرِّض صحة زوجتي للتهلكة. ليس لديَّ كل أشكال التحرر الأخرى التي غالبًا ما تكون مهلكة لثروات الأولاد: هل دمرتهم بالمقامرة أو بالنفقات الأخرى التي كان من الممكن أن تحرمهم أو حتى تضر بميراثهم في يوم من الأيام؟ هل أسأت إدارة الممتلكات الخاصة بي عندما كان ذلك متاحًا لي؟ باختصار، هل صدر مني في شبابي ما ينمُّ عن قلب قادر على السواد الذي نفترض أنه عليه اليوم؟ ألم أحب دائمًا كل ما يجب أن أحبه وكل ما يجب أن يكون عزيزًا علي، ألم أحب والدي؟ (للأسف، ما زلت أبكيه كل يوم) هل تصرفت بشكل سيئ مع والدتي؟

(من دوساد الى زوجته)




ISBN 978-9-9226439-8-4
daralrafidain
dar.alrafidain
دار الرافدين daralrafidain
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
دار الرافدين Dar ALRafidain
9 789922 643984